جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

أطروحة دكتوراه

بعنوان

القيم الدلالية لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد الطالب:

عمر عبد المحسن فرح خزاعلة

٩٩٢٠٠٠١٨

إشراف الأستاذ الدكتور: سمير شريف ستيتية

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية
تخصص اللغة والنحو في جامعة اليرموك .
الفصل الدراسي الأول ٢٠٠٣/٢٠٠٤

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

أطروحة دكتوراه

بعنوان

القيم الدلالية لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد الطالب:

عمر عبدالمحسن فرح خزاعلة

لجنة المناقشة:

١. **الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية ------ مشرفاً ورئيساً**
٢. **الأستاذ الدكتور سلمان القضاة ------ عضواً**
٣. **الأستاذ الدكتور عفيف عبدالرحمن ------ عضواً**
٤. **الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة ------ عضواً**
٥. **الأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي خليل ------ عضواً**

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص اللغة والنحو في جامعة اليرموك

الفصل الدراسي الأول ٢٠٠٣/٢٠٠٤م

الإهـــــداء

إلى روح والدي المطمئنة .... جعلها الله راضية مرضية
إلى أمـــي الحـــبـــيـــــبة ..... رمز الصبر والحنان والوفاء

إلى إخواني وأخواتي ..... أجنحتي التي أحلّق بها

إلى أبنائي : خـــالـــد ، صهيـــب ، محمـــــد

هذا العمل صدقة جارية ، وعلم ينتفع به
فكونوا ولداً صالحاً يدعو لي

شكـــر وتقديـــر

الشـــكر لله تعـــالى ، الذي أكرمني بهذا العمل ، واختارني- ممن اختارهم- للبحث في إعجاز آياته ودلالاتها ، فله الحمد والشكر ما دامت السموات والأرض.

وإن كان من الواجب أن ينسب الفضل إلى أهله ، فإنني أقدم الشكر أجزله لأستاذي **الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية** ، أعزه الله وعافاه فـــي صحته ، وبارك له في ذريته من أبنائه، وجعل تلاميذه على دربه، فهـــو صـــاحـــب فضـــل ، ومنبت أخلاق ، ومنبع علم ، وضعني على الدرب، فجزاه الله كـــل خير.

والشكر موصول إلى من تفضل بقبول مناقشتي في هذه الأطروحة:

الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن

الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي خليل

الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة

الأستاذ الدكتور سلمان القضاة

فهم أهل ثقة وذوو باع في علوم العربية ، فجزاهم الله خيراً بما هم أهل له على تحملهم عبء المناقشة والتقويم.

ولا يفوتني أن اشكر زملائي في مركز اللغات في جامعة آل البيت على ما قدموه لي لإنجاز هذا العمل .

كما أخص بالشكر الزملاء **الدكتور علي الرباعي وموفق الزبون ، وكمـــال مقابلة ، ومحمد مقابلة ، وسالم خوالدة ، وإبراهيم المساعيد ، وإسماعيل الخوالدة و " أبو مرح"**.

والشـــكر الخاص لأخي وحبيبي **الدكتور منير شطناوي** ، رفيق الدرب . ولا أنسى أخي (**محمود**) أدام الله عليه الصحة والعافية.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
فهرس المحتوى	ج
المقدمة	١

الفصل الأول: التعريف بالدراسة، والدعاء بين التركيب والدلالة

المبحث الأول: التعريف بالدراسة	٤
أ- تعريف الدلالة	٤
ب- القيمة الدلالية	٥
ج- الدعاء	٥
د- الأنبياء	٦
هـ- القرآن الكريم: لغة واصطلاحا	٧
و- القراءة القرآنية المعتمدة	٧
ز- هدف الدراسة	٧
ح- عينة الدراسة	٨
ط- الدراسات السابقة	٩
ي- منهجية التحليل	١٢
المبحث الثاني: الدعاء بين التركيب والدلالة	١٤
أ- الدعاء: تركيبا وأركانا ودواعي(معاني) وألفاظا	١٤
اولا: الدعاء تركيبا	١٤
ثانيا: شروط الدعاء	١٨
ثالثا: معاني الدعاء	١٩
رابعا: أشكال الدعاء	٢٢
ب-علاقة الدعاء بالأنبياء عليهم السلام	٢٤
ج- أثر التفسير الدلالي في اللغة	٢٧
د- أثر لغة القرآن في التفسير الدلالي	٣١

الفصل الثاني: دلالات التراكيب النحوية في أدعية الأنبياء في القرآن الكريم

دعاء سيدنا محمد عليه السلام

الدعاء الأول: سورة الفرقان/ ٣٠ ٣٣

الدعاء الثاني: سورة الزخرف/ ٨٨ ٣٥

دعاء سيدنا آدم عليه السلام – سورة الأعراف/٢٣ ٣٧

دعاء سيدنا نوح عليه السلام

الدعاء الأول: سورة هود/٤٥-٤٧ ٤٠

الدعاء الثاني: سورة "المؤمنون" /٢٦ ٤٢

الدعاء الثالث: سورة الشعراء/١١٧-١١٨ ٤٣

الدعاء الرابع: سورة القمر/١٠ ٤٥

الدعاء الخامس: سورة نوح/٥-٩ ٤٦

الدعاء السادس: سورة نوح/٢١-٢٤ ٤٩

الدعاء السابع: سورة نوح/٢٦-٢٨ ٥١

دعاء سيدنا موسى عليه السلام

الدعاء الأول: سورة المائدة/٢٥ ٥٣

الدعاء الثاني: سورة الأعراف/١٥١-١٥٦ ٥٦

الدعاء الثالث: سورة يونس/٨٨ ٦٠

الدعاء الرابع: سورة طه/٢٥-٣٥ ٦٣

الدعاء الخامس: سورة الشعراء/١٢-١٤ ٦٧

الدعاء السادس: سورة القصص/١٦،١٧-٢٤ ٧٠

الدعاء السابع: سورة القصص/٣٣-٣٤ ٧٣

دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام

الدعاء الأول: سورة البقرة / ١٢٦ ٧٦

الدعاء الثاني: سورة البقرة /١٢٧-١٢٩ ٧٩

الدعاء الثالث: سورة البقرة /٢٦٠ ٨٤

الدعاء الرابع: سورة إبراهيم / ٣٥-٤١ ٨٧

الدعاء الخامس: سورة الشعراء / ٨٣-٨٩ ٩٢

الدعاء السادس: سورة الممتحنة / ١٠٠ ٩٥

الدعاء السابع: سورة الممتحنة / ٤-٥ ٩٦

دعاء سيدنا أيوب عليه السلام

الدعاء الأول: سورة الأنبياء / ٨٣ ٩٩

الدعاء الثاني: سورة (ص) / ٤١ ١٠١

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام

الدعاء الأول: سورة يوسف / ١٠١ ١٠٢

الدعاء الثاني: سورة يوسف / ٣٣ ١٠٥

دعاء سيدنا زكريا عليه السلام
الدعاء الأول: سورة آل عمران/ ٣٨-٤٠ ١٠٨
الدعاء الثاني: سورة مريم / ٤-١٠ ١١٢
الدعاء الثالث: سورة الأنبياء / ٨٩ ١١٩

دعاء سيدنا لوط عليه السلام
الدعاء الأول: سورة الشعراء / ١٦٩ ١٢٠
الدعاء الثاني: سورة العنكبوت / ٣٠ ١٢١

دعاء سيدنا سليمان عليه السلام
الدعاء الأول: سورة النمل / ١٩ ١٢٣
الدعاء الثاني: سورة (ص) / ٣٥ ١٢٦

دعاء سيدنا عيسى عليه السلام-سورة المائدة/١١٤ ١٢٩

الفصل الثالث: دلالات الصيغ الصرفية في أدعية الأنبياء في القرآن الكريم

دعاء سيدنا محمد عليه السلام
الدعاء الأول: سورة الفرقان/ ٣٠ ١٣٢
الدعاء الثاني: سورة الزخرف/ ٨٨ ١٣٤

دعاء سيدنا آدم عليه السلام – سورة الأعراف/٢٣ ١٣٥

دعاء سيدنا نوح عليه السلام
الدعاء الأول: سورة هود/٤٥-٤٧ ١٣٧
الدعاء الثاني: سورة "المؤمنون" /٢٦ ١٣٨
الدعاء الثالث: سورة الشعراء/١١٧-١١٨ ١٣٩
الدعاء الرابع: سورة القمر/١٠ ١٤١
الدعاء الخامس: سورة نوح/٥-٩ ١٤٢
الدعاء السادس: سورة نوح/٢١-٢٤ ١٤٦
الدعاء السابع: سورة نوح/٢٦-٢٨ ١٤٩

دعاء سيدنا موسى عليه السلام
الدعاء الأول: سورة المائدة/٢٤-٢٦ ١٥١
الدعاء الثاني: سورة الأعراف/١٥١-١٥٦ ١٥٢
الدعاء الثالث: سورة الأعراف/١٥٦ ١٥٤
الدعاء الرابع: سورة يونس/٨٨ ١٥٥
الدعاء الخامس: سورة طه/٢٥-٣٥ ١٥٧
الدعاء السادس: سورة الشعراء/١٢-١٤ ١٥٩
الدعاء السابع: سورة القصص/١٦-٢٤ ١٦٠

دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام
الدعاء الأول: سورة البقرة / ١٢٦ ١٦٢
الدعاء الثاني: سورة البقرة /١٢٧-١٢٩ ١٦٤
الدعاء الثالث: سورة البقرة /٢٦٠ ١٦٦
الدعاء الرابع: سورة إبراهيم / ٣٥-٤١ ١٦٧
الدعاء الخامس: سورة الشعراء / ٨٣-٨٩ ١٧٢
الدعاء السادس: سورة الصافات / ١٠٠ ١٧٣
الدعاء السابع: سورة الممتحنة / ٤-٥ ١٧٤

دعاء سيدنا أيوب عليه السلام- سورة الأنبياء/٨٣ ١٧٥

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام
الدعاء الأول: سورة يوسف / ١٠١ ١٧٧
الدعاء الثاني: سورة يوسف/٣٥ ١٧٩

دعاء سيدنا زكريا عليه السلام
الدعاء الأول: سورة الأنبياء/ ٨٩ ١٨١
الدعاء الثاني: سورة آل عمران/ ٣٨-٤٠ ١٨٢
الدعاء الثالث: سورة مريم / ٤-١٠ ١٨٤

دعاء سيدنا لوط عليه السلام – سورة الشعراء/١٦٩ ١٨٦

دعاء سيدنا سليمان عليه السلام
الدعاء الأول: سورة النمل / ١٩ ١٨٧
الدعاء الثاني: سورة (ص) / ٣٥ ١٨٨

دعاء سيدنا عيسى عليه السلام – سورة المائدة / ١١٤ ١٨٩

الخاتمة ١٩١

فهرس الآيات القرآنية ١٩٥
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ١٩٨
فهرس الأشعار والأرجاز ١٩٨

المصادر والمراجع ١٩٩

الملخص باللغة العربية
الملخص باللغة الإنجليزية

المقدمة:

الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والذي أنزله قرآناً عربياً بلسان عربي مبين ، والشكر له وهو الذي جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي تلقى خبر السماء ، وأوحي إليه هذا القرآن المعجز ، فبلّغ أوامره ونواهيه ، وتكفل ربـــه بحفظ ما فيه .

والحمد موصول لله تعالى الذي أكرمني بأن أتتلمذ على يدي شيخ صالح، وعالم فـذّ، وأخ. تقيّ، فأخذني إلى التفكرّ بلغة القرآن المعجزة، ودلالاتها التي تفيض فيض أنهار الجنة ، فـــلا يعرف مبتدؤها ولا يدرى منتهاها ، فجزى الله أستاذنا الدكتور سمير شريف ستيتية خير الجزاء بما هو أهل له ، فقد كان صاحب الفضل في موضوع هذه الأطروحة ، حيث كنت قد قدمـــت له تقريراً موجزاً عن دلالة التراكيب النحوية والصيغ الصرفية في دعاء سيدنا زكريا عليه السلام ، فشجعني أستاذي وأخذ بيدي وأحاطني برؤيته فكان خيراً على خير.

لقـــد كنـــت أمنيّ النفس في أن يكون موضوع أطروحتي فيما يخصّ القرآن الكريم ، فـــأزداد إيمانـــاً وأخدم لغة القرآن وأبناءها ، فحقق الله ما كنت أتمنىّ ، وأسأله تعالى أن أنفع وأنتفع ، وأن يكون صدقة جارية وعلما ينتفع به ، إنه قريب سميع مجيب الدعاء.

وبـــعد :

فإنني قد وسمت أطروحتي بـــ" القيم الدلالية لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم " وكان ذلـــك بعد أن رأيت الإعجاز في تراكيب هذه الأدعية وصيغها ، فكنت أقف مشدوها أمام جزء من عظمة الخالق وإعجازه في لغة كتابه ، فانشرح له صدري ،وسألته تيسير أمري ، وأسأله تعالى أن يُفـــقـــه قولي ، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يكون في ميزان حسناتي يوم لقائه .

وكانـــت هذه الأطروحة بعد أن تتبعت مواضع أدعية الأنبياء في القرآن الكريم ، فلم أجد دراسة وافية تتناول دلالات التراكيب أو الصيغ الصرفية فيها من باب التخصص ، وإنما كانـــت دراسة الأدعية من خلال التفسير وربطه بقصة الدعاء ، ووجدت إشارات مبثوثة هنا وهناك ، ولكنها لم تكن ذات خصوصية بهذه الأدعية تحديداً ، وانما ضمن الشروح والتفاسير لموضوعات أخرى في القرآن الكريم.

وبعـــد البحـــث فـــي مصادر الكتب والتفاسير، قديما وحديثها ، والاطلاع على ما تناول هذا الموضوع من قريب وبعيد ، استقر البحث على ما يأتي :

* الفصـــل الأول: الـــتعريف بالدراسة ، والدعاء بين التركيب والدلالة

ويتكون من مبحثين :

- **المبحث الأول : التعريف بالدراسة ،ويشمل ما يأتي :**

أ – تعريف الدلالة .

ب– القيمة الدلالية .

ج– الدعاء: لغة واصطلاحا .

د– الأنبياء : لغة واصطلاحا.

ه– القرآن : لغة واصطلاحا.

و – القراءة القرآنية المعتمدة التي وردت فيها الأدعية .

ز – هدف الدراسة .

ح – عيّنة الدراسة .

ط– الدراسات السابقة .

ي– منهجية التحليل المتبعة .

–المبحث الثاني : الدعاء بين التركيب والدلالة ويشمل ما يأتي :

أ– الدعاء: تركيبا وأركانا ومعاني وألفاظا .

ب–علاقة الدعاء بالأنبياء .

ج– أثر التفسير الدلالي في اللغة –التشريع القرآني أنموذجا .

د– أثر لغة القرآن الكريم في التفسير الدلالي – أدعية الأنبياء أنموذجا.

* الفصـــل الثاني : دلالات التراكيب النحوية لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم :

ويشمل هذا الفصل أدعية الأنبياء الواردة في القرآن الكريم من حيث القيم الآتية ودلالاتها:

أ– الحذف والزيادة .

ب– الوصل والفصل.

ج- التأكيد وتركه.

د- التقديم والتأخير .

هـ- الجمل الاسمية والفعلية .

و- الإثبات والنفي .

ز- المفارقات .

ح- حروف المعاني .

ط- الظروف.

ي- النداء.

ك- الاستفهام .

ل- الإضافة وتركها.

*** الفصل الثالث: دلالات الصيغ الصرفية لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم:**

ويشمل هذا الفصل دلالات الصيغ الصرفية في هذه الأدعية من خلال القيم الآتية :

أ- الحذف والزيادة .

ب- التعريف والتنكير .

ج- التأكيد وتركه .

د- المشتقات .

هـ- الإفراد والتثنية والجمع .

و- التأنيث والتذكير.

ز- الإدغام و فكه .

*** الخاتمـــــــــة: وتشمل نتائج البحث التي تم التوصل اليها**

*** ثبت بالمراجع والمصادر التي قام عليها هذا البحث**

• الفصل الأول: التعريف بالدراسة ، والدعاء بين التركيب والدلالة

- المبحث الأول : التعريف بالدراسة:

أ- تعريف الدلالة :

الدلالـــة – لغـــة – مصدر دلّ يدلّ دلالة ، حيث وردت بالدال المثلثة : دَلالة و دِلالة دُلالـــة وأشـــهرها بالفـــتح [١] وجاء الفعل (دلّ) بمعنى هدى وأرشد نحو : " ودلّ فلان إذا هـــــدى " [٢]ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :" وإن الدالّ على الخير كفاعله " [٣] .

وجـاءت الدلالـــة لتدلّ على المعنى الأخر [٤] بحيث يكون لدلالة التركيب أو الصيغة دور فـــي إظهار المعنى المعجز المتأتي من التراكيب والصيغ ليناسب القول المقام الذي قيل فيه.

وفيما يخص موضوع البحث ، فالدلالة تعني المعنى المعجز الذي يستنبط من تراكيب أدعـــية الأنبـــياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم وصيغها ، فتدل هيئة التركيب على إعجاز إلهي في كلامه ، كما تدل الصيغة المفردة عليه في اختيارها ، فقوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)[٥] يظهر الإعجاز فـــي استعمال حرف الجر (إلى) في هذا التركيب ، واستعمال حرف الجر (اللام) في دعاء زكـــريا علـــيه السلام : (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) [٦] كما يظهر الإعجـــاز فـــي دلالـــة التقديم والتأخير ، كتقديم شبه الجملة في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهـــيم علـــيه الســـلام : (رَبَّـــنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [٧] وتأخير النفس والقلـــوب فـــي قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام : (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ) [٨] حيث ذكر طمس الأموال قبل الشدّ على القلوب .[٩]

---

(١) تاج العروس ، مادة دلل ، لسان العرب ٣٩٤/٤

(٢) لسان العرب – دلل ٣٩٣/٤.

(٣) سنن الترمذي ١٤٧/٤

(٤) علم الدلالة – أحمد مختار ١١.

(٥) يوسف /٣٣ .

(٦) آل عمران / ٣٨.

(٧) الممتحنة /٤.

(٨) يونس /٨٨ .

(٩) علم الدلالة – أحمد مختار عمر ١١ حيث ذكر معاني مختلفة لعلم الدلالة .

ب- القيمة الدلالية :-

ويقصد بها ما يتكون منه النص الذي في ظاهره وباطنه من أدوات وصيغ مفردة وتراكيب ذات معنى ، بحيث يحمل كل منها دلالة خاصة في أدعية الأنبياء عليهم السلام ، تدلّ على الإعجاز الإلهي في استعمال كل منها ، ومواضعها التي وضعت فيها ضمن السياق الدعائي ، فالزيادة في الصيغة قيمة ذات معنى ، والحذف من التراكيب قيمة له معنى ودلالة ، والأساليب قيم دوالّ على إعجاز ، والمفارقات في الدعاء قيم ذات مغزى عظيم ، ان قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : (قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)[1] يظهر استعمال صيغة التفضيل (أحبّ) للمفاضلة بين شيئين ، بحيث يحب أحدهما أكثر من الأخر، وفي الحقيقة هو يكره الاثنين معاً ، ولكن كرهه لأحدهما أكثر من كرهه للأخر ، وهذه هي القيمة التي تحملها هذه الدلالات المعجزة.

ومن القيم الدلالية التعريف والتنكير، ففي قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً)[2] جاءت قيمة (البلد) على التعريف ، وفي قوله تعالى : (رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً)[3] جاءت كلمة (بلدا) على التنكير ، ولكل من التعريف والتنكير دلالته التي فيها المعنى المعجز.

والقيم الدلالية في هذا البحث هي مفردات الفصلين الثاني والثالث من حيث إنها تراكيب نحوية أو صيغ صرفية ، كالحذف والزيادة ، والتعريف والتنكير، والمفارقات ، والجمل الاسمية والفعلية ، والوصل والفصل ، والتأنيث والتذكير ...الخ.

ج- الدعاء :

الدعاء – لغة – من الفعل (دعا) ، وهو لفظ عربي أصله (دعاو) بدليل المضارع (يدعو) ، إلا أن الواو تطرفت بعد ألف زائدة فقلبت همزة [4]والدعوى اسم لما تدعيه ، والدعوة تصح أن تكون بمعنى الدعاء، وقد ذكر الزمخشري أن الدعاء بمعنى النداء [5].

---

(١) يوسف /٣٣.

(٢) إبراهيم / ٣٥.

(٣) البقرة /١٢٦.

(٤) مقاييس اللغة – ابن فارس ٢/٢٧٩-٢٨٠.

(٥) أساس البلاغة -الزمخشري ١٢٨

والدعاء للإنسان يكون له أو عليه.

أما في الاصطلاح فالدعاء هو:" الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال"[1].

والدعـــاء حالـــة إنسانية تجسد واقعاً نفسياً بين العبد وخالقه وتتعلق بعواطف الإنسان وحاجاته[2].

وقـــد عرّفه كثيرون ، فقالوا إنه شعور القلب بالحاجة إلى عناية الله تعالى فيما يطلب وصدق التوجه فيما يرغب[3] ، وترنيمة المؤمن وغذاؤه الروحي الذي يربطه بالحياة في كـــل آن ، وفريضة المؤمن الممزوجة بكل ألوان الطاعات[4]، لذلك فإن حقيقة الدعاء هي : الشعور الباطنـــي فـــي الإنسان بالصلة والارتباط بعالم لا مبدأ له ولا نهاية ، ولا غاية لسعة رحمته وقدرته وإحاطته بجميع ما سواه فوق ما نعقل من معنى السعة والإحاطة والقدرة ، يقضي له حوائجه بحيث يجعل المدعو تحت قدرة الداعي جميع وسائل نجاح طلباته ، ففي هذا تعليم منه تعالى لعباده كيفية الدعاء والطلب منه ، وهذا غاية الكرم ونهاية الإحسان يعلّمهم ليعطيهم[5].

د- الأنبياء :

الأنبياء لغة: جمع نبيّ وأصلها نبيء من الفعل (نبأ) وهي بمعنى المخبر ، فيُقال : نبّاه الخبر وبالخبر أي خبّره واستنبأ الرجل استخبره [6].

أما اصطلاحا: فالنبيء هو المخبر عن الله عز وجل ، وتبدل الهمزة ياء فتدغم فيقال: النبيّ ، والنبوءة سفارة بين الله عز وجل وبين ذوي العقود لإزاحة عللها ، وتبدل الهمزة واوا وتدغم فيقال : النبوة ، والنبوة : الإخبار عن الشيء قبل وقته حَزْرًا وتخمينا[7].

---

[1] القاموس المحيط ، مادة دعو ١٦٥٥

[2] الدعاء في القرآن الكريم – محمد زوين ٢٦

[3] تفسير المنار – محمد رشيد رضا ١٤/٢

[4] الدعاء والإجابة – فؤاد رضا ٢٠

[5] روح المعاني – الألوسي ٧٠/٣

[6] لسان العرب ١٠٨/١٤

[7] م.ن ٩/١٤

هـ- القرآن الكريم : لغة واصطلاحاً :

القـرآن – لغة- : مصدر قرأ يقرأ[١] ، وذكر ابن منظور أن الفعل (قرأ) له مصدران مشهوران هما (قِراءة ، وقرآناً) وله مصدر ثالث وهو (قُرْء)[٢].

وقـد أطلـق الله لفـظ (القرآن) على كتابه فقال : " **إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**" [٣] فصار في الاسمية على كونه مصدراً، ومن المعاني للفعل (قرأ) في اللغـــة تلا ونطق[٤] وضم وجمع[٥].

أمـا اصـطلاحاً: فالقرآن هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكـتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته وأحكامه ، وهو المنزل ، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة[٦].

وفي هذه الدراسة تناولت أدعية الأنبياء عليهم السلام جميعها التي وردت في القرآن الكريم على ألسنتهم ، إذ إن هذه الأدعية هي المحور الرئيس للدراسة.

و- القراءة القرآنية المعتمدة التي وردت فيها أدعية الأنبياء عليهم السلام:

درست أدعية الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم لتكون مادة هذه الدراسة بـرواية حفـص عن قراءة عاصم عن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان وعلي وزيد ابن ثابـت وأبـي بن كعب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ربِّ العزة جل وعز، وهي القراءة المشهورة المنتشرة في أغلب بلاد العرب.

ز- هدف الدراسة:

تهـدف هذه الدراسة – باختصار- إلى الكشف عن الجوانب المعجزة في لغة القرآن الكـريم، مـن خلال تناول جزئية معينة من هذه اللغة الشريفة، وهي لغة ما ورد في القرآن الكـريم من أدعية على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإظهار القيم الدلالية للأدوات والصيغ الصرفية والتراكيب النحوية فيها.

---

(١) المصباح المنير في غريب الكبير للرابطي، أحمد بن محمد على المعري الفيومي(ت ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية، بيروت ، لبنان.

(٢) انظر: لسان العرب ١١/٧٨-٨٠، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ١/٣٦٣-٣٦٥.

(٣) الإسراء/ ٩.

(٤) **القاموس المحيط**، ص٦٢،الفيروز آبادي

(٥) لسان العرب، ١١/٧٨.

(٦) **التعريفات**، ١٩٨.الجرجاني

إنّ الكشـــف عن إعجاز هذه الأدعية يظهر فصاحة وبيانا لا نظير له ، وحاشا لله أن يكـــون له نظـير أو مثـــيل ، فالكلم لا يكون اعتباطاً ، ولا يكون زائداً ، فكل قد جاء بدلائل عظيمة تكشف عن قدرة الحق تعالى ، وتثبت الإيمان في القلوب وتبعث الطمأنينة في النفوس.

ولغة القرآن بعامة، تنبئ عن إعجاز نفسي وعلمي ، وأبعاد لا يحاط بها ؛ ولذلك كانت التفاســير تــتلو التفاســير، والإعجــاز يلي الإعجاز إلى يوم الدين ، فلا يحيط بإعجازها إلا واضعها ومُنشئُها.

ح- عينة الدراسة :

هــذه الدراسة تتناول أدعية الأنبياء عليهم السلام جميعها ، والتي جاءت على صورة الدعــاء الخــارج عن الأمر مجــازا بصيغة فعل الأمر خاصة ، وهو ما يحسن فيه القــول بأنــه (فعل الدعاء) ليناسب مقام الدراسة.

اعتمدت الدراسة أدعية الأنبياء عليهم السلام التي جاءت على صورة الدعاء الخارج عــن الأمــر مجازاً، نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : " **رب اغفر لي ولوالدي ولمــن دخــل بيتــي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات** "[1]. وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:"**ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** "[2].

واعــتمدت الأدعية التي ورد فيها المنادى بلفظ (ربّ) و (ربّنا) و (اللهم) ، نحو قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: " **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين** "[3].

و اعتمدت الأدعية التي جاء فيها فعل دال على الدعاء أو النداء نحو قوله تعالى على لســان أيــوب علــيه السلام: " **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر** ...."[4] وكذلك الأدعية التي جاء فيها فعل (دعا) نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: " **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** "[5].

---

(١) نوح/ ٢٨.

(٢) يونس/ ٨٨.

(٣) المائدة/ ١١٤.

(٤) الأنبياء/ ٨٣-٨٤.

(٥) القمر ١٠.

واستثنيت الأدعية التي جاءت مسبوقة بالفعل (قل) ، لأن الدعاء لا يكون على لسان النبي ، نحو قوله تعالى: " **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء...** "[1] وقوله تعالى: " **وقل رب زدني علما** "[2]،وما جاء من الأدعية على هذه الصورة.

واستثنيت الأدعية التي جاءت على المصدر ، نحو قوله تعالى: " **غفرانك ربنا وإليك المصير** "[3] وقوله تعالى: " **فبُعداً للقوم الظالمين** "[4].

واستثنيت الأدعية التي جاءت بالخبر لا بالطلب ، نحو قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: " **قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** "[5] إذ إن قوله (يغفر) دالّ على الدعاء .

مما سبق تكون الأدعية موضوع الدراسة هي الأدعية التي جاءت على لسان الأنبياء مباشرة، وتتضمن التماسا من رب العزة بصورة مباشرة ، لأنها لا تحتمل إلا الدعاء والنداء وهو ركيزة الدراسة كلها.

ط- الدراسات السابقة:

مؤلفات كثيرة تناولت أدعية الأنبياء عليهم السلام ، في القرآن الكريم ، بيد أنّها لم تتناولها تناولاً خاصاً بها ، وإنما كان ذلك التناول في أثناء دراسة لغة القرآن ودلالاتها وإعجازها وبيانها ، وفي أثناء شرح المفردات والمعاني ودراسة التراكيب للغة القرآن بشكل عام.

والتفاسير جميعها درست الأدعية الواردة في القرآن، من حيث معانيها وأحداثها دون الاختصاص بها وحدها دون غيرها ، فلا يخلو تفسير منها من الإشارة إلى قصص الأنبياء وأدعيتهم وإجاباتها من رب العالمين.

إن المؤلفات التي درست جوانب مختلفة لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم لم تكن متخصصة بها ، وهذه المؤلفات قديمة وحديثة، إلا أنها أسهمت في إلقاء الضوء على أحداثها وأسبابها ونتائجها ، وهذا كله أسهم في صياغة موضوع هذه الدراسة والإحاطة بها ، لتكون مختصة بهذه الأدعية ، ومظهرة دلالاتها الخاصة بها وإعجازها المبين.

---

(١) آل عمران/ ٢٦.

(٢) طه ١١٤.

(٣) البقرة/ ٢٨٥.

(٤) المؤمنون/ ٤١.

(٥) يوسف/ ٩٢.

ومـــن المؤلفـــات التي تناولت جزئيا أدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم ما يأتي:

١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي.

٢. البديع في ضوء أساليب القرآن – عبد الفتاح لاشين.

٣. البرهان في علوم القرآن – الزركشي.

٤. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن – الزملكاني.

٥ تحريـــر التحبيـــر فـــي صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – ابن أبي الإصبع المصري.

٦. تفسير البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي.

٧. الجامع لأحكام القرآن – القرطبي.

٨. الدعاء – محمد سيد طنطاوي.

٩. الدعاء في القرآن الكريم – محمد محمود زوين.

١٠. الدعاء في القرآن الكريم – محمود الشريف.

١١. دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني.

١٢. معاني القرآن – الأخفش الأوسط.

١٣. معاني القرآن – الفراء.

١٤. معاني القرآن – الزجاج.

١٥. من بديع لغة التنزيل – إبراهيم السامرائي.

١٦. دعاء الأنبياء والرسل – محمد محمود أحمد الخطيب.

١٧. الجملة الدعائية الندائية في القرآن الكريم، تركيباً ودلالة – مقبل عايد نهير السالم.

١٨. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم– عبد الحميد هنداوي.

١٩. التفسير الكبير – الفخر الرازي.

ومن المقالات والبحوث:

١. أســـلوب القـــرآن الكـــريم ومفردات ألفاظه – منير القاضي – مجلة المجمع العجمي العراقي – السنة الأولى – أيلول ١٩٥٩م.

٢. الدعـــاء عقـــيدة وشريعة وخلف وسلوك – مصطفى عبد الحليم الجندي – مجلة منبر الإسلام – العدد (٨) أيلول ١٩٧٣.

وبعد البحث والتنقيب في هذه المؤلفات وغيرها لم أجد فيها ما يختص بأدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم على الصورة التي تناولتها هذه الدراسة ، من حيث دراسة التراكيب والصيغ الصرفية المتعلقة بها ، فكانت الجدة في هذه الدراسة.

ي – منهجية التحليل:

لقد قامت منهجية التحليل في هذه الدراسة على ذكر الدعاء في نصه من القرآن الكريم ، إذ تم تحليل التراكيب النحوية الواردة فيه وإظهار القيم الدلالية المتعلقة بها، بتسلسل التراكيب وفق ورودها في النص القرآني في محاولة لإظهار نسق الدعاء وتسلسله دون قطع أوصاله ، وتحديده بالمفردات التي عدّت قيما دلالية في هذه التراكيب ، فقد يأتي التركيب محتويا على القيمة الواحدة مرتين أو أكثر في سياق النص ، فلا يجمع بين هذه التكرارات للقيمة في مفردة واحدة ، بل تبحث كل قيمة وفق ورودها وإن تكررت ، ومثال ذلك مجيء التقديم والتأخير في بداية الدعاء أو في وسطه وقد يرد في آخره ، فلا أضع مفردة (التقديم والتأخير) وأحلل دلالات هذه المفردات معا، بل أقوم بتحليل كل مفردة وفق موضعها من النص ، فتأتي قيمة أخرى كالحذف مثلا فأحللها. وقد أعود مرة أخرى إلى قيمة سابقة وردت لاحقا مرة أخرى في النص ، فتأخذ مفردة جديدة لا علاقة لها بما سبق من القيمة نفسها ، أي أنه سيتم تناول التراكيب النحوية وفق تسلسلها في الدعاء ، وارتباط بعضها ببعض ، وتعلق آخرها بأولها ، وحدة واحدة متضمنة جزئياتها المتسلسلة ، لإظهار حقيقة دلالاتها ومثال ذلك: دعاء سيدنا موسى عليه السلام : " **قال رب اشرح لي صدري(٢٥) ويسّر لي أمري (٢٦) واحلل عقدة من لساني(٢٧) يفقهوا قولي(٢٨) واجعل لي وزيرا من أهلي(٢٩) هارون أخي(٣٠) اشدد به أزري(٣١) وأشركه في أمري(٣٢) كي نسبحك كثيرا(٣٣) ونذكرك كثيرا(٣٤) إنك كنت بنا بصيرا(٣٥)** "[1] .

فقد تناولت هذا الدعاء وحدة واحدة دون تجزئة القيم الواردة فيه ، فهذا الدعاء يتناول القيم الآتية : الوصل (اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني) ، والفصل (يفقهوا قولي) والإفراد (عقدة) و (أمري)، وترك الإضافة (عقدة من لساني)، والتنكير (اجعل لي وزيرا من أهلي) والتعريف (هارون أخي)، والتقديم (هارون) والتأخير (أخي).

لقد درست ما يختص بالتراكيب النحوية وحدة واحدة متسلسلة ، وأشرت إلى القيم الدلالية المعنية ، ثم أنتقل بعد ذلك إلى قيمة أخرى ، وإظهار دلالتها ، وهكذا ، بحيث أقف عند القيم الواردة جميعها في الدعاء الواحد بتسلسل يظهر الإعجاز المتكامل للدعاء دون تجزئته. والأمر نفسه ينطبق على الصيغ الصرفية بالمنهجية نفسها ، فقد كنت أتناولها وفق ورودها في النص بتسلسلها ، وارتباط هذه الصيغ بدلالة التركيب الذي جاءت فيه من ناحية ،

---

(١) سورة طه/ ٢٥-٣٥.

وبدلالة السياق كله من ناحية أخرى ، لأن هذه الصيغة أو تلك لم تأت إلا لهذا التركيب ، ولم تكن إلا لهذا السياق دون غيره.

إن الدعـــاء الواحد من أدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم قد يحتوي على قـــيمة واحدة أو أكثر من القيم التي تم تحديدها ، فليس من الضرورة أن يشمل الدعاء الواحد القـــيم المحددة جميعها ، فقد يكون في الدعاء قيمة الحذف أو الزيادة فقط، وفي دعاء آخر قيم أكثر ، وهذا يتناسب وطول الدعاء من جهة ، والقيم وتعددها من جهة أخرى.

- المبحث الثاني: الدعاء بين التركيب والدلالة :

الدعـــاء هـــو الرغـــبة إلى الله تعالى في ما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال[١] فالرغـــبة بالســـؤال بمعنى التوجه والطلب ، وصلة روحية بين العبد وبارئه ، وحالة إنسانية تجسّد واقعاً نفسياً بينما ترتبط بحاجات الإنسان وعواطفه ، والدعاء شعور باطني بشديد الصلة والارتباط بالخالق عز وجل للإحاطة بهذا العالم أو بجزء منه[٢] وهو طلب الفعل من المدعو.

والدعـــاء أسلوب لغوي يتكون من تراكيب مختلفة يتوصل بها إلى الرغبة في السؤال وإجابـــته، وقضاء الحاجات التي من أجلها كان الدعاء ، من حيث نيل الخير أو دفع الشر، أو الحمد والشكر ، أو التعظيم والتنزيه ، إلى غير ذلك من الحاجات التي يكون الدعاء سبيلها.

والأنبـــياء عليهم السلام كرّمهم الله تعالى بإجابة دعائهم ، فهم يتوجهون إليه في السرّ والعلن ، وهم الذين يحملون رسالاته إلى البشر.

ومـــن هـــنا فإن للدعاء تراكيبه وأركانه ودواعيه ، وعلاقة خاصة بأنبياء الله عليهم الـــســـلام ، إذ إنّ لأدعيـــتهم دلالات عظيمة معجزة ، تكشف عن إعجاز في تراكيب الدعاء ومفـــرداته ، ولهـــذه الـــدلالات أثرا في اللغة بشكل عام ؛ ذلك أن للدلالة النحوية والصرفية واللغويـــة دوراً فـــي إبراز العقيدة السمحة بصورتها الحقيقية وجزيئاتها الدقيقة ، وأثرها في توجيه التشريع القرآني كاستنباط الأحكام التشريعية من خلال أثر هذه الدلالات.

وفـــي المقـــابل فـــإن للغة القرآن الكريم آثاراً عظيمة في إبراز علم الدلالة والتفسير الدلالي، فتباين بعض الأدعية واتفاق بعضها الآخر في التراكيب أو المفردات يظهر ضرورة الاهـــتمام بعلم الدلالة وإظهاره كلاً متكاملا، فلغة القرآن الكريم أسهمت في رقي علم الدلالة ، وعلماؤنـــا الأجلاء ، كانوا على صلة وثيقة بهذا العلم وإن لم يكن بصورته الحالية ، مرجعهم في ذلك لغة القرآن التي كانت لهم ولنا رحمة باختلاف قراءاته.

أ- الدعاء: تركيباً وأركاناً ومعاني وألفاظاً:

أولاً: الدعاء تركيباً:

تخضع جملة الدعاء على اختلاف صورها لأشكال الجملة العربية ، فجملته شكل من أشـــكال الجملـــة العربـــية التي تعددت وتنوعت حسب آراء العلماء ، فمنهم من قصر الجملة

---

(١) القاموس المحيط، ١٦٥٥.

(٢) الدعاء في القرآن، ص ٢٦.

العربية على شكلين : خبر وإنشاء[1] ومنهم من توسع إلى ثلاثة وأكثر[2] ، ووصلت إلى عشرة : خبر واستخبار وأمر ونهي ودعاء وطلب وعرض وتخصيص وتمنٍّ وتعجب[3].

وأسلوب الطلب في العربية شكل من أشكالها ، فيه تداخل وتقارب في دلالاته من حيث تكوّن أقسامه : الأمر والنهي اللذين يؤكدان أسلوب الدعاء ، فالأمر بمنزلة النهي والنهي بمنزلة الأمر ، فإن الأمر بشيء يقتضي النهي عن غيره نحو : صُمْ رمضان بمعنى لا تفطر، وإن النهي عن الشيء يقتضي الأمر بغيره، نحو: لا تفطّر بمعنى صُمْ[4].

إن الدعاء من أسلوب الطلب وهو أسلوب إنشائي وهو متعلق غالباً بالأمر والنهي، فسيخرج عنهما مجازاً متضمناً معنى التذلل والخضوع ؛ لأن الأمر والنهي لا يكون إلا من الأعلى رتبة إلى الأدنى ، من باب القوة والوجوب ، أما الدعاء فيكون من الأدنى إلى الأعلى، إذا كان المدعو هو الله تعالى ، ويكون من بين الأعلى رتبة والأدنى إن لم يكن المدعو هو الله تعالى[5].

تراكيب الدعاء في العربية : تتكون تراكيب الدعاء في العربية من أقسام ثلاثة:

أ- الدعاء الخارج عن الأمر مجازاً.

ب- الدعاء الخارج عن النهي مجازاً.

ج- الدعاء بلفظ الخبر.

أ- الأمر الخارج للدعاء:

لقد جاء أكثر الدعاء الوارد في القرآن الكريم على هذه الصورة ، وهو استعمال فعل الأمر مباشرة في جملة الدعاء ، نحو قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا)[6] .

---

(١) الاتفاق السيوطي، ٢/ ٢٠٢

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي،عبد السلام هارون، ص ١٨.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس،٢٨٩

(٤) الزمخشري،الكشلف ١٤٢/١ ، ٨/٣ ، الأمالي الشجرية ٢٧٨/١ ، المقتضب ٤٤/٢

(٥) شرح المفصل ٥٨/٧ ، شرح الكافية في النحو ٢٦٧/٢- ٢٦٨ ، الإتقان- السيوطي ٢١٦/٢

(٦) الإسراء/٨٠

واستعملت اللام الجازمة والفعل المضارع للدلالة على الدعاء نحو قوله تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)[1] فقد أفادت (اللام) في (ليقض) الدعاء والطلب[2] واختلف في (اللام) في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ)[3].

فقد عدها الزمخشري[4] للدعاء، وعدها أغلب النحاة والمفسرين للعاقبة والصيرورة [5].

واستعمل المصدر النائب عن فعل الأمر للدلالة على الدعاء أيضا، نحو قوله تعالى: (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)[6] والمصدر المنقول إلى الرفع نحو قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)[7] وكلمة (ويل) دعاء على الإنسان لا يقولها إلا الواقع في هلكة وبلاء عظيم، فهي كلمة جامعة للشر كله بإجماع العلماء[8].

ب- الدعاء الخارج عن النهي مجازاً :

أسلوب النهي يقابل الأمر إلا أنه دالٌ على منع الفعل ، ويُشترط الاستعلاء في صدور النهي، فيكون من الاستعلاء للمدعو ، ومنه قوله تعالى : (رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)[9].

ج- الدعاء بالخبر:

يخرج الإنشاء من بابه فيفيد الخبر، كما يخرج الخبر من بابه فيفيد الإنشاء ، وخروج الخبر إلى الدعاء هو خروج عن حقيقته ، إلا أنه يخدم أغراضاً دلالية أساساً، منها أن الدعاء بالخبر أبلغ من إخراج الدعاء بصوره المعهودة السابقة في الأمر والنهي ، نحو: غفر الله لك، ورحمك الله وأعزك ، فهذا فيه تيقن الاستجابة والتفاؤل بحصول الغفران والرحمة[10].وقد عدّ

---

[1] الزخرف / ٧٧

[2] همع الهوامع ٤٤٣/٢ ، مغني اللبيب ٢٢٣/١ ، الجنى الداني ١١٠

[3] يونس / ٨٨

[4] الكشاف ٢٥٠/٢

[5] انظر: معاني القرآن- الفراء ٤٧٧/١ ، معاني القرآن – الأخفش ٣٤٧/٢-٣٤٨، إعراب القرآن – النحاس ٢٦٦/٢

[6] البقرة / ٢٨٥

[7] الزمر / ٢٢

[8] الكتاب ، سيبويه ٣٣١/١

[9] البقرة / ٢٨٦

[10] الكشاف ٢٧٠/١

القزويني أغراض وقوع الخبر موقع الإنشاء بقوله : " إما للتفاؤل أو لإظهار الحرص في وقوعه .. والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يتحمل الوجهين ، أو للاحتراز عن صورة الأمر كقول العبد للمولى إذا حوّل عنه وجهه : ينظر المولى إليَّ ساعة ، أو لحمل المخاطب على المطلوب[1].ومن الأدعية التي جاءت بصورة الخبر قوله تعالى : (قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[2] وقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[3] .

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة ١٤٤

[2] يوسف / ٩٢

[3] الفاتحة / ٥

ثانيا: شروط الدعاء: [1]

الدعاء باب من أبواب العربية ، يمكن الدلالة عليه من المقام الذي وضع فيه، وتعرّف أركانه من السياق الذي جُعل لأجله ، فهو أسلوب طلبي يخرج عن الجملة الطلبية الحقيقية إلى الدعاء مجازاً بالصور التي سبق ذكرها والتدليل عليها.

وأسلوب الدعاء كغيره من الأساليب الإنشائية له أركانه الأساسية التي يقوم عليها ، وهذه الأركان تمثل فيما بينها جملة الدعاء ومقامه وسياقه ، وأركان الدعاء هي:

١. **التسليم التام بإجابة الدعاء من المدعو وهو الله عز وجل** ، فالداعي بحاجة إلى إيمان حقيقي بالله تعالى بأنه قادر على إجابة دعوته وتلبيتها ، وأن يكون على يقين من أن دعوته مجابة عاجلاً أو آجلاً[2] استناداً إلى ما ورد في الأثر من أن الله تعالى يجيب دعوة الداعي، إما في الدنيا وإما في الآخرة لقوله عليه الصلاة والسلام : " **ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كفّ عنه من سوءٍ مثله ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم** "[3].

٢. **التوجه إلى الله تعالى مباشرة دون وسيط.**

٣. **التوجه بالدعاء إلى الله تعالى بأحب الأسماء إليه** ، واستعمال الألفاظ الدالة على مضمون الدعاء ، نحو: ربّ ، يا ربّ ، اللهم ، إلهي ، يا ذا الجلال والإكرام ...الخ، ومنه استعمال لفظ (غفور، تواب ، غفار) في الدعاء الذي فيه رجاء بالتوبة والمغفرة، ولفظ (رحمن ، رحيم) عند الحاجة إلى الرحمة ، ولفظ (قوي ، عزيز) عند الحاجة إلى هزيمة الأعداء وإلى غير ذلك.

٤. **عدم التكلف في الدعاء والصناعة فيه** ، بحيث يكون نابعا من الداعي بالفطرة والسليقة.

٥. **الحمد والثناء على الله تعالى في بداية الدعاء ، والصلاة والتسليم على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .**

---

(١) شأن الدعاء ١٣، ١٩-٢٠، ٥-١١، كتاب الدعاء ٣٩-٤٧ ، جوامع الدعاء من القرآن والسنة ٥-٤٥

(٢) الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب ٣٧

(٣) سنن الترمذي ٢٠٩-٢٧٩ ، طبعة دار الفكر

ثالثا: معاني الدعاء :

الدعاء تعبير عما في النفس من الداعي إلى المدعو، لجلب الخير أو لدفع الشر، ومن هنا كانت الحاجة إلى الدعاء لتلبية المراد.

وقـد ورد الدعـــاء بمعانٍ متعددة استوعبها القرآن الكريم على اختلاف دلالاته ليكون تيسيراً للداعي في إظهار رغبته وحاجته . وهذه المعاني هي :

أ- الدعاء بمعنى العبادة :

وهو أوسعها استعمالاً وقد ورد كثيراً في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[1] فقد ورد قوله علـــيه الصلاة والسلام : " **إن الدعاء هو العبادة** ".[2] ومنه قوله تعالى: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)[3] أي : لولا عبادتكم[4].

ب- الدعاء بمعنى القول:

ومنه قوله تعالى: (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا)[5] أي: قولهم[6].

ج- الدعاء بمعنى الاستعانة أو الاستغاثة:

ومنه قوله تعالى : (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)[7] وأكثر ما تأتي الاستعانة في طلب النصرة[8]. ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[9] أي : استغيثوا بشهدائكم ، أو : استعينوا بشركائكم[10].

---

(١) غافر/٦٠.

(٢) سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ)، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ج٢/ص١٢٥٨.

(٣) الفرقان / ٧٧.

(٤) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص ١٧٣.

(٥) الأعراف / ٥.

(٦) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص١٧٣.

(٧) الكهف / ٢٩.

(٨) المفردات في غريب القرآن، ص١٧١.

(٩) البقرة / ٢٣.

(١٠) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص١٧٤.

د- الدعاء بمعنى النداء:

ومنه قوله تعالى:(قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ)[1] أي: النداء[2] والدعاء كالنداء ، إلا أن النداء قد يقال بـ (يا أو أيا) ونحو ذلك من غير أن يضم إليه اسم ، أما الدعاء فلا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[3] ، ويؤكد ذلك قوله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[4] أي: دعا ربه.

ويختلف الدعاء والنداء من باب الدعاء في النفس أو غيرها، فالنداء هو رفع الصوت، أمـــا الدعاء فيكون برفع الصوت وخفضه ، فيقال : دعوته من بعيد ودعوت الله في نفسي ولا يقال : ناديته في نفسي.

هـــ- الدعاء بمعنى السؤال:

ومنه قوله تعالى على لسان بني إسرائيل في سؤالهم سيدنا موسى عليه السلام: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ...)[5] أي : سل لنا ، أو استعلم لنا[6].

ومـــنه قوله تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ)[7] أي: ســـل لنا ربك وأطلب منه. ومن هنا كان الدعاء بمعنى السؤال على جانبين : جانب الاستفهام والاستعلام وجانب الطلب والرغبة في حصول المراد[8].

---

(١) الأنبياء / ٤٥.

(٢) قاموس القرآن ، ١٧٤.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني ، ١٧١، قاموس القرآن ١٧٤ .

(٤) الأنبياء / ٨٣.

(٥) البقرة / ٦٨.

(٦) قاموس القرآن١٧٤ ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ١٧١.

(٧) الزخرف / ٤٩.

(٨) الدعاء في القرآن الكريم ، محمد محمود زوين ٣٢.

و- الدعاء بمعنى العذاب والعقوبة والموت:

ومنه قوله تعالى:(كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)[1] أي: تعذّب[2].

واستعملت العرب عند دعائها على شخص قولها : دعاك الله أي أماتك ، قول الأعرابي: دعاك الله، أي عذّبك[3].

ز- الدعاء بمعنى الصلاة:

وأشهر معاني الصلاة الدعاء ، ومنه قوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)[4] وفسرها مجاهد بمعنى(يصلّون الصلوات الخمس)[5].

ح- الدعاء بمعنى التمني:

ومنه قوله تعالى:(لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ)[6] أي: ما يتمنون[7] ، وقيل إنه راجع إلى معنى الدعاء أي ما يدّعيه أهل الجنة يأتيهم[8].

ط- الدعاء بمعنى التسمية:

ومنه قوله تعالى:(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)[9] أي: تسمّوه باسمه كما هو بينكم بل كنّوه وعظموه في تسميته[10].

---

(١) المعارج / ١٥-١٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٦٠١.

(٣) قاموس القرآن ، ١٧٥.

(٤) الكهف / ٢٨.

(٥) لسان العرب، ج٤/ص٣٦٠.

(٦) يس / ٥٧.

(٧) مجمع البحرين، الهيثمي، ٨/٨.

(٨) لسان العرب، ٤/٣٦٢.

(٩) النور / ٦٣.

(١٠) لسان العرب، ٤/٣٦٢.

ي- الدعاء بمعنى النسب وإلحاق الشخص بنسبه:

ومنه قوله تعالى:(ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ)[1] أي: انسبوهم[2].

ومنه قوله تعالى:(... أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا)[3] أي: نسبوا وجعلوا له أبناء[4] ، تعال الله عن ذلك علواً كبيراً.

رابعاً: أشكال الدعاء

تتميز العربية باتساعها في ألفاظها ودلالاتها وتراكيبها ، وهذا يصل إلى فصاحتها وبلاغتها وإعجازها.

والدعاء لفظ من ألفاظ العربية دالٌ على معان مختلفة ، شأنه في ذلك شأن مفردات العربية الأخرى.

وتتعدد الألفاظ الدالة على الدعاء ، بحيث إن لكل لفظ دلالة خاصة به تختلف عن الأخرى ، ومن هنا كان التمايز والتباين في الاستعمال اللغوي. ومن الألفاظ الدالة على الدعاء:

أ- الصلاة :

وأصل الصلاة الدعاء ، مأخوذ من صلى يصلي إذا دعا[5] وقولهم : " وأما الصلاة في كلام العرب فإنها الدعاء ".[6]

كما أن الصلاة حقيقة في الدعاء مجاز لغوي في الهيئات المخصوصة المشتملة عليه[7]. والمقصود بالهيئات المخصوصة المعاني الأخرى للصلاة.

والصلاة بمعنى الدعاء جاءت في قوله تعالى:(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[8]، فمعنى (صلّ عليهم) : واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم[9].

---

(١) الأحزاب / ٥.

(٢) قاموس القرآن، ص ٤١٤-٤١٥.

(٣) مريم / ٩١.

(٤) لسان العرب، ٤-٣٦٢.

(٥) لسان العرب، ٣٩٧/٧-٣٩٨. الجامع لأحكام القرآن الكريم، ١-٦٨.

(٦) جامع البيان، الطبري، ١٠٤/١.

(٧) حاشية السيد الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف، ١٠٠/١.

(٨) التوبة / ١٠٣.

(٩) الكشاف، ٢٩٧/٢.

ب- الابتهال :

ومعنى التبهل: العناء بالطلب[1].

ويقـــال كذلك: ابتهل إلى الله بالدعاء: تضرع واجتهد[2] وأخلص في الدعاء ولا يقال ابتهل في الدعاء إلا إذا كان هناك اجتهاد[3].

ج- القنوت :

تـــتعدد معاني القنوت فتخرج إلى الطاعة والخشوع والصلاة والدعاء والعبادة والقيام وطول القيام والسكون[4] ، وكل هذه المعاني تلتقي في أصل واحد وهو الطاعة.

وعُدَّ مصطلح (القنوت) مصطلحاً قرآنياً لأنه لم يرد في الشعر الجاهلي على الرغم من أنه قد ورد في شعر عدي بن زياد[5].

د- التضرّع :

التضرع – لغـــة – يأتي لمعان متعددة كثيرة هي: التذلل والخشوع والابتهال والتلوي والاستعانة[6].

وقد ربط القرطبي بين التضرع والدعاء على أنهما بمعنى واحد ، على الرغم من أن التضرع من حالات الداعي ولوازم الدعاء ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: " ولقد أرسلنا إلى أمـــم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون " فلولا إذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون[7]. حيث قال: " ... والتضرع على هذه الوجوه غير نافع والدعاء مأمور به حال الرخاء والشدة "[8].

هـ- الســـــــلام :

الأصـــل فـــي الســـلام – لغـــة – : التعري من الآفات الظاهرة والباطنة[9]. وذهب الأزهري إلى أن السلام دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه[10].

---

(١) لسان العرب، ٥٢١/١.

(٢) أساس البلاغة ، الزمخشري، ٣٢. الجامع، القرطبي، ١٠٤/٤.

(٣) الكشاف، ٣٦٨/١.

(٤) لسان العرب، ٣١٣/١١-٣١٤.

(٥) التطور الدلالي، عودة أبو عودة، ٢١٠.

(٦) لسان العرب، ٥٣/٨.

(٧) الأحكام ٤٢-٤٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، ٦-٢٥، وانظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٦٧/٤.

(٩) معجم مفردات القرآن، ٢٤٥. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٩٧/٥.

(١٠) تهذيب اللغة، ٤٤٦/١٢.

و- الحمد والشكر :

ويأتـــي الحمد بمعنى الدعاء واضحاً في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: " **الحمد لله رب العالمين** "[1]. وقوله تعالى: " **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين** "[2]. وورد في قوله عليه الصلاة والسلام: " ... **أفضل الدعاء الحمد لله**"[3].

ز- التسبيح والذكر:

أصل التسبيح من السبح وهو العوم بالنهر[4]. والتسبيح : التنزيه ، وسبحان الله معناه: تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف . والسبحة الدعاء وصلاة التطوع والنافلة ، فمن هنا جاءت دلالة التسبيح والذكر على الدعاء [5].

ح- التعوذ :

العـــوْذ هو الالتجاء إلى الشيء . والاستعاذة هي الاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه[6]. والعوذ – كذلك- اللوذ والاعتصام[7].

ومـمـــا ورد في القرآن الكريم من استعمال (التعوذ) بدلالة الدعاء قوله تعالى : " **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** "[8]. والآيات الدالة على ذلك كثيرة[9].

ب- علاقة الدعاء بالأنبياء عليهم السلام:

يمـــثل الدعاء حالة توجه العبد إلى خالقه، وفيها إقرارٌ خالص منه بعبوديته لله تعالى دون غيره ، وعلم لا شك فيه باستفراده عز وجل بتلبية حاجة المحتاج ودعوة الداعي ، ويقين تام بسعة رحمته تبارك جلاله.

وكـــل دعـــاء مستجاب ، سواء كانت الاستجابة عاجلة أو آجلة ، وهذا تكريم من رب العالميـــن لعباده في أنه لا يرد طالبا ولا يخيب راجيا أو داعيا ، ومن هنا كانت استجابته عز وجل لدعاء إبليس عليه اللعنة إلى يوم الدين ، فكيف بدعاء من عرف الله تعالى وطلب رحمته

---

(١) الفاتحة / ١.

(٢) المؤمنون / ٢٨.

(٣) سنن المصطفى ، ابن ماجه، ٢/٢٤٠.

(٤) لسان العرب، ٦-١٤٣.

(٥) لسان العرب، ٦/١٤٤، ١٤٦

(٦) انظر: الدعاء في القرآن /٨٩، مقاييس اللغة: ٤/١٨٣-١٨٤.

(٧) لسان العرب، ٩/٤٦٤.

(٨) سورة الأعراف: الآية رقم ٢٠٠.

(٩) البقرة / ٦٧ ، هود / ٤٧ ، يوسف / ٢٣-٢٤

ومغفـرته ونصـرته ، حيـث دعا إبليس فيما جاء في القرآن الكريم على لسانه: " **قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون(٣٦) قال فإنك من المنظرين(٣٧)** "[١] .

والأنبياء هم أشرف الخلق وأكرمهم عند الله وأحبهم إليه ، يبلغون رسالاته إلى أممهم خاصة، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، ولا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فيكون دعاؤهم إلى ربهم دون وساطة أو حجاب، وكل أدعية الأنبياء مجابة [٢].

وأدعـية الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم- وهي محور هذه الدراسة- جاءت على ألسنتهم لطلب حاجة أو أكثر، تنوعت فيما بينهم من جانب واتفق بعضها في جانب آخر، ويمكن حصر أدعيتهم عليهم السلام فيما يأتي:

١. الشكوى والتوسل إلى الله تعالى.
٢. الدعاء بالخير للنفس.
٣. الدعاء بالنصرة.
٤. الدعاء بالخير للآخرين.
٥. الدعاء لإظهار الإعجاز.
٦. الدعاء على الآخرين بالشر.
٧. الدعاء بدفع الشر والبلاء.
٨. الدعاء للتثبت والاطمئنان.

▪ استجابة الدعاء :

من المؤكد أن لكل دعاء إجابة ، طال وقتها أو قصر، وهذا واضح في أدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم ، فقد جاءت الاستجابة مباشرة بعد الدعاء في بعضها ، ولم تأت في بعضها الآخر على الطريقة نفسها.

إن إجابة دعاء أحد الأنبياء عليهم السلام تكون من رب العالمين ، والإجابة ذات حكمة إلهية يريدها رب العزة للكشف عن أمر ما يخصه ، بحيث تتعلق بالنبي نفسه حينا ، أو بأهله حينا آخر، أو بالمؤمنين أو بالكافرين والمشركين في أدعية أخرى ، وهذه الحكمة لا يعلمها إلا الله وحده ، يختص بها لنفسه فهو العليم الحكيم.

ومن الأدعية التي أجيبت مباشرة في النص القرآني قوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام:" **قال رب إن قومي كذّبون(١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من**

---

(١) الحجر/ ٣٦-٣٧.

(٢) انظر كتاب: لكل دعاء قصة وإجابة ، ثامر محمود.

المؤمنيـــن(١١٨) "[١]. فقد جاءت استجابة الدعاء مباشرة لقوله تعالى:" **فأنجيناه ومن معه في الفلـــــك المشـــحـــون(١١٩) ثم أغرقنا بعدُ الباقين(١٢٠) إن في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين(١٢١)** "[٢].

ومـــن ذلـك أيضاً قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: " **وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين** "[٣] فجاءت استجابة الدعاء مباشرة بقوله تعالى:" **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**"[٤].

وهنالك بعض الأدعية التي لم تأت الاستجابة بعدها مباشرة في النص القرآني ، إلا أن المســـلم بـــه هو استجابة أدعية الأنبياء جميعها دون استثناء ، ومن أدعية الأنبياء في القرآن الكريم التي لم تتلوها الاستجابة المباشرة قوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام :" **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا(٢٦) إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً(٢٧) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا(٢٨)**" [٥] فقد انتهت آيات السورة الكريمة بانتهاء الدعاء.

---

(١) الشعراء / ١١٧-١١٨.

(٢) الشعراء / ١١٩-١٢١.

(٣) الأنبياء / ٨٩.

(٤) الأنبياء / ٩٠.

(٥) نوح / ٢٦-٢٨

ج- أثر التفسير الدلالي في اللغة – التشريع القرآني أنموذجا:

تتكون اللغة العربية من مفردات وتراكيب مختلفة شأنها في ذلك شأن بقية اللغات، وتمتاز عن غيرها في أنها مرتبطة بلغة القرآن الكريم ، وما تحمله هذه اللغة من إعجاز في استعمال هذه المفردات وتلك التراكيب ، فجاءت لغة القرآن لغة معجزة ذات بيان وفصاحة وبلاغة ، لا تكون لغيرها من اللغات.

وأدعية الأنبياء في القرآن الكريم تتكون من مفردات وصيغ ، وتراكيب شاملة ، وهي من لغة القرآن ، عنوانها الإعجاز العظيم والدلالات المعجزة التي جاءت من أجلها.

ومن الدلائل على إعجاز هذه اللغة في إظهار معانيها ودلالاتها في القرآن الكريم أن عدداً هائلاً من المؤلفات والمصنفات قد تناولت هذه اللغة من جوانب كثيرة مختلفة ، وامتدت هذه المؤلفات من القديم إلى يومنا هذا. وستظل قائمة إلى يوم الدين ، لأنه لا يمكن الإحاطة بمدلول هذه اللغة . ومن هنا تشعبت الآراء وتعددت التفاسير، والإعجاز في ذلك أن كل ما ورد يصلح لخدمة القرآن ولغته ، فوسعها ولم تَسعْه.

والتفسير الدلالي أحد وجوه التفاسير التي تناولت لغة القرآن الكريم بالبحث والكشف عن مظاهر إعجازه ، وهو تفسير ذو شأن عظيم لأنه مرتبط بالحرف والمفردة والجملة على السواء ، وكيف جاءت ولِمَ جاءت على هذه الصورة ؟ ومؤدى ذلك كله إظهار لعظمة الخالق في كتابه العظيم.

والتفسير الدلالي يتضمن جانبين : أولهما الدلالة الصرفية وثانيهما الدلالة النحوية، باعتبارهما جزءاً من الدلالة اللغوية العامة ، واعتقد أنه سيكون هناك موقع عظيم للدلالة الصوتية أيضا في القرآن الكريم في يوم من الأيام ، وما أظنه إلا قريبا.

والتفسير الدلالي للصيغة أو التركيب لا يمكن تقييده بتفسير معين مخصوص ، ولا يمكن تحديد ضوابط خاصة به ، فيقال إن هذه الصيغة جاءت لهذا المعنى فقط ، وإن هذا التركيب قد جاء لهذه الدلالة وحدها . ولكن يمكن القول بأن لهذه الصيغة أو هذا التركيب دلالات متنوعة لا يمكن الوقوف عليها كلها ، ومن هنا تكون بلاغة النص وإعجاز اللغة.

ولارتباط هذا البحث بالقرآن الكريم وما جاء فيه من لغة الأدعية الواردة على لسان الأنبياء عليهم السلام ، فإن إظهار أهمية التفسير الدلالي يكون من خلال إظهار أثر الدلالة الصرفية أو النحوية في اللغة الواردة في القرآن الكريم.

وقـد وقعـت على دراسة جادة بهذا الشأن للدكتور عبد القادر السعدي بعنوان " **أثر الدلالة النحوية واللغوية لاستنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية**" وهي – في الأصل – رسالة ماجستير قدمت في جامعة بغداد عام ١٩٨٢م.

ومن الأمثلة على أهمية التفسير الدلالي في اللغة ، مما ورد في الدراسة المذكورة ما يأتي:

١. دلالة (صعد) في قوله تعالى:" **فتيمموا صعيداً طيبا** "[١] فقد ذهب فريق إلى أن الصعيد هو كل ما هو من جنس وجه الأرض وما هو متولد منها ، سواء أكان عليه تراب أم لـم يكن ، ومن هؤلاء أبو حنيفة ومالك . وذهب فريق آخر إلى أن الصعيد ليس إلا التراب، ومن هؤلاء الشافعي وهو مذهب الحنابلة.

ومـن حجـج الفريق الأول أن كلمة (صعيد) صفة مشبهة على وزن (فعيل) وهي بمعنى (صـاعد) والمـراد به المرتفع من الأرض ، ولما كان وجه الأرض مرتفعاً سمي به ، سواء أكان تراباً أم غيره.

أمـا الفـريق الثانـي فكان من حججه في أن الصعيد هو التراب قوله تعالى:" **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** "[٢] ، من حيث إن حرف الجر (من) للتبعيض ، أي فلا بد من إيصال بعض الصعيد إلى الأعضاء الممسوحة ، ولا يتحقق إلا بالتراب.

لقـد لجأ كل فريق إلى الدلالة اللغوية والصرفية والنحوية لإثبات تفسيره، وإعطاء الدلالة للآية الكريمة والحكم الشرعي، وعليه يكون للإنسان أن يختار كيفية التيمم على الطريقة التي لا يخـالف فـيها نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً، على الرغم من أن صاحب الدراسة قد ذهب إليه الفريق الأول معتمداً أيضاً على الدلالة اللغوية والنحوية لما جاء في الآية من صيغ وتراكيب[٣].

ومـثال آخر يظهر أهمية التفسير الدلالي للصيغة المفردة أو التركيب في الآية القرآنية ، وما يتبع ذلك من استنباط الحكم الشرعي ، قوله تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنـتم سـكارى حـتى تعلموا ما تقولون** "[٤] إذ إن هذه الآية تتعلق بحكم الصلاة في حالة السكر، وقد استنبط الحكم الشرعي بالنظر إلى التركيب النحوي ودلالته ، فجاء الحكم الشرعي بعـدم جواز قربان الصلاة حالة السُكر حتى يزول ، وكانت الحجة النحوية في ذلك أن قوله

---

(١) النساء / ٤٣، والمائدة / ٦.

(٢) المائدة / ٦

(٣) أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، ٢٨٨.

(٤) النساء / ٤٣.

تعالى:" وأنتم سكارى" جملة اسمية في موضع النصـــب على أنها حال من الواو في (تقربوا) وهي حال مؤسسة ، أي لا تقربوا الصلاة حال كونكم سكارى ، وقال أبو حيان:" وظاهر الآية يدل على النهي عن قربان الصلاة في حالة السُكر "[1]

وبما أن الحال صفة غير لازمة غالبا فقد جعل لها غاية تنتهي عندها ، وهي العلم بما يقول السكران لأنه تعالى قال: " **حتى تعلموا ما تقولون** " والحرف (حتى) للغاية ، وإنما جعل العلـــم بما يقال غاية لجواز إتيان الصلاة لأنه إمارة انتهاء حالة السكر التي قيد بها النهي عن قربان الصلاة ؛ لذلك قال النحاس :" وقوله حتى تعلموا ما تقولون يدل على أن من كان يعلم ما يقول فليس بسكران "[2].

لقد استنبط الحكم الشرعي من هذه الآية وفق الدلالة النحوية واستعمال دلالة حرف الجر (حتى) لإظهار جواز إتيان الصلاة.

ان الأمـــثلة علـــى أثر التفسير الدلالي في اللغة كثيرة لا تحصى ، وكل صيغة جاءت لدلالـــة ما، وكل تركيب جاء لدلالة معينة ، بحيث لا يغني عن دلالته تركيب آخر، ولا يغني عـــن دلالـــتها صـــيغة أخرى ، وهذا خاص باللغة الفصيحة الأدبية ، والتي مثلها الأعلى لغة القرآن الشريفة.

والتفســـير الدلالي بقيمه المختلفة من حذف وزيادة ، وتقديم وتأخير ، ووصل وفصل إلى غير ذلك ، يشرع الباب أمام النص ليكون مجالا رحبا للبحث والتمحيص والتحقيق ، ومن هنا يمكن إيجاز أثر التفسير في اللغة بما يأتي :

١) النص الفصيح الأدبي هو مجال التفسير الدلالي.

٢) التفســـير الدلالي للتركيب أو الصيغة يؤدي إلى حقائق متضادة أو نتائج مختلفة ، إنما سببه فيها اختلاف في التصور وتوحد في النتيجة.

٣) الدلالـــة الصرفية للصيغة تعطي النص قيمته وأبعاده المقصودة دون النظر إلى سبب إنشاء النص وقوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام دليل على ذلك:" ... فهب لي مـــن لدنـــك وليا "[3]. إذ إن كلمة (وليا) على وزن (فعيل) مما يستوي فيه التذكير والتأنيث على رأي النحويين والصرفيين ، وهذا يعني أن زكريا عليه السلام كـــان يرغـــب بولي له دون تحديد جنسه من ذكر أو أنثى ، أن كلمة (ولي) وردت

---

(١) البحر المحيط: ٣/٢٥٥.

(٢) إعراب القرآن ١/٤١٩

(٣) مريم / ٥

بمعنى الذكر والأنثى مما يؤكد دلالة الصيغة مباشرة على المعنى المقصود دون النظر إلى مناسبة النص أو سبب إنشائه.

٤) الدلالة النحوية للتركيب تعطي النص قيمته وأبعاده المقصودة ، دون القول بالضرورة أو الاعتباطية ، فالنص الفصيح لا يُقدَّم إلا لدلالة ولا يؤخر إلا لأخرى ، ولا يحذف منه إلا لقصد ولا يزاد فيه إلا لأخر، والحال نفسه في عناصر التركيب جميعها.

وللدلالة على ما سبق قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: " **قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا...(٤) وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا(٥)** "[1] إذ جاء مانع الإنجاب من جهتين: الأولى من زكريا (إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا) ، والثانية من زوجه (وكانت امرأتي عاقرا) ودلالة ذلك أن زكريا يسترحم ربه من خلال إظهار عجزه أولا ثم عجز غيره . فلا يلقى بالعجز على الآخرين خوفا من عدم الإجابة ورجاء لها.

وبعد أن تلقى البشرى بيحيى ، جاء قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: " قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا" فقد أظهر زكريا قدرة الله عز وجل من خلال إظهاره للعجز البشري في الأمر نفسه، فكان إظهاره للعجز البشري من جهتين قد ذكرهما سابقا، ولكنه قدم وأخر: الجهة الأولى من زوجه (وكانت امرأتي عاقرا) والجهة الثانية من زكريا نفسه (وقد بلغت من الكبر عتيا). وهذا الإظهار للعجز البشري مغاير لما بدأ فيه الدعاء. ولا يكون هذا التغاير من أجل جمال النص لأجل الجمال أو لمنع التكرار، وإبعاد الملل ، وحاشا لله أن يكون مثل هذا في كتاب الله تعالى هو الأساس.

ولذلك جاء اختلاف التراكيب ذا دلالة مهمة في الآية الكريمة ، كما أن مجيء أي تركيب فصيح لابد أن يكون عظيما بدلالته ، سواء أكان النص قرآنيا أم شعريا أم نثريا.

٥) التفسير الدلالي ذو تشعب عميق ، ومعان متعددة ، وله أثر في التمايز والإبداع، وبيان ذلك أن هذا التفسير يقف على دقائق المعاني، وأسرار التراكيب التي تؤدي تلك الدقائق، فيكون قد أحاط بما لم يقف عنده غيره من المعاني.

---

[1] مريم / ٤-٥

د- أثر لغة القرآن في التفسير الدلالي – أدعية الأنبياء أنموذجا:

لـــم يأت التفسير الدلالي نبتاً خالصاً من نفسه ، وإنما دعته اللغة إلى ذلك ، وبخاصة لغـــة القـــرآن الكـــريم ، لارتباط هذا التفسير بالأحكام الشرعية التي تجعل للإنسان ضوابط ومعايير، يحتكم إليها فيما يخصه من أمور دنياه وأخرته ، لأن القرآن منهاج عمل يعود إليه من يلتزم به فلا يعدل عنه إلى غيره.

ومن ميزات لغة القرآن أنها لغة معجزة ، وهذا الإعجاز لا يكون في الصورة الشكلية لمفرداتها وتراكيبها ، وإنما في دلالاتها وأبعادها التي لا تكون في غيرها. ومن الاستحالة أن تصـــل نصوص أخرى إلى مستواها ، فهي كلام الله تعالى الذي تحدى فصحاء العربية في أن يأتوا بسورة من مثله . ومن هنا فقد جاءت التفاسير الكثيرة للقرآن الكريم ، وألفاظه ومفرداته وغريبه في محاولة للوقوف على إعجازه وبلاغته[1].

وأدعـــية الأنبـــياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم ذات معان ودلالات عظيمة معجـــزة ، شـــأنها في ذلك شأن لغة القرآن كلها ، تتنوع فيها دلالات نفسية ودينية وأخلاقية كثـــيرة، تنبـــئ عن عظيم هذه الأدعية باللغة التي وردت فيها ، فتكون الصيغة محل دلالة لا تصـــل إليها دلالة صيغة أخرى في الموضع نفسه ، ويكون التركيب محل دلالة لا تصل إليها دلالـــة تركيـــب أخر في الموضع نفسه أيضاً، بحيث لا يمكن إقامة صيغة مكان أخرى ، أو تركيب بدل أخر إذا ما أردنا الدلالة المقصودة من هذه الصيغة أو ذلك التركيب.

ومـــثال على أثر لغة القرآن في التفسير الدلالي ما جاء على لسان سيدنا موسى عليه السلام في قوله تعالى:" **قال رب اشرح لي صدري(٢٥) ويسر لي أمري(٢٦) واحلل عقدة من لساني(٢٧) يفقهوا قولي(٢٨)**"[2]

فقـــد كان في لسان سيدنا موسى عليه السلام لثغة ، والله عالم بها ، فلو كانت الناحية النطقية عند موسى عليه السلام تمنع من تأدية رسالة رب العالمين لما اختاره لها ، وقد سببت هـــذه اللـــثغة حـــرجا لسيدنا موسى عليه السلام ، فرأى أنه غير قادر على أداء رسالة رب العالميـــن، فأراد إظهار عجزه بشيء يعود في خلقه إلى الله تعالى ، ليجد لنفسه حجة في عدم قدرتـــه ؛ لذلـــك كانـــت لغة القرآن بحاجة إلى البحث عن مدلولاتها للوصول إلى مقصودها المعجز.

---

[1] انظر: أثر اللغة في اختلافات الفقهاء – عدنان سوسي ، حيث تناول مسائل مختلفة حول هذا المضمون بدراسة وافية

[2] طه / ٢٥-٢٨

ومـــثال آخر ما ورد على لسان سيدنا زكريا عليه السلام في قوله تعالى : " قال رب أنـــىّ يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء "[1] فقد جاء تســـاؤل زكـــريا عليه السلام عن كيفية مجيء يحيى رغم الموانع البشرية : الهرم والعاقر ، وهـــذه الأمـــور علـــى ســـطحيتها يفهمهـــا الجميع، إلا أن هذه الآية بحاجة إلى الكشف عن مدلولاتـــهـــا ، ومـــنها أن زكـــريا يتساءل بتساؤل الإنسان الطبيعي لا النبي المرسل من الله تعـــالى ، فهـــو يتســـاءل بتســـاؤل من سيأتي بعده إلى يوم الدين، ليضعه أمام قدرة الخالق ومعجزاته، وصغر قدرة العبد أمام قدرة الله عز وجل.

ومن هنا كان لا بد من وجود علم التفسير الدلالي للغة عامة : مفردات وتراكيب ، من أجْـلّ الوصـــول إلـــى ما وضعت هذه المفردات وتلك التراكيب للدلالة عليه، وفي الفصلين القادمين سيكون للدلالة الصرفية والنحوية سعة وعمق نستجليه من أدعية الأنبياء عليهم السلام فـــي القـــرآن الكـــريم، وأثر الصيغ والتراكيب الواردة فيها في إظهار أهمية التفسير الدلالي للكشـــف عن إعجاز اللغة الشريفة في القرآن الكريم، والكشف عن مقاصد الكلام في أي نص أخر.

إن اللفـــظ الواحـــد له مدلـــولات كثيرة وفق السياق الذي يجيء فيه، كما أن للتركيب دلالات وفق نظمه وترتيبه[2].

ومن هنا جاءت مقولة أبي عمرو بن العلاء : " إن فهم لغة القرآن وتدبّر معانيه غاية كل مسلم، وإن الشعر واللغة ينبغي أن يكونا أدوات لفهم لغة القرآن " [3].

فالقـرآن فـي نظمه وتأليفه خالف جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفـى على مخارج الأشعار والأسجاع ، فصار نظمه من أعظم البراهين ، وتاليفه من أكبر الحجج[4]

---

[1] آل عمران / ٤٠

[2] الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن ٨٧ ، أحمد بن فارس وعلم الدلالة ١٣٨

[3] أحمد بن فارس وعلم الدلالة ١٦٦

[4] بلاغة القرآن الكريم عند الجاحظ ٨١

الفصل الثاني

دلالات التراكيب النحوية

في

أدعية الأنبياء

في القرآن الكريم

التركيب النحويّ

" الجملة هي القول المركب الذي يقوم بمعناه من مسند ومسند إليه "

السيوطي / همع الهوامع

" والجملة تركيب إسنادي بالنظر إلى التركيب الإفرادي،
وبواسطة الإسناد يعقد الكلام المفيد ...
وهي قاعدة الحديث ، والكلام المفيد القائم برأسه ، المستقل بمعناه "

المنصف عاشور : بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية

دعاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" وقال الرسول يا ربِّ إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا محمد علية الصلاة والسلام في الآية (٣٠) من سورة الفرقان*

الحذف:

جـــاء المنادى (ربِّ) دون الإضافة إلى ياء المتكلم، والأصل (ربّي)، ودليل الحذف هـــو الكســـرة على (ربِّ)، ودلالة الحذف في هذا المقام مرتبطة بوجود أداة النداء (يا) وعدم حذفهـــا، إذ إنّ ذكـــر أداة الـــنداء (يا) تناسب جملة الدعاء الموجودة، وهي تعبر عن قول فيه تحسُّر وحزن ومعاناة[١]. وهذا القول جاء بعد عمل وفعل لدعوة قومه إلى الإيمان بالله واتباع تعالـــيمه، فكـــان ذكر أداة النداء ضروريا، ليوصل دعاءه إلى الله تعالى، خوفاً من غضب الله عليه، فبالخطاب يشعر عليه الصلاة والسلام بالقرب منه تعالى، وتطمئن نفسه فلا يخاف هجرا ولا بعـــدا عنه تعالى؛ لذلك استعمل (يا) وذكرها، وفي المقابل حذف (ضمير المتكلم) للدلالة على أنه مستح من عرض نفسه على الله لتقصيره في الدعوة، وأن سبب ذلك يلقيه على قومه، فالتقصـــير من قومه لا منه ، ومما يدل على ذلك أن الضمير (ياء المتكلم) في (إن قومي) لا تظهر أيضا في دعائه لأنها متصلة بالفعل (اتخذوا) ، وفيه همزة الوصل ، فقطع جزءا كبيرا مـــن نطـــق (ياء المتكلم) في (قومي)، وهذا يناسب قطعها في المنادى (ربِّ) ، فمقطع ياء المتكلم في (ربِّ) يماثل مقطع ياء المتكلم في (قومي اتخذوا) وهذا لإخفاء نفسه ، لشعوره بأنه لم يقم بما وكله الله تعالى إليه عليه الصلاة والسلام.

لذلك جاء الحذف لضمير المتكلم الياء في هذا السياق، ولو كان فيه غير ذلك لاستعمل حرف التحقيق (قد) : إن قومي قد اتخذوا، ليؤكد تقصيرهم وعدم تقصيره[٢].

---

* انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل ٢٦٩/٣، تفسير البحر المحيط ٤٥٥/٦.

[١] الكشاف ٢٦٩/٣، المعاني في ضوء أساليب القرآن- عبد الفتاح لاشين ١٩٠

[٢] للمزيد عن الحذف انظر دلائل الاعجاز ١٤٦-١٦١

الزيادة :

في مقابل هذا الحذف والتقصير جاء في الدعاء فيه إطالة وزيادة عند ذكره لتقصير قومه، فقال (إنّ) ليؤكد جانب التقصير من جانب قومه ، وهو حرف التوكيد والتحقيق، والجملة التي تعبر عن حقيقة ثابتة تصدّر بـ(أنّ)[1] ثم جاء قوله (اتخذوا) ، والإطالة فيه واضحة، فهو

فعل متعدٍ إلى مفعولين، كما يؤكد ذلك وجود كلمة (قومي) بالجملة الاسمية، ثم تأكيد ذلك بالضمير (واو الجماعة) في (اتخذوا) فأخفى نفسه مرتين (ربّ) بحذف الياء، و(قومي) بحذفها لفظياً لاتصالها بما بعدها. وذكر قومه مرتين بوضوح (قومي) و (واو الجماعة) الممطولة في (اتخذوا) فهو يغرق في إخفاء نفسه، كما يغرق في إظهار قومه.

وهذه الإطالة في وصف الإخبار عن قومه يؤيدها استعمال اسم الإشارة (هذا)، وما فيه من مدٍّ نطقي أيضا، وكذلك زيادة البدل (القرآن) وما فيه من إطالة وتفخيم من جانبين :

أ- المدّ الصوتي (هذا القرآن).

ب-استعمال كلمة (القرآن) للدلالة على هجران قومه القرآن كله، على الرغم من أن القرآن لم يكن قد تنزّل كله بعد، ولكن ليظهر أن التقصير من قومه (إنه مهما سينزل من آيات أخرى ومهما سأدعوهم فإنهم لن يستجيبوا) وهذا على اعتبار ما سيكون، فذكر الكل ولكن الجزء هو الذي تنزل، فكان الهجر بمنزلة الشيء الباطل الذي لا يؤتى[2]. والإطالة أيضا واضحة من استعمال المفعول به (مهجوراً) فهو بناء طويل ألحق به التنوين في فواصل السور ليكون مَدا طويلا.

الجملة الاسمية والجملة الفعلية :

وجاء الدعاء أيضا على تركيب الجملة الاسمية الطويلة التي يكون خبرها جملة فعلية ، فالفعلية تأكيد للاسم المبتدأ ، والجملة الاسمية تحتوي صفة الثبات أكثر من الفعلية [3] ، لذلك جاء الدعاء ثبوت التقصير من قومه (إنّ قومي) ويتجدد هجر قومه للقرآن مع كل نزول آيه أو دعوة ، فجاءت الجملة الفعلية[4] خبرا يتجدد فيه هجر القرآن وترك الدعوة من قومه لا منه هو.

---

[1] الجمل المصدرة (بأن)و (أنّ) – المستشرق الالماني ولف ديتريش ٩٧-٩٨

[2] تفسير البحر المحيط ٦/٤٥٥

[3] دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥ ، علم الاسلوب ٢٠٩

[4] علم الاسلوب ٢٠٩-٢١٠

دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – الدعاء الثاني :

" يا ربِّ إنّ هؤلاء قومٌ لا يؤمنون "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الآية (٨٨) من سورة الزخرف*.

النداء والحذف:

جـــاءت صيغة النداء كما في الدعاء السابق (يا ربّ) بذكر أداة النداء و حذف ياء المتكلم من كلمة (ربّ) ودليل الحذف وجود الكسرة[1] ، كما بدأ الدعاء بحرف التـــوكيد (إنّ) ، فكرر قومه بطريقتين :

أ- هؤلاء : ويقصد (قومه)

ب- قوم لا يؤمنون : بذكر كلمة قوم

وكلتا الطريقتين بلفظ الجمع (هؤلاء ، قوم)

الجملة الاسمية :

وجاءت جملة الدعاء جملة اسمية أيضا من مبتدأ وخبر (هؤلاء قوم) وهذه الجملة فيها حذف و زيادة .

أ- **الحذف** : فالحذف كان للاسم البدل الواقع بعد اسم الإشارة (هؤلاء)؛ لأن الإشارة لا تكـــون إلا لمشـــار إليه (إنّ هؤلاء القوم – قوم لا يؤمنون) ،وقد جاء هذا الحذف للدلالة على أنّ النبي عليه السلام يعيش في وسط قومه، وأنه ما زال يدعوهم ، وأنه قريب منهم وعلـــى مـــرمى إشارته (هؤلاء هم) وأنهم يحيطون به، فلا تكون الإشارة إلا إلى جهة واحـــدة، فمن هنا حذفت كلمة (القوم). وهذا الحذف ايضا له دلالة أخرى، وهي أنه قد تـــبرأ مـــنهم و أنه ليس منهم ، وإلا لقال (إنّ هؤلاء قومي قوم لا يؤمنون)، فكان حذفهم تقليلاً من شأنهم.

---

* للمزيد عن هذا الدعاء ، انظر: الكشاف ٢٦١/٤ ، تفسير البحر المحيط ٣٠/٨

[1] للمزيد عن الحذف و دلالاته ، دلائل الإعجاز ١٤٦ – ١٦١

التنكير :

وأخبر عنهم بـ (قوم) وهي نكرة للدلالة على أنهم لا يشكلون شيئا له، و أنه باق على دعوتهم ، فوليّ أمرهم الله تعالى ؛ فالتنكير هنا دلالة احتقار لهم وتصغير[1].

ب- الزيادة :

أمّا الزيادة فهي في قوله (لا يؤمنون)، فالجملة الفعلية المنفية جاءت في موقع النعت لـ(قوم). وهذا النعت ضروري النكر لتمييز هؤلاء القوم و وصفهم بما هو فيهم (أنهم غير مؤمنين)، و لم يحدّد الشيء الذي لا يؤمنون به (الله ، القران ، الدعوة ، أحكام الشريعة...)، وإنما ترك ذلك مطلقا للدلالة على أنهم غير مؤمنين بشيء على الإطلاق، و أنه لا نفع منهم و لا جدوى ، وهذا يؤكد مرة أخرى رغبة الرسول بإلقاء التقصير على غيره من قومه وأما هو فقد قام بواجبه في إيصال رسالته ، والعمل بدعوته.

---

[1] لغة القرآن الكريم ٣٤١-٣٤٢

دعاء سيدنا آدم عليه السلام :

" قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين ".

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا آدم عليه السلام و زوجه و حواء في الآية رقم (٢٣) من سورة الأعراف* .

الإضافة :

لقد جاء النداء في هذه الآية (ربّنا) بلزوم الإضافة إلى ضمير المتكلمين لأنّ الدعاء أتى من اثنين : آدم و حواء ، لذا لزم وجود الضمير المضاف وهو الضمير (نا) الذي يصلح استعماله للمثنى و الجمع على السواء ، فالمثنى ما يدل على (آدم و حواء) والجمع ما يدل على (ذريتهما كلّها) من بعدهما.

الحذف :

وحذف أداة النداء كان للدلالة على قربهما من الله تعالى، و إحساسهما بالذنب فاستعملا طلب المغفرة و الرحمة بعد إقرارهما بالذنب، ومن المعلوم أن حذف الياء يرد للتعظيم أحيانا[١].

ترك التوكيد :

وجاءت جملة الدعاء (ظلمنا أنفسنا)، وهنا ترك التوكيد بـ (إنّ) أو حرف التحقيق (قد) ، نحو :(إنّا ظلمنا أنفسنا) أو (لقد ظلمنا أنفسنا) ودلالة ذلك أن هذا الدعاء لا يحتاج هذا التأكيد ، بسبب وجود شخصين اثنين (آدم و حواء) ، فأحدهما شاهد على الأخر وهذا دليل كاف ، فقد بدأ الدعاء (قالا) بالمثنى (ربّنا) للمثنى أيضا ، فوجود الشاهد تأكيد لما يقال.

الجملة الفعلية :

جاءت جملة الدعاء جملة فعلية ، وهذه الجملة تفيد التجدّد و الحدوث[٢]. وهذا ذو دلالة على أنّ بني آدم متجددون في الظلم، ويَظلمون و يُظلمون ، ويتوبون[٣]. وجاء المفعول به (أنفسنا) بصيغة الجمع لا المثنى (ظلمنا أنفسنا) كما جاء في قوله (الخاسرين) بالجمع و ليس (الخاسرَين) بالمثنى بحذف حرف الجر (من) ، ودلالة ذلك أنّ آدم و حواء يمثلان البشر

---

* للمزيد، انظر : الكشّاف ٩٣/٢ ، تفسير البحر المحيط ٢٨٢/٤ والجامع لأحكام القرآن ١١٧/٧

[١] الجامع لأحكام القرآن١١٧/٧ ، المعاني في ضوء أساليب القرآن ،ص

[٢] دلائل الإعجاز ١٧٤- ١٧٥

[٣] لغة القرآن الكريم ٣٤٦ ، للمزيد انظر ٣٤٦ – ٣٥٣

كلهـــم ، فهما يتكلمان بلسان من سيأتي بعدهما من ذريتهما ، إذ إنه لا بد أن يكون هناك من يضلّ عن الهداية ويظلم نفسه، وهذا أمر متجدّد الحدوث في كلّ لحظة إلى يوم الدين .

الجملة الشرطية:

وجـــاءت الجملـــة الشـــرطية المنفية في فعلها لتضيف جزما إلى جزم، ففعل الشرط مجـــزوم بأداة الشرط الجازمة (إنْ) من ناحية، وفعل الشرط (تغفرْ) مجزوم أيضا بأداة الجزم (لـــم) مـــن ناحية أخرى، ودلالة ذلك أن الجزم قد تكرر في الموضع نفسه ، لأن آدم و حواء يجـــزمان القول بالخسران المبين إن لم يغفر الله تعالى لهما ويرحمهما . وهذا الجزم والتأكيد نجـــده فـــي جملـــة جواب الشرط (لنكوننّ) . فاللام و نون التوكيد الثقيلة جاءت للدلالة على حتمـــية الخســـران بوجود الظلم من ناحية، وبعدم وجود المغفرة والرحمة من ناحية أخرى ، ويؤكد ذلك وجود نون التوكيد الثقيلة لا الخفيفة، لأن الخسران ثقيل عليهما (آدم وحواء) ولن يحـــتملاه إلا بمغفرة الله ورحمته، ففائدة التأكيد تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الغلط في التأويل[1].

حروف المعاني :

وجاء حرف الجر (من) ليدل على الجزم والتبعيض[2] ، ويدل على أن آدم و حواء يتكلمان بلسان ذريتهما ، ولو اقتصر الأمر عليهما وحدهما لكان الدعاء: (لنكوننّ الخاسرين) لأنه لم يكن يوجد أحد سواهما في هذا الكون ، ولكن وجود حرف الجر (من) دلّ على أن هناك آخرين غيرهما سيكونون خاسرين أيضا ، وهؤلاء الآخرون هم ذرية آدم وحواء .

الحذف والذكر :

وجاء استعمال الفعلين (تغفر) و (ترحم) . وهما متعديان، فحذف مفعول الفعل (تغفر) وذكر مفعول (ترحم) وهو الضمير (نا). ودلالة ذلك أن المغفرة تتعلق بأشياء كثيرة لا يمكن إحصـــاؤها، وخاصة إذا ما ارتبطت بالظلم ، فالظلم أنواع ، ومنه ظلم الآخرين ، فهنا ترتبط المغفرة برفع الظلم عن الآخرين أولا ، ولذا لم يذكر المفعول به للفعل (تغفر) ولكنه الفعل جاء على الإطلاق دون تحديد ما المراد غفرانه .

أمـــا الـــرحمة فقد وسعت رحمة الله كل شيء ، فبدأ بالتخصيص (المغفرة) ثم انتهى بالتعميم (الرحمة) . فالرحمة تأتي بعد مغفرة الذنب .

---

[1] شرح المفصل ٣/٤٠

[2] انظر : الحروف العاملة في القرآن الكريم ٢٩١-٣١١

إن نسبة الظلم إلى (أنفسهما) كان بسبب أنه لم يكن غيرهما ليظلموه ، ولكن كونه (من الخاسرين) دلالة على أنه قد سبب الظلم لغيره، فسيخسر غيره، و سيظلم وكلّ بسببهما (آدم و حواء) من خلال [ظلمنا أنفسنا] و [لنكونّن من الخاسرين] .

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ(٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ "(٤٧).

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الآيات (٤٥-٤٧) من سورة هود*.

جاءت جملة الدعاء مبدوءة بالفعل (نادى) بمعنى (دعا)(١).

وجاء المنادى (ربّ) بحذف أداة النداء وضمير المتكلم الياء (ربي)، ودلالة ذلك أنه على عجل في طلب الرحمة والمغفرة لابنه، قبل أن يقع عليه عذاب الله تعالى وإغراقه في الطوفان(٢).

ثم جاء بالتأكيد (إن ابني من أهلي) ليؤكد انتماء ابنه إليه، والله تعالى أعلم بذلك منه، ثم كرر التأكيد (إنّ) في (إنَّ وعدك الحق)، ليؤكد أن ما قدره الله تعالى نافذ لا محالة، وكل شيء هو بحكمة من أحكم الحاكمين، الذي له في كل شيء حكمة، ونرى أنه قد ترك التأكيد في (وأنت أحكم الحاكمين) انسجاما مع ما قبله نحو (وإنك أنت أحكم الحاكمين) أو (وإنك أحكم الحاكمين)، فسيدنا نوح لا يحتاج إلى تأكيد حكمة الله تعالى، فهذا أمر مسلم به، لذلك وجه التأكيد نحو ابنه وهو محور الدعاء، مستعملا الجملة الاسمية للدلالة على ثبوت نسب (ابني) إلى (من أهلي)، كما هو ثابت في أن وعد الله الحق، وأنه تعالى أحكم الحاكمين(٣).

وتأتي الجملة الحوارية بين الداعي والمدعو، فقد ذكر نوح عليه السلام أن ابنه من أهله، فكان الرد الإلهي عليه أن ابنه ليس من أهله، بل هو عمل غير صالح، وهنا جاءت هذه الجملة للدلالة على أن النسب لا يكون بالأبوة والبنوة، وإنما بالسلوك ، ومن هنا كان القرآن خلف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه لعلى خلق عظيم وهذه هي صفات الأنبياء؛ فالأنبياء الصالحون لا يأتي من ذريتهم إلا الصالحون الطيبون، فهنا انتفت صفة البنوة والأبوة،

---

* لمزيد عن هذا الدعاء انظر: الكشاف ٣٨٣/٢-٣٨٥، وتفسير البحر المحيط، ٢٢٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، ٣١/٩-٣٣، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ٣٢١-٣٢٢.

(١) قاموس القرآن، ١٧٤. ومعجم مفردات ألفاظ القرآن، ١٧١.

(٢) حول المضمون، الحذف، انظر: دلائل الإعجاز ١٤٦-١٦١.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز/ ١٧٤-١٧٥، وعلم الأسلوب ٢٠٩.

لانـــتفاء صفة العقيدة والوحدانية والدين[1] بين الابن وأبيه؛ لذلك جاء الإخبار عن الابن بشيء معنوي (إنه عمل غير صالح).

وجـــاء الحذف في قوله (فلا تسألن)، بحذف ياء المتكلم، ودلالة ذلك أن الله تعالى قد جزم على نوح عليه السلام بعدم السؤال عن غيب الله وحكمته،وتأكيدا على أهمية السؤال بأمر يخصّـــه تعالى وتكـــرر هـــذا الحذف في قوله تعالى : " إني أعظك أن تكون من الجاهلين "، وأصل القول (إني أعظك أن (لا) تكون من الجاهلين)، ولكن الإثبات في الجملة دل على النفي وهـــذا من بلاغة القرآن وإعجازه، حيث يمكن القول إن العظة لا تعني دائما النصح بالخير، وإنمـــا تعني التحذير في الوقت نفسه، ومن هنا تكون الجملة بمعنى (إني أحذرك أن تكون من الجاهلين) ولكن من باب التلطف والتودد[2]، مراعاة لشعور الأبوة نحو ابنه وغرقه.

وتســـتكمل الجملـــة الحواريـــة بتكرار (قال رب) بما ورد فيها من حذف لأداة النداء وضـــمير المـــتكلم المضاف إليه (رب) لاستعجال نوح عليه السلام في التوبة والاستغفار لله تعالى، بادئا بالاستعاذة من أن يحيط بعلم الله تعالى أو السؤال عنه، جاعلا نفسه من الخاسرين إن لم تنله المغفرة والرحمة[3].

إن هـــذا الخسران في عدم وجود المغفرة والرحمة من الله تعالى يذكرنا بالشيء نفسه فـــي دعاء سيدنا آدم عليه السلام **(قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاســـرين)**[4] فالخســـران الأكـــيد يكون بعدم وجود المغفرة والرحمة من الله تعالى، فانتهى الدعـــاء بطلب المغفرة والرحمة لنوح عليه السلام نفسه، حيث تخلى عن ابنه وترك حكمه لله تعالى، ونأى بنفسه عنه طلبا لمرضاة الله ومغفرته ورحمته.

---

(١) الكشاف، ٣٨٤/٢.

(٢) تفسير البحر المحيط، ٢٣٠/٥.

(٣) شرح المفصل، ١٥/٢-١٦.

(٤) الأعراف / ٢٣.

دعاء نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ " (سورة المؤمنون:٢٦) .

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الآية (٢٦) من سورة المؤمنون*.

جـــاء هذا الدعاء محذوف أداة النداء، وجاء المنادى (ربّ) محذوف ياء المتكلم (ربّي) وتكمن دلالة هذا الحذف في سرعة الطلب للنصرة على قومه الذين كذبوه وكذبوا دعوته(١).

وجـــاء الطلـــب (انصـــرني) جملة فعلية طلبية، طالبا نوح بالنصرة السريعة من ربه تعالى، فهو قد دعا وأتم دعوته، ولكنهم لم يؤمنوا بما جاء به، فلم يجد بُداً من دعاء الله وطلب المعونة والنصرة(٢).

والفعل (انصرني) يحتمل احتمالين:

١. النصر على أعدائه والقضاء عليهم لأنهم كذبوه.

٢. النصر له في دعوته بأن يؤمنوا به، وبما جاء به من ربه جل وعز.

ومما يلاحظ أن ياء المتكلم في الفعل (انصرني) قد جاءت ظاهرة بارزة لأنه يريد النصرة لنفسه خالصة، ويخصصها له دون غيره، دلالة على حاجته لهذه النصرة والقوة من الله تعالى، إلا أن يـــاء المتكلم في الفعل (كذّبون) قد حذفت، وهذا الحذف دلالة على أنه لم يرد تخصيص كذب قومه به هو نفسه، وإنما يتركه غير ظاهر، ليشرك ربه في هذا الأمر، وهو أن قومه قد كذبوا دعوة الله تعالى التي جاء بها نبيه، ليحقّ العذاب على قومه.

فـــالفعل (انصـــرني) بذكر ياء المتكلم دلالته على أنه قد بذل كل ما يستطيع، فهو نفسه بحاجـــة إلى النصرة، وأما الفعل (كذبون) فهو يريد أن ينأى بنفسه عن مواجهة قومه ويتركهم فـــي مواجهـــة الله تعالى ليقتصّ منهم لنبيه، زيادة على أن حذف الياء من (كذبون) تظهر أن نوحـــا عليه السلام يستشعر أنه لم يكن ذا قدرة تؤهله على أن ينشر دعوته، فأخفى نفسه في (كذبون) .

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: انظر الكشاف ١٧٩/٣، وتفسير البحر المحيط ٣٧٢/٦.

(١) للمزيد عن مضمون الحذف، انظر: شرح المفصل ١٥/٢-١٦، ودلائل الإعجاز ١٤٦-١٦١. وقراءة عبد الله بن أبي إسحاق في الميزان – محمود حسني محمود، ٣٢.

(٢) الكشاف ١٧٩/٣، وتفسير البحر المحيط ٣٧٢/٦.

دعاء نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث :

" قالَ رَبِّ إنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(١١٧) فافْتَحْ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ فَتْحاً ونَجِّنِي ومَنْ مَعِيَ مِنَ المُؤْمِنِينَ"(١١٨).

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الآيتين (١١٧ – ١١٨) من سورة الشعراء(*).

النداء والحذف :

جاء المنادى محذوف ياء المتكلم، ومحذوف أداة النداء، وقد سبق ذكر ذلك في الدعاء السابق لسيدنا نوح عليه السلام، وهذا الحذف دالّ على السرعة في طلب النصرة والعون من الله تعالى(١).

الجملة الاسمية :

كما إن مجيء الجملة (إن قومي كذبون) اسمية مؤكدة، يدل دلالة أكيدة على تكذيب قومه له، وأنهم ثابتون في هذا التكذيب ومصرون عليه، وهذا ما يفيده التضعيف في (كذبون).

الحذف :

ومن أجل الحصول على العون والنصرة والفتح من الله تعالى، جاء الحذف لياء المتكلم في (كذبون) ليفك الارتباط بينه وبينهم في هذا المجال وهو التكذيب، فهو ينأى بنفسه بعيداً عن المكذبين من قومه، كراهية إلصاقه بمن يحملون صفة الكذب.

لقد جاءت جملة (إن قومي كذبون) مقدمة للطلب اللاحق (فافتح بيني وبينهم فتحاً) (ونجني ومن معي من المؤمنين).

إن دعاء سيدنا نوح عليه السلام يحتوي طلبين:

١. (فافتح بيني وبينهم): والفتح ضد الإغلاق، فالإغلاق ضم الأشياء إلى بعضها، وسيدنا نوح يطلب الفتح الكبير عن المكذبين به من قومه، ولهذا استعمل المصدر (فتحاً) لتأكيد الرغبة في البعد عنهم، وللإشارة إلى جلال هذا الفتح وقدره.

٢. (ونجني ومن معي من المؤمنين): واستعمال الفعل (نجى) يدل على أن موقف نوح ومن معه كان ضعيفاً ومنهزماً، فالنجاة لا تكون إلا للضعيف القاصر الذي يحيط به

(*) انظر: الكشف ٣١٥/٣، وتفسير البحر المحيط ٣١/٧.

(١) انظر حول الحذف: شرح المفصل ١٥/٢-١٦، ودلائل الإعجاز ١٤٦-١٦١، وقراءة عبد الله بن أبي إسحاق في الميزان، محمود حسني، ٣٢.

العـــدو، ومـــن هـــول هذه الإحاطة طلب النجاة لنفسه، ثم عطف واتبع من معه من المؤمنين ليكون في مأمن متجدد.

الظرف (مع) :

ويأتي الظرف (معي) ليدل على أنه قد يكون هناك أكثر من احتمال:

١. لقد رأى قومه بوادر غضب الله تعالى فهربوا مع نوح عليه السلام، فكانت الدعوة بالنجاة فقط لمن تبعه من المؤمنين وإغراق الباقين.

٢. عـــندما حق العذاب من الله تعالى على الكافرين، لم يكن جميع المؤمنين في تلك الساعة مع نوح عليه السلام، فكان طلب النجاة لمن تبعه من المؤمنين ساعة وقوع العذاب، أما المؤمنون الذين لم يكونوا معه حينئذٍ، فتترك أمرهم لله تعالى.

٣. أن دعـــاء سيدنا نوح عليه السلام للمؤمنين الذين معه، هو على الإطلاق، أي كل من أمن بدعوته على اختلاف مواضعهم.

وإذا ما علمنا بأن الله تعالى قد أمر نوحاً عليه السلام بصنع الفلك، فاغلب الرأي يذهب إلـــى أن كـــل من آمن بدعوة نوح عليه السلام قد نجا بإرادة الله تعالى، حيث كان التخصيص لنفسه أولاً، ثم غيره للتعميم، ولا يجوز أن تكون (مِنْ) للتبعيض في قوله (ونجني ومن معي مِنْ المؤمنين) لأن المؤمنين جميعهم نجوا [١].

---

(١) شرح المفصل ١٠-١٤، والحروف الفعلية في القرآن الكريم ٣٠٣.

دعاء نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الرابع :

" فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ " (القمر: ١٠)

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الآية (١٠) من سورة القمر(*).

الجملة الاسمية :

وجـــاء الدعاء بالجملة الاسمية (أني مغلوب) ليدل دلالة ثابتة على عجزه في إيصال دعوتـــه، وأنه لم يستطع إبلاغ دعوته لقومه الذين كذبوه وقاوموه، فطلب النصرة والفتح لأنه (مغلوب)، أي قد وقع عليه الغلب، وذلك اعتراف بعدم قدرته على هدايتهم، ويطلب العون من الله تعالى من خلال (فانتصر)(١).

الجملة الفعلية :

واستعمال الفعل (فانتصر) بصورة الأمر والطلب ليدل على مدى حاجته إلى النصر على قومه الذين لم يؤمنوا به.

الحذف :

كما أن الحذف في الفعل (فانتصر) جاء للدلالة على أنه يطلب النصرة من الله تعالى دون تحديد الجهة التي يريد الانتصار لها، أهي لنفسه، أم للمؤمنين الذين معه، أم لشيء آخر؟ لـــيكون الانتصـــار على الكافرين مطلقاً دون تحديد وهذا الحذف ذو بلاغة من حيث إنه عليه السلام مغلوب، وضدّه الغالب المنتصر، فأراد النصرة والانتصار في كل شيء.

(*) انظر: الكشاف ٤/٤٢٣، وتفسير البحر المحيط ٨/١٧٥.

(١) للمزيد عن دلالة الجملة الاسمية، انظر: دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥، وعلم الأسلوب ٢٠٩، واحمل المصدرة بـــ (أنْ) و (أنَّ) ٩٧-٩٨.

دعاء نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الخامس :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً(٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً(٦)وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً(٧)ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً(٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً "(٩)

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الآيات (٥-٩) من سورة نوح (*).

النداء والحذف :

جاء الدعاء بحذف أداة النداء وحذف ياء المتكلم من (ربيّ)، وهذا الحذف جاء لشعور سيدنا نوح عليه السلام بقربه من الله تعالى، وتوجه بهذا الدعاء الطويل ليبعد عن نفسه التقصير في إيصال الدعوة إلى قومه.

الجملة الاسمية:

وتأكيد ذلك أنه جاء جملة اسمية تدل على الثبوت (إني دعوت قومي)، أي أنه قد قام فعلاً بهذه الدعوة، وأظهر استمراريتها دون كلل أو ملل، فقال (ليلا ونهارا).

الوصل: حيث استعمل حرف العطف (الواو) بين الليل والنهار (ليلا ونهارا)، للدلالة على ما بذل من جهد في الدعوة، ولو كان حرف العطف الواو محذوفا لكانت صفة الاستمرارية أقوى من ذكر حرف العطف، ولكن حرف العطف الواو جاء ليبين أن الدعوة كانت في الليل والنهار مع وجود أوقات أخرى لغير الدعوة، كأوقات النوم والراحة والطعام والشراب، وهذا من شانه أن يعطي مصداقية أكبر للداعي والدعوة، لأن النبي من البشر، والبشر لا يستطيعون القيام بجهد متواصل دون الحصول على متطلباتهم الدنيوية والجسمية كالنوم والطعام والراحة ....الخ، فكان ذكر حرف العطف الواو أبلغ من حذفه في هذا الموضع.

التقديم والتأخير:

أما تقديم الليل على النهار، فهو للدلالة على أنه عليه السلام قد عانى الأمرّين في دعوته، والدعوة في الليل أصعب منها في النهار، فهو قد يتعرض لأخطار من قومه وأعدائه، زيادة على أن؛ إمكانات الإنسان في الليل اقل منها في النهار، لذا جاءت كلمة الليل لتظهر أنه

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٦٠٤/٤، وتفسير البحر المحيط ٣٣٢/٨-٣٣٣.

قد استنفد كل جهده وعمل كل طاقته، وواجه كل المواقف والمخاطر وكل ذلك لم يجدِ نفعاً مع قومه، بل زادهم فِراراً[1].

أسلوب الحصر:

وجـــاء استعمال أسلوب الحصر (فلم يزدهم دعائي إلا فراراً) ليختصر استجابتهم في شـــيء واحد هو الفرار، وهذا الفرار لم يكن من الكاذبين (قومه) خوفاً من نوح عليه السلام، وإنمـــا كان للملل منه ومن دعوته، فوصلوا إلى حالة الهزل واليأس منه، فولوّا عنه وتركوه، ولو كان فرارهم خوفاً من نوح، لما كان السياق في حاجة إلى إبراز طلب النصرة .

وعاد ثالثة وكرر قوله بأنه قد دعاهم (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ....) ولم يقل (وإني كلما دعوتهم ليهتدوا ..) أو (ليؤمنوا) بل قال (لتغفر لهم) فحصول المغفـــرة تابع مباشر لمن يؤمن أو يهتدي، ومع ذلك ازدادوا بُعداً وكفراً، وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً[2].

حروف المعاني (في) :

وقوله (جعلوا أصابعهم في آذانهم) يدل دلالة بالغة على صدهم وكفرهم، وبأنهم لا يريدون سماع شيء، فهم في حالة فرار من دعوته، والإنسان يضع جزءاً من إصبعه في جزء خاص من أذنه، ولكن قوله (جعلوا أصابعهم في آذانهم) على الكلية والكمال للأصابع والأذان يدل على أنهم لا يريدون إيجاد أي منفذ لهذه الدعوة إليهم[3].

وجاء قوله (واستغشوا ثيابهم) كناية عن صدهم، ووضع حاجز بينهم وبينه، تمهيداً لذكر إصرارهم على فعلهم الذي جاء على وزن (استفعل) الذي يفيد القوة والإرادة[4].

وأصرّوا : وفيه التشديد على هذا الإصرار من الفعل (أصرّ) وحذف المصدر (إصراراً) ليعجل بالقول إن الإصرار على الظلم أو الكفر كان طريقهم لأن يستكبروا استكباراً ويتعالوا تعالياً، فالإصرار أوصلهم إلى أن يستكبروا على النبي ودعوته، وبالتالي على الله تعالى، وهذه الألفاظ الطويلة (أصروا، استكبروا استكباراً) تبين مدى تماديهم في الصد وإغراقهم في الكفر عن قوة منهم وإرادة .

---

(١) للمزيد عن التقديم والتأخير انظر: دلائل الإعجاز ١٠٦، ١٣١-١٣٨. ولغة القرآن ٣٣١.

(٢) لغة القرآن الكريم ٢٧٥-٢٧٧.

(٣) الكشاف ٦٠٤/٤، شرح المفصل ٢٠/٨-٢١، الحروف العاملة في القرآن الكريم ٢٨٣-٢٩٠.

(٤) شذا العرف – الحملاوي، ٤٧.

حروف المعاني (ثم) :

ثم عاد نوح فكرر (دعوتهم) ويؤكد ذلك بـ (ثم إني دعوتهم)، حيث جاء بالحرف (ثم) ليبين أنه قد استغرق وقتاً في دعوته، وتمهل فيها[1] على الرغم من كفرهم واستكبارهم، فدعاهم جهرا وعلانية وإسرارا، فلم يترك وسيلة إلا وقد اتبعها لنشر الدعوة[2].

على أن هذا الإصرار والاستكبار قد كان مبالغاً فيه من قبل قومه، فسيدنا نوح عليه السلام يعلم بأنهم يتمادون في الكفر لا عن علم وقناعة، ولكن ذلك كان تماديا في صد دعوته وكبرياء وتعاليا في صد الدعوة.

---

[1] همع الهوامع – السيوطي، ١٦٤/٣، قطر الندى وبل الصدى – ابن هشام ٣٢٩-٣٣٠

[2] للمزيد انظر: شرح المفصل ٩٤/٨-٩٦.

دعاء نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء السادس :

" قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)(٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا(٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا "(٢٤).

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الأيات (٢١-٢٤) من سورة نوح (*).

النداء والحذف:

جـــاء هذا الدعاء بالمنادى وهو (رب) وقد حذفت أداة النداء وحذفت ياء المتكلم من (ربيّ) وهذا فيه دلالة القرب من الله تعالى والتعظيم له[١]، فسيدنا نوح عليه السلام يشكو أمره إلـــى الله تعالى، وبأنه قد عجز عن أن يجعل قومه من المؤمنين؛ ، وبدأ الدعاء بجملة اسمية مؤكدة (إنهم عصوني) واستعمل الضمير المتصل (هم) وكأنه على استحياء من ذكرهم، بسبب عصيانهم ، وكأنه يتبرأ من قومه العصاة، بل إنهم اتبعوا الدنيا وأهواءها.

الحصـــر: واســـتعمل أسلوب الحصر ثانية (من لم يزده ماله وولده إلا خساراً)، حيث حصر زيـــادة المـــال والولد بالخسارة المبينة، زيادة على أنهم قد مكروا، وأكد هذا المكر بالمفعول المطلق مُكراً وتعمق في وصفه بقوله (مكراً كباراً)، فجاء بالمبالغة لهذا المكر السيء الذي لا يحيق إلا بأهله، وكل هذه أدى إلى الضلالة والضياع.

فهـــؤلاء العصـــاة الماكـــرون الضالون ليسوا إلا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم، فاستعمل أسلوب الحصر مرة أخرى لحصر الزيادة للظالمين بالضلال والضياع والخسارة.

وهـــذا الحصـــر لا يكون إلا بعد أن يئس نوح عليه السلام من هداية قومه، وبعد أن تمكـــن العصـــيان منهم، وكذلك المكر والضلال، كل ذلك دفع به إلى الدعاء عليهم، وهذا لا يكـــون إلا مقدمـــة لعـــذاب الله تعـــالى الذي سيحل بهم، فهم قد صاروا في منأى عن الهداية والإيمان بدعوة نوح عليه السلام[٢].

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٤/٦٠٧-٦٠٨، وتفسير البحر المحيط ٨/٣٣٤-٣٣٥.

(١) شرح المفصل ٢/١٥-١٦.

(٢) لغة القرآن الكريم ٢٧٥-٢٧٧.

التقديم والتأخير: [1]

جـــاء تقديم المال على الولد في حصول الخسارة، لأن المال يزين للإنسان الوسائل، ويُشعره بعدم حاجته إلى الآخرين، أما الولد فقد يكون مثل المال أيضا، ولكنه قد يكون وسيلة للحـــد من التمادي في الباطل من باب الحياء منه أو الخوف عليه، زيادة على أن (الولد) بشر وذو عقل فقد يهتدي ويهدي أما المال فلا.

---

[1] انظر: دلائل الإعجاز ١٣١-١٣٨، والإتقان في علوم القرآن - السيوطي ٣/٢٣٣-٢٩١، ولغة القرآن الكريم ٣٣١.

دعاء نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء السابع :

(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً(٢٦)إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً(٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً(٢٨)).

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام في الأيات (٢٦-٢٨) من سورة نوح (*).

النداء والحذف:

جـــاء هذا الدعاء بمنادى (رب) وقد حذف منه أداة النداء، وياء المتكلم ، وهذا الدعاء كسابقه يبين قرب نوح عليه السلام من الله عز وجل، فيشكو إليه همه وحزنه وتحسره ويأسه، حيث إن قومه لم يؤمنوا بدعوته، فكان دعاؤه في هذا المقام دعاء على قومه بالهلاك والفناء.

الجملة الفعلية:

وجـــاءت جملـــة الدعاء فعلية منفية، لتفيد استمرارية القضاء على الكافرين على مر الأيـــام، كمـــا أن حدوث الكفر والعصيان والفسق متجدد أيضاً، وقد اختص دعاؤه بفئة معينة وهـــي (ديارا) من الكافرين، للدلالة على النفي العام لوجودهم، أي القضاء عليهم البتة. وهذا النفي له دلالة السلب التام(١)، حيث جاءت كلمة (ديارا) بصورة المبالغة، لما لها من تأثير في الصـــد عـــن سبيل الله ودعوته، ثم أكد ثبات ضلالة الديار لعباد الله بالجملة الاسمية (إنك إن تذرهـــم يضـــلوا عبادك)، أما الجملة الفعلية (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) فدلالتها توالد الضلال واستمراريته وتجدده كما هو الحال في الجملة الفعلية التي تفيد التجدد والتغير(٢).

النفي:

اســـتعمال النفـــي (لا تـــذر على الأرض من الكافرين ديارا) يقابل الإثبات في (إن تذرهم يضلوا عبادك)، ومن هنا أراد من النفي نفي جميع من كان من الكافرين، فهم على نمط الجملة الفعلية سيكونون على استمرارية في ضلال العباد، وعلى دوام في ولادة الفجرة الكفرة من أصلابهم، فيتجدد الكفر و العصيان كتجدد الحدث للجملة الفعلية، وحصر مواليدهم بالفجور والكفر لا محالة، وهذا يعني أنه لن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله تعالى وبرسالاته، ففي

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٦٠٨/٤، وتفسير البحر المحيط ٣٣٦/٨.

(١) الكشاف ٦٠٨/٤، ولغة القرآن الكريم ٢٧٠.

(٢) دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥.

هـــذا دلالـــة على رغبة نوح عليه السلام بالقضاء على جميع الكافرين دون استثناء، وهذا ما حصل بالطوفان الذي أغرق الكافرين، ونُجّي منه المؤمنون الذين اتبعوه وأسلموا بدعوته.

وعند شعور نوح عليه السلام بأن الله تعالى قد أعد العذاب للكافرين، جاء بدعاء أخر يظهـــر فـــيه خوفـــه مـــن أن يكون مقصراً في نشر دعوته، على الرغم من كل ما سبق من معطـــيات، ســـاقها للدلالة على أن الصد كان بسبب الكافرين لا بسبب تقصيره، فلجأ إلى الله تعالى طالباً المغفرة والعفو له ولوالديه، ولمن تبعه، وللمؤمنين كافة، وأن يزيد الظالمين تباراً

التقديم:

وهـــذا التسلســـل الذي جاء به نوح: اغفر (لي) أولاً، ثم (لوالدي) ثانياً، ثم لمن دخل (بيتي) مؤمـــناً ثالثاً، (وللمؤمنين والمؤمنات) أخيراً، فهو قد بدأ بالتخصيص ثم توسع حتى عمم، وفي هذا دلالة على أن أول ما يطلب الإنسان من خير وعفو ومغفرة يكون لنفسه، ففي هذا فليتنافس المتنافسون، يوم يفر المرء من أمه وأبيه، ومن هنا نستطيع أن نعلم كم هو عظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي سيكون شفيعاً لأمته، ولأمم الأنبياء الآخرين، بما له من تكريم وقدر كبير عند الله عز وجل.

التقديم والتأخير:

إن هـــذا التخصـــيص فـــي المغفـــرة (لـــي) و (لوالدي) و (لمن دخل بيتي مؤمناً) و(للمؤمنيـــن والمؤمنات) لا يعني أن العطف بالواو يفيد الجمع بينهم، فلو كان كذلك لجمعهم بطائفـــة واحدة نحو (رب اغفر لنا) أو (رب اغفر لي وللمؤمنين) على تغليب المذكر، ولكن حرف العطف الواو جاء ضمن معان أخرى مماثلة لمعنى (ثم) أي الترتيب[1].

---

(١) همع الهوامع ١٥٦/٣.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِـدُونَ(٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٢٥) ".

جـــاء هـــذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآية (٢٥) من سورة المائدة(*).

النداء والحذف:

جـــاء هذا الدعاء بلفظ (ربّ) وقد حذفت أداة النداء، وحذف ضمير الإضافة المتكلم (يا ربي)، وجاء هذا الحذف دالاً على معنى السرعة في الدعاء لارتباط ما بعد هذا الحذف بما قبله، ودليل السرعة مجيء الفعل (افرق) مقترنة بالفاء.

التوكيد والنفي:

وجـــاء قولـــه (إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) باستعمال التوكيد (إنّا) والـــنـــــفي (لـــن)(١) والحتمـــية (أبداً)(٢)، ويلي ذلك دعوة قوم موسى إياه إلى أن يذهب وربه للقتال وهم قـــاعدون، فمـــع هذا الإصرار من قومه جاء دعاؤه بعد ذلك مباشرة، لعدم وجود أمل في ثني قومـــه عما أصروا عليه، فجاء الدعاء بلفظ (رب) لانقطاع الرجاء منهم، وتوجهه السريع إلى ربه ليخلصه.

الجملة الاسمية:

وجـــاء دعـــاؤه مبدوءاً بالجملة الاسمية المؤكدة (إني لا أملك إلا نفسي وأخي) وهذه الجملة الاسمية تدل على ثبات الواقع الذي لا تجدد فيه أو تغير، فموسى أمام قومه لا يملك ما يريدون، فأراد إثبات عدم قدرته دون الله تعالى وتأكيد ذلك(٣).

أسلوب الحصر:

وجاء استعمال أسلوب الحصر (لا أملك إلا نفسي وأخي)(٤)، لتأكيد ما سبق، وحصر ملكيته في نفسه وأخيه فقط دون سواهما، وهذا إظهار لحاجة موسى إلى ربه في هذا الدعاء، ومن هنا جاء الفاعل والمفعول به لشيء واحد هو موسى (لا أملك إلا نفسي) فالفاعل المستتر

(*) انظر: الكشاف ٦٠٩/١-٦١٠، وتفسير البحر المحيط ٤٧١/٣-٤٧٢، والجامع لأحكام القرآن ٨٥/٦..

(١) همع الهوامع ٢٨٦/٢-٢٨٨.

(٢) تفسير المحيط ٤٧١/٣، ولغة القرآن الكريم ٢٧٠.

(٣) دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥.

(٤) لغة القرآن الكريم ٢٧٥-٢٧٧.

(أنا)عائد على موسى عليه السلام والمفعول به(نفسي) يعود على موسى أيضا، وهذا أيضا في تأكيد على مدى ضعفه وحاجته، وإلا لكان يغنى عن ذكر كلمة (نفسي) فيقال(لا أملك إلا أخي) ويكون المعنى دالاً على الاثنين معا (موسى وأخيه)، فالذي يملك أخاه يملك نفسه ضمنا[1].

التقديم والتأخير:

وجاء تقديم النفس على الأخ للدلالة على مصداقية الداعي[2]، فلو بدأ بالأخ ثم بالنفس، لكان ذلك مدعاة للشك، فقدرته على أن يملك نفسه أوحت بصدق ملكيته لأخيه، أما قدرته على ملكية أخيه أولاً تعطي شكا في سبب ذكر نفسه وعلته، لأن من يملك الأخرين لا بد أن يكون مالكا لنفسه فلا يكون هناك داع لذكر كلمة (نفسي) لو تاخرت.

إن مجيء كلمة (نفسي) مقدمة على (وأخي) تعطي دلالتين:

الأولى : إظهار مدى الضعف والحاجة في نفس موسى عليه السلام، فاكد ذلك بكلمة (نفسي)، ومن ثم استدرك فقال (وأخي).

الثانية : إظهار فرديته بالدرجة الأولى، بأنه لا يملك إلا نفسه، وجاء ذكر (وأخي) بعد ذلك، ليكون إما من باب الاستدراك، وهذا دليل أخر على حاجة موسى إلى أخيه هارون، أو من باب الإيحاء بأنه يطلب الرسالة لأخيه هارون ، وهو مع هذا وذاك بحاجة الى قدرة الله تعالى وعونه[3].

حروف المعاني (الفاء):

وتأتي جملة الدعاء المقصودة في هذه الآية (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)، فقد جاء الحرف (الفاء) للدلالة على النتيجة للمقدمة التي سبق ذكرها، وهذا الحرف يفيد المعاقبة السريعة المباشرة، كحاله في الفاء العاطفة، والفاء الواقعة في جواب الشرط، حيث تُلمح فيها السرعة والمباغتة (إذا كنت كذا فأنت كذا)، و (حضر الشيخ فانتبه التلاميذ)، ومن هنا كان مجيء الحرف الفاء في (فافرق) مناسبا لمقدمة الدعاء، والخلوص إلى فحوى الدعاء ومراده[4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن الكريم ٦/٨٥.

[2] تفسير البحر المحيط ٣/٤٧١-٤٧٢.

[3] م.ن ٣/٤٧١-٤٧٢.

[4] همع الهوامع ٣/١٦١-١٦٤، قطر الندى ٣٢٩.

الجملة الفعلية:

وجـــاءت الجملة الدعائية (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)، فاستعمل الفعل (افرق) للدلالة على وجود فريقين: بيننا (موسى وأخيه) ، وبين القوم الفاسقين، وهذا الفعل جاء مناسبا للمقدمـــة التي سبقت الدعاء من خلال قوله تعالى (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)، فهـــنا أيضا فريقان : فريق يقاتل (أنت وربك) وفريق قاعد لا يقاتل (إنا ههنا قاعدون)؛ لذلك جاء الفعل (افرق) ليدل على الفريقين المتضادين اللذين سبق ذكرهما، وهذا الفعل يضع حاجزا فارقا بين الفريقين : المؤمنين والفاسقين، حيث ألصق بهم صفة الفسق والفسوق.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(١٥١).... إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ(١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ .... (١٥٦) ".

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصـــــلاة والســـلام في الآيـــات (١٥١-١٥٦) من سورة الأعراف (*).

النداء والحذف:

جـاء هذا الدعاء بلفظ (رب) بحذف أداة النداء، وضمير المتكلم، والأصل (يا ربي)، وهذا الحذف له دلالته من خلال ربطه بما بعده وهو قوله (اغفر لي ولأخي)، إذ إن الهدف من هـذا الدعاء هو طلب المغفرة لموسى أولاً ثم لأخيه، وبعد ذلك دخولهما في رحمة الله، فقوله (رب اغفر لي) يجعل الاتصال وثيقاً قريبا بين المدعو وصفته (الغفار) و (الغافر)، فلو جاءت اللفظـــة (ربـــي) لكان هناك بعد ما في النطق بين الأمرين، أما بوجود الحذف (ربْ) ومجيء همـــزة الوصل في (اغفر لي) جعل هناك تلاحماً بين اللفظتين وتداخلاً، وكأنهما مقطع واحد (ربْ بغ فرْ لي)، ويدل كذلك على سرعة الرجاء في الحصول على المغفرة، لأنه خص نفسه أولا بالذكـــر (اغفر لي) ثم خص أخاه (ولأخي) ليدل على حاجة الإنسان الفطرية التي تتمنى الخير لنفس صاحبها.

الجملة الفعلية:

ونلاحظ أن جمل الدعاء قد جاءت جملاً فعلية (اغفر لى ... وأدخلنا في رحمتك) وهذا يؤكـد أنهما بحاجة في كل مكان وزمان إلى هذه المغفرة وإلى هذه الرحمة. وهذا من سمات الجملـــة الفعلـــية، فهما لا يأمنان على نفسيهما من الخروج على أمر الله تعالى، لذلك يطلبان المغفرة والرحمة في كل حين، لأنهما يعلمان أنهما قد يقعان في غير ما أراد الله تعالى، وهذا من باب الطبع البشري، إذ إنه لو كانت هناك قدم في الجنة والأخرى خارجها لما أمن صاحبها مكر الله تعالى(١).

(*) للمـزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ١٥٦/٢، ١٥٨-١٥٩، وتفسير البحر المحيط ٣٩٠/٤، ٣٩٧-٣٩٩، والجامع لأحكام القرآن ١٨٧/٧-١٨٨.

(١) دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥.

الجملة الاسمية:

أمـــا التركيب التالي لهذا الدعاء فهو قد جاء بالجملة الاسمية (وأنت أرحم الراحمين) والجملـــة الاسمية هنا أنسب وأدل في الموضع من الجملة الفعلية؛ لأن الرحمة خصيصة من خصـــائص الله تعالى الثابتة التي لا تزول، والدائمة التي لا تتغير، فلا حاجة للتجدد والتغير، لذلك استُغني عن الجملة الفعلية، وجيء بالجملة الاسمية لتناسب المقام[1].

وجـــاء الدعـــاء الثانـــي بقوله (ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ...).

وهذا الدعاء يبين مدى إيمان موسى عليه السلام بالله تعالى، وذلك من خلال استعماله (لـــو شئت أهلكتهم)، فهذا يدل على أن قدرة الله تعالى فوق كل قدرة، بحيث لو أرادت مشيئة الله تعالى أن يهلك موسى وقومه، لكان ذلك الهلاك دون أدنى شك، والدليل الآخر على إيمان موســـى أنـــه استرســـل في قوله (رب لو شئت أهلكتهم من قبل) ولكنه استدرك مباشرة فجاء بحـــرف العطـــف الواو وضمير المتكلم (إياي)، ليظهر إيمانه بأن الله قادر على قومه وعليه أيضـــا، ولـــم يستثن نفسه؛ لذلك جمع في قوله (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا)، حيث جاء الفعل (أتهلكنا) بصيغة الجمع، ليؤكد أنه وقومه جميعا تحت قدرة الله تعالى.

الاستفهام:

وهذا التركيب الاستفهامي (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) لم يكن لمساءلة الله تعالى أو تذكـــيره بإيمـــان موســـى ومن معه من المؤمنين[2]، وإنما هو خوف على دين الله تعالى من الكافريـــن، فهلاك موسى والمؤمنين مع الكافرين حُجَّة للكافرين على موسى وأتباعه، وطريق للشـــك في دين الله، يمرون خلالها إلى الطعن في دعوة موسى، لذلك كان دعاؤه عليه السلام لـــيس لشـــك فـــي نفسه، أو ضعف فيها؛ وإنما هو حرص على دين الله من أن يناله قدح من الكافرين، الذين سيشعرون بأنهم سواسية مع موسى وأتباعه، حيث عمم الهلاك عليهم جميعا.

وجـــاء قوله (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء، وتهدي من تشاء) فهذا التركـــيب يظهر دلائل إيمان موسى بحكمة الله تعالى، فجاء بأسلوب الحصر (إن هي إلا فتنتك)[3]، حيث حصـــر مـــا ســـبق من عمومية الهلاك بالفتنة التي أرادها الله تعالى لهم جميعا، والفتنة هي الابـــتلاء؛ لذلـــك جاءت الفتنة للفريقين : موسى وأتباعه من جهة والكافرين من جهة أخرى.

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٤

(٢) الكتاب ١/١٠٠-١٠١.

(٣) لغة القرآن الكريم ٢٧٥-٢٧٧.

فالفتـــنة لموسى واتباعه من حيث إنهم مؤمنون بالله تعالى، والفتنة تميز الصادق من المنافق، فـــيظهر كـــل على حقيقته، فيكون ابتلاء لهم وامتحان، والفتنة للكافرين تكون بقدرة الله تعالى علـــى عـــباده المؤمنيـــن وعلـــى الأنبياء، فكيف لا تكون على الكافرين ؟ فيكون ابتلاء لهم وامتحان.

شبه الجملة:

وقعت الضلالة للكافرين بسبب هذه الفتنة، وذلك واضح من خلال استعمال شبه الجملة (بها) في قوله (تضل بها من تشاء)، وهذا دليل على أن الكافرين لن يهتدوا، ولن ينجحوا عند ابـــتلاء الله تعـــالى لهم، ولو بهذه الفتنة الوحيدة، فلا حاجة لفتن أخرى، ولذلك كان ذكر شبه الجملـــة (بها) معجزاً في هذا المقام، أما عدم مجيئها في قوله (وتهدي من تشاء) فهو ليس من باب حذفها، وإنما لأنها غير موجودة أصلاً، ولا حاجة لها في هذا المقام، لأن الهداية للمؤمنين تكون في غير ابتلاء وامتحان، والهداية متحصلة في نفوس المؤمنين، فلن تكون هذه الفتنة أو غيرها سبباً في هدايتهم، فهم مؤمنون على الإطلاق، وعلى اختلاف الفتن، فهم المؤمنون حقاً، أما الكافرون فيُضلُّون من أول فتنة مفردة.

الجملة الاسمية:

جـــاءت الجملـــتان الآتيتان (أنت ولينا) و (وأنت خير الغافرين) اسميتين للدلالة على ثـــبات هذه الصفات لله تعالى، وعلى إيمان موسى وإيمانه المطلق بالله تعالى فيما جاء طلب المغفرة والرحمة بصورة الجملة الفعلية (فاغفر لنا وارحمنا) دلالة أخرى على إيمانه وحاجته المتجددة إلى مغفرته عز وجل ورحمته الواسعة[1].

الحذف:

وجـــاء بعد ذلك قوله (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة، إنا هدنا إليك)، إذ اســـتعمل الفعل (اكتب) الذي يدل على الأمر الدنيوي، لأن أمر الأخرة يكون تابعاً لأمر الدنيا ومـــا قـــدم الإنســـان فـــيها، لذلك جاء لفظ (حسنة) تابعاً لـــ (في هذه الدنيا)، ولم يتبع (وفي الآخـــرة)، وهـــذا ليس من باب الحذف، وإنما اكتمل معنى الدعاء دون حاجة إلى إيراد كلمة (حسنة) مرة أخرى بعد قوله (وفي الأخرة)[2].

قـــد يظن أن ثمة حذفاً، والأصل (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة) وهـــذا لا يكـــون من باب العطف أيضاً، والسبب هو أن الكتابة تكون للشيء الذي حدث في

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥، وعلم الأسلوب ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) الكشاف ٢/١٥٨-١٥٩.

الحـــياة الدنـــيا، لذلك أراد أن يكون له في هذه الدنيا حسنة، وما يلفظ من قوله إلا لديه رقيب عتيد، وليس المقصود بالكتابة وضع الحرف على الورق بهذا المعنى، وإنما أن يكون أمره في هـــذا الدنـــيا ممـــا يجازى عليه خيراً يوم القيامة أما عدم مجيء كلمة (حسنة) بعد قوله (وفي الآخـــرة) فلأن العطف بين أمر الآخرة وأمر الدنيا لا يكون من حيث الجمع والاقتران[1]، لأن أحدهما وهو أمر القيامة تابع للأخر وهو أمر الدنيا من خلال الدلالة على الترتيب.

حروف المعاني (الواو) :

أمـــا حرف العطف الواو في قوله (وفي الآخرة) فهو لعطف المكان والزمان على ما قـــبلهما منهما (بعطف الآخرة على الدنيا، وليس لعطف حسنة المحذوفة على حسنة المذكورة) ودلالة ذلك أن موسى عليه السلام يطلب حسنة الدنيا، وعندما استشعر مكر الله تعالى وانه لا أحد يدخل الجنة بعمله إلا برحمة الله، استدرك فقال (وفي الآخرة) لتحديد الزمن والمكان على الإطلاق دنيا وآخره، وليست الغاية كتابة الحسنة في الآخرة كما هي في الدنيا.

---

[1] شرح المفصل ٨/٩٠-٩٣، وهمع الهوامع ٣/١٥٥-١٥٦.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث :

" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ"

جـــاء هـــذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآية (٨٨) من سورة يونـــس (*).

النداء والحذف:

لقـــد جاء هذا الدعاء بلفظ (ربنا) بصيغة الجمع، وهذا مناسب لما سبقه، إذ ورد ذكر موســـى وأخيه في الآية السابقة في قوله تعالى:" وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصـــر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين"(١)، ثم جاء الدعاء في الآية التالـــية (وقال موسى ربنا ...)، فهذه اللفظة (ربنا) جاءت للدلالة على أن الدعاء من اثنين : موســـى وأخـــيه. أما حذف أداة النداء في قوله (ربنا)، فيدل على مدى استشعار موسى عليه السلام قربه من الله تعالى، وسيدنا موسى هو كليم الله، والخطاب بين المخاطِب والمخاطَب لا يُلمـــح فيه البعد من أي جانب، كما أن إضافة الضمير (نا) فيه تعظيم لله تعالى، فالضمير (نا) دال على الجمع، والرب واحد ففي هذا حاجة الجمع للمفرد.

الجملة الاسمية:

وبـــدأ الدعـــاء بجملة اسمية (إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا) والجملـــة هذه دالة على الثبات في حدوث الأشياء لفرعون وقومه فهذه الزينة وهذا المال أمر موجود متحصل قد ثبت لفرعون ومن معه، وصاحَبَ ذلك وجود عنصر التأكيد وهو (إنك) في بداية الجملة، وهذا التأكيد فيه الرجاء العظيم من موسى للخلاص من فرعون ومن معه(٢).

التكرار:

ثـــم جاء التكرار للفظ (ربنا)، وتكراره ذو دلالة عظيمة،وهي أن موسى عليه السلام فـــي غايـــة التأدب مع ربه، فجاء بلفظ (ربنا) ليبعد عن نفسه الشك في عدم معرفة الله تعالى بتأثـــير هذه الزينة والأموال في فرعون وقومه من حيث الضلالة عن دينه عز وجل، ولو لم

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٢/٣٥١-٣٥٣، وتفسير البحر المحيط ٥/١٨٥-١٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٨/٢٣٩-٢٤٠.

(١) يونس / ٨٧.

(٢) الكشاف ٢/٣٥١-٣٥٣.

تكرر لكانت درجة الشك حاصلة في نفس موسى، وكأنه يُذكر ربه بما يفعله الآخرون وحاشا لله.

المفارقة:

وهـذا التركيـب السابق يظهر لنا المفارقة العجيبة المعجزة، وهي أن الله تعالى يهب فرعون وقومه زينة وأموالاً، وهذه كلها تدعو إلى الضلالة والبعد عن دين الله، فكيف يقدم الله عز وجل ما يُضل به عن دينه ؟.

فهذه المفارقة جاءت لإظهار دور المال والزينة والنعمة في إغواء الناس وإبعادهم عن الله عـز وجل، فما سبق يشعر صاحبه بأنه في غنىً عن الأخرين وعن رب العالمين، فتكون هذه الأشياء حُجَّة عليهم تزيد في عذابهم من جهة، وتعلمهم بأنها لا تغني من الله شيئاً من جهة أخـرى، ثم جاء تكرار لفظ (ربنا)، وهذا التكرار يختلف عن سابقه، ففي هذا اللفظ نجد غاية القـوة والرغـبة فـي تحصـيل إجابة المدعو، ففيه تصعيد في نغمة النطق إصراراً وتأكيداً للخلاص من فرعون وقومه.

الجملة الفعلية:

وجاءت التراكيب (اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) غاية في الإعجاز، ودوال عظيمة على المعاني المرادة، فالجمل فعلية وهي التي فيها تجدد وتغير[1]، فيدعو موسى عليه السلام بتجدد الطمس على أموال الكافرين، وتجدد الشد على قلوبهم، فكلما ضلوا عن سبيل الله جاء الطمس والشد، ليكون العقاب تابعاً لكل من يسلك درب فرعون وقومه.

التقديم والتأخير:

والإعجاز الأخر حاصل في تقديم التركيب (اطمس على أموالهم) إذ بدأ بذكر الزينة والأموال (انك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا)، ثم جاء بدورهم كدعاة إلى الضـلالة في قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) حيث إن واو الجماعة تعود على فرعون وقومه، ولمـا كانـت هذه هي المقدمة، جاء الدعاء موافقا لها، فبدأ بقوله (اطمس على أموالهم)، لأن أموالهم هي السبب، ثم جاء بقوله (واشدد على قلوبهم)، والضمير المتصل (هم) يعود على

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٥، و علم الأسلوب ٢٠٩.

فـــرعون وقومـــه، فكـــان هـــذا الـــتوافق بين عناصر الدعاء ومقدمته من إعجاز هذا القرآن العظيـــــم[1].

ويأتـــي التركيب (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ليكون موافقاً لما جاء في بداية الدعـــاء حيث كان المال والزينة سبباً للضلالة، أما في هذا التركيب فإن الطمس على الأموال والشـــد على القلوب عذاب أليم، أصبح سبباً في حدوث الإيمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)، فأراهم أن ما كان للضلالة، يكون للهداية بإذن الله تعالى.

وتأكـــيداً لمـــا تـــم ذكره من أن تكرار لفظ (ربنا) في قوله (ربنا اطمس على أموالهم واشـــدد على قلوبهم) كان للحاجة الملحة في الإجابة، فإن الله تعالى قد أجاب هذا الدعاء بقوله (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون) ونلحظ أن إجابته عز وجل (أجيبت دعوتكما) لمخاطبة الاثنين، وهذا يوافق بداية الدعاء (ربنا) بصورة الجمع، على الرغم من أن الآية بدأت بـــ (وقال موسى) ولم تكن (وقالا) بصورة التثنية.

---

(١) دلائل الإعجاز ١٠٦، ١٣١-١٣٨، والجامع لأحكام القرآن ٨/٢٣٩-٢٤٠، ومن بديع لغة التنزيل – السامرائي ١٤٣-١٤٤ حيث ذكر معاني (طمس) ودلالاتها.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الرابع :

" قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي(٢٩) هَارُونَ أَخِي(٣٠)اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(٣١)وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً(٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً(٣٤)إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً(٣٥) ".

جـــاء هذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآيات (٢٥-٣٥) من سورة طـــــه (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (رب)، وقد حذفت أداة النداء وضمير الإضافة المتكلم والأصل (يا ربي)، ودلالة هذا الحذف – كما أشرنا سابقاً – لأدعية سيدنا موسى عليه السلام، أن كليم الله مستشـــعر قـــرب ربه منه، فهو يكلمه دون ترجمان أو وساطة، فيخاطبه وهو متأدب في خطابـــه، وتظهـــر فيه نغمة الحاجة والرجاء، لأن موسى عليه السلام متيقن من صدود قومه وعـــتوهم، لذلك جاء دعاؤه طويلا وفي أكثر من حاجة، كما يبدو الضعف في موقف موسى علـــيه السلام، فهو بحاجة إلى من يشد به أزره، وهذه كلها مدعاة إلى أن يختلس لفظ النداء فيأتي سريعاً قصيراً محذوف الأداة وضمير المتكلم.

الجملة الفعلية:

وجـــاء التركيـــب (اشرح لي صدري) للدلالة على مدى الضيق الذي ينتاب موسى، حيـــث إن الصدر مكان لتجمع الأعصاب، وهو الموضع الذي أكثر ما يبدو الخوف فيه، لذلك قـــيل: ارتعـــدت فرائصـــه، والفـــرائص موضعها الصدر، وهذا الضيق احتاج إلى الانشراح والـــراحة والسعة، فجاء الفعل (اشرح)، وهذه الجملة الفعلية دالة على رغبة موسى باستمرار هـــذا الانشراح، ليكون عاقبة لكل ضيق، وكذلك الأمر في التركيب (ويسر لي أمري) لشعور موســـى بضـــعفه وعجزه مما جعله يطلب التيسير في أمره، وجاء المفعول به (أمري) مفردا ولـــيس مثـــنى أو جمعـــا نحو (يسر لي أمريّ) أو (يسر لي أموري)؛ وذلك أن موسى عليه السلام كان همه واحدا ، هو تبليغ رسالة ربه ودعوة قومه للإيمان بالله تعالى.

(*) للمـــزيد عـــن هذا الدعاء: الكشاف ٣/٥٨-٦٠، وتفسير البحر المحيط ٦/٢٢٤-٢٢٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٢٩-١٣٠.

الجملة الفعلية:

ثـم قال (واحلل عقدة من لساني)، إذ جاء الفعل (احلل) مفكوك الإدغام. وهذا يناسب مقـام الدعاء، فالعقدة تحل خيوطها مجتمعة، فيتفرق بعضها عن بعض، وكذلك الأمر في فك الإدغام في (واحلل)؛ حيث جاء فك اللامات ليدل على فك العقدة كلها من لسانه، وجاء الإفراد في كلمة (عقدة) للدلالة على أمرين:

أولهما: أن العقدة تظل عقدة واحدة، ولو اجتمعت العُقد بعضها فوق بعض، ففي نهاية المطاف هي عقدة واحدة شاملة.

ثانيهما: أن العقدة، وإن تفرقت في غير موضع، يظل الخلاص منها عقدة عقدة، وبالتالي فهي عقدة في كل موضع، حتى تحل جميعها.

وعـلاوة على ما سبق فإن موسى عليه السلام مع إظهاره لحاجته وضعفه يستحي أن يطلـب أكـثر من أمر واحد (يسر لي أمري)، ويستحي أن يوغل في ضعفه، فلا يرى أمامه سـوى عقـدة واحـدة فقط يريد عون الله تعالى ليحلها، واستحى أن يظهر ضعفه أكثر فأكثر فيطلـب أن يحل الله تعالى عقداً كثيرة من لسانه، فهو يضع نفسه موضع التحدي للكافرين من جهـة، ويظهـر بصورة القادر على تبليغ رسالة ربه من جهة أخرى عند حل هذه العقدة من لسـانه، والدليل على ذلك أن قوله (واحلل عقدة من لساني) يظهر أنه هناك عقداً أخرى، ربما تكـون موجودة، ولكنه يطلب حل عقدة ما من لسانه دون غيرها، ولو جاء التركيب على نحو (واحلل عقدة لساني) لكانت دليلاً على أنه لا توجد سوى عقدة واحدة فقط، فمن هنا يظهر أن موسـى إلـى جانـب إظهاره لضعفه وحاجته إلا أنه يريد إثبات قوته وإرادته وعزيمته ليبلغ رسالة ربه حتى إن توافرت عقد أخرى في لسانه أو غيره.

الوصل والفصل:

ويظهـر الوصل والفصل في هذه التراكيب، إذ وصل في التراكيب الأولى (اشرح لي صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة من لساني) ثم فصل بالفعل (يفقهوا قولي)، ودلالة هذا الفصـل أنه أراد تبيان دعوته وصدقها وإثباتها، وكان ذلك تالياً لأفعاله، فهو قد غلب السحرة بـإذن الله تعـالى، فمن هنا كان يعلم موسى صعوبة دعوته، إذ إنهم أصبحوا يعدونه ساحراً كبـيراً، فكيف سيؤمنون به نبياً من الله تعالى، لذلك فصل التراكيب لإظهار مدى حاجته إلى عـون الله تعـالى في أن يكون قوله قوياً مقنعاً كفعله أمام فرعون وسحرته، لذلك خص قوله

(يفقهوا قولي)، لاستشعاره صعوبة دعوته، وأنه بحاجة إلى كل فنون القول والبلاغة والإقناع[1].

ثم جاء العطف (الوصل) من جديد في قوله (واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي)، وهذا الوصل لإفادة القوة الكامنة في نفس موسى عليه السلام في نصرة الدعوة والقيام بها، والتخلص من مظاهر الضعف التي كانت تسيطر عليه، فهو قد طلب انشراح الصدر من الضيق، وتيسير الأمور، وإظهار البلاغة والحكمة في القول والدعوة، ووصل إلى طلب مزيد من القوة والحكمة، من خلال الحاجة إلى معاون وشريك وهو (هارون).

ويظهر التسلسل في هذا الدعاء بدءاً من التعميم وانتهاءً بالتخصيص، حيث طلب (واجعل لي وزيرا) وهذا تعميم مبهم، بدلالة التنكير في كلمة (وزيراً)[2] ، وخص أهله بهذا الوزير (وزيرا من أهلي) ثم انتهى بالتخصيص (هارون أخي).

التقديم والتأخير:

تقدم (هارون) على (أخي)، والأصل أن يكون (واجعل لي وزيرا من أهلي أخي هارون)، فهذا التقديم والتأخير يدل على أن المقصود في الدعاء هو (هارون) وليس المقصود أحداً سواه؛ والسبب هو أن ذكر هذا الوزير قد جاء تالياً لقوله (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)، و (هارون) أفصح لساناً من موسى لقوله تعالى :" ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون"[3]، وقوله تعالى:" وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون"[4].

الفصل:

ثم جاء الفصل في قوله (اشدد به أزري وأشركه في أمري)، فهذه هي الغاية التي من أجلها دعا موسى ربه بأن يجعل هارون وزيرا له، ذلك أن هارون سيقوي موقف موسى في دعوته، فيجتمع عند موسى قوة العمل والقول: غلب السحرة عملاً وإقناعهم قولاً، وفي كلا التركيبين قدم الضمير العائد على (هارون) على نفسه[5].

ثم جاء قوله (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وهذا معناه أن موسى يرى في إجابة دعائه أنه قد بلغ الرسالة، وأتم الدعوة، واستطاع أن ينشر دين الله، مما يجعله يخلص عبادته

---

(١) الدعاء في القرآن – محمد عبود زوين ١٦٧.

(٢) لغة القرآن الكريم ٣٤٠-٣٤٢.

(٣) الشعراء / ١٤

(٤) القصص ٣٤

(٥) الاتقان في علوم القرآن – السيوطي ٣/٣٥ طبعة المشهد الحسيني.

الفـردية لله تعـالى، فيتفرغ للعبادة والتوجه إلى الله تعالى، ليظل على اتصال بالله من حيث التسبيح والذكر، فالحرف (كي) دلالة على انتهاء الغاية كما هو التعليل، فموسى عليه السلام مسبح لله تعالى دون سبب[1].

الحذف:

وهذا التركيب (نسبّحك كثيرا ونذكرك كثيرا)، حذف منه المفعول المطلق في جزأيه، والأصـل (نسبّحك تسبيحا كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا) فنابت عنه صفته، وهذا الحذف يحمل دلالـة معجـزة، فالفعل (نسبّح) أظهر أن هناك تسبيحا دون ذكر هذا التسبيح وهو (المفعول المطلـق)، وفـي الحالتين كانت الدلالة المعجزة أن موسى عليه السلام لم يرد التركيز على التسبيح والذكر بذاتهما، فذلك قد يخفي المقصود أصلاً في هذا التركيب وهو الضمير المتصل (الكاف) الذي يعود على لفظ الجلالة الله تعالى، فالغاية كانت إبراز دور الداعي تجاه المدعو، وهـذا من لطائف هذا الدعاء، فالداعي يريد إظهار شكره للمدعو، فكان التركيز على إظهار الطرفيـن معا (نذكرك)و (نسبحك) ولو جاء المفعول المطلق (نسبحك تسبيحا ونذكرك ذكرا)، لكـان الاهتمام منصبا على التسبيح والذكر مخفيا طرفي الدعاء: الداعي والمدعو، وهذا ما لا يستقيم مع الغاية التي حملها الحرف (كي) في قوله (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا)، لذلك لا تظهر مثل هذه الدلالة في قول الشاعر:

ولقـد نكبْـتُ بنـي حُـرَيْفة نكـبة لمّـا طعنـت صـميم قلـب الأخـيل[2]

إذ يظهر أثر النكبة وقوتها دون ظهور واضح للمقصودين بالنكبة وهم (بنو حريفة).

الجملة الاسمية المؤكدة:

وانـتهى الدعاء بجملة اسمية (إنك كنت بنا بصيرا)، لإثبات أن الله تعالى بصير بكل شـيء، فجـاءت الجملة مؤكدة بـ (أنّ)، مع ذكر ضميري النصب والرفع العائدين على لفظ الجلالـة الله تعـالى، وهذه شهادة يشهد بها موسى على نفسه، وكأنه يطلب الدليل على عمله وقوله من صاحب الدعوة نفسه.

---

[1] همع الهوامع ٣٦٦/٢.

[2] شعر بني تميم في العصر الجاهلي – المعيني ٤٦٥. والبيت لطريف بن تميم.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الخامس :

" قالَ رَبِّ إنّي أخافُ أنْ يُكَذِّبُونِ(١٢) ويَضيقُ صَدْري ولا يَنْطَلِقُ لِسَاني فأرْسِلْ إلى هارُونَ(١٣) ولَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فأخافُ أنْ يَقْتُلُونِ(١٤) ".

جـــاء هذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآيات (١٢-١٤) من سورة الشعراء (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (رب)، محذوف أداة النداء وضمير المتكلم، ودلالة هذا الحذف عدم الجهر بالمدعو بذكر أداة النداء والمطل لضمير الإضافة المتكلم، فموقف الداعي في هذا الدعـــاء وهـــو سيدنا موسى عليه السلام، هو موقف الخائف من عدوه، وكأنه يُسرّ في دعائه ويخافت به؛ بحيث يظن أنه لن يستطيع الجهر بدعائه خوفا من أن يسمعه أحد.

الجملة الاسمية المؤكدة:

وجاء تركيب الدعاء (إني أخاف أن يكذبون) بجملة اسمية مؤكدة، وهذا ما نلحظه في أدعية موسى جميعها، إذ إن الخوف والترقب والحذر والضعف والحاجة، كل ذلك من سمات دعاء موسى عليه السلام، وجاء بها مؤكدة ثابتة، فقوله (إني أخاف أن يكذبون) يُظهر أمرين:

أولهمـــا: توقع موسى المؤكد بتكذيب قومه له من خلال استعمال الجملة الاسمية المؤكدة بـــ (أنّ) في (إني أخاف أن يكذبون).

ثانـــيهما: معنى التركيب يوحي بعدم تأكيد حصول تكذيب قومه له، من خلال استعمـــــال الفعل (أخاف) حيث يدل هذا الفعل على الشك في حصول الشيء.

إلا أن ابـــتداء الدعـــاء بالجملة الاسمية المؤكدة أظهر حقيقة تكذيب قومه له، وإلا لما اســـتنجد بأخـــيه وتوجها إلى ربهما، ودلالة ذلك أن معرفة موسى عليه السلام بقومه وكفرهم جعله يضع التأكيد قبل الشك، فاصبح الشك مؤكدا.

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٣/٢٩٣-٢٩٤، وتفسير البحر المحيط ٧/٨-٩.

الحذف:

وجـــاء التركيب للجملة الفعلية (يكذبون) بحذف ضمير المتكلم، والأصل (يكذبونني)، فحـــذف الـــياء وأقـــام مقامها الكسرة، وهذا الحذف دال على انكسار نفس موسى عليه السلام واســـتحيائه من إظهار نفسه في موضع من لم يستطع جعل قومه يصدقونه، فكان هذا الحذف ليشـــرك ربه معه في قضيته، لأن هذا التكذيب لا يخص شخص موسى نفسه فقط، وإنما هو تكذيـــب بدين الله، فجاء هذا الحذف باختلاس الياء ووضع الكسرة مكانها، ومن هنا لم يحذف ضمير المتكلم الياء في قوله (ويضيق صدري) (ولا ينطلق لساني) لأنه أراد إظهار نفسه في هـــذه المواضع بالذات، ليُظهر ألمه ومعاناته وحاجته، فابرز الضمير ولم يختلسه ولم يعوض عنه بالكسرة كما في (يكذبون).

التكرار:

ومـــن هـــنا جاء تكرار (صدري) و (لساني) كما في الدعاء السابق حيث قال (رب اشـــرح لي صدري ... واحلل عقدة من لساني)،حيث أبرز نفسه بوضوح ومطل تامّين؛ لأن الأمـــر يخصـــه بالذات، أما التكذيب فقد أشرك فيه ربه ليحتمي به ويقاتلا مـــعا "(اذهب أنت وربك فقاتلا)[1].

الإثبات والنفي:

وهـــذان التركيـــبان المتعاقـــبان جاءا بصورتين مختلفتين، إحداهما بالإثبات والأخر بالنفي، فقال (ويضيق صدري) بالإثبات، و (ولا ينطلق لساني) بالنفي[2]، وهذا التغاير دلالة علـــى اضـــطراب موسى عليه السلام، فاستعمل الأساليب كافة لإظهار معاناته وحاجته، فقال (فأرســـل إلى هارون) بإلحاح وتكرار، ثم قوله (ولهم علي ذنب) بالجملة الاسمية ليؤكد ما قام بـــه مـــن قـــتل أحدهم، وليظهر مدى حاجته إلى ربه فقال (فأخاف أن يقتلون)، حاذفا ضمير المفعولية الياء في (أن يقتلوني) لأن ذلك فيه دليل عجزه وضعفه، ليؤكد من جديد حاجته إلى هارون أولاً، ثم حاجتهما معا إلى عون الله تعالى لهما.

إن حـــذف ضمير المفعولية (الياء) في (يكذبون) و (يقتلون) لم يكن ليدل على حسن ترتيب الآيات وجمالها ، لأن قراءة عبدالله بن أبي إسحاق قد جاءت بإثبات هذا الضمير، وهذا

---

(١) المائدة / ٢٤.

(٢) لغة القرآن الكريم ٢٧٠.

لا يمكن أن يعني عدم حسن الآيات وجمالها في هذه القراءة، فالألفاظ والتراكيب حسنة جميلة في مواضعها كافة في القرآن الكريم وهذا ما أثبته محمود مغالسة[1].

[1] دلالة الفعل : قراءة عبدالله بن أبي إسحاق في الميزان ٣٢

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء السادس :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ(١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ.....(٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(٢٤) ."

جـــاء هذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآيات(١٦، ١٧، ٢٤) من سورة القصص (*).

النداء والحذف:

جـــاء هذا الدعاء بلفظ (رب) محذوف أداة النداء وضمير المتكلم والأصل (يا ربي)، وهـــذا الحذف يدل على مدى القرب من الله تعالى، ودليل ذلك قوله (فاغفر لي فغفر له) حيث كـــان الطلـــب والإجابة بتعاقب مباشر وسريع، فلا مسافة تفصل بينهما، فهذا دليل القرب بين الداعي والمدعو، وموسى هو كليم الله.

الجملة الاسمية المؤكدة:

وجـــاء التركيـــب (إني ظلمت نفسي) جملة اسمية مؤكدة من حيث إثبات الظلم لنفس موسى، فهو قد قتل رجلاً من بني إسرائيل، فأسند الظلم إلى نفسه لا إلى غيره، لأن الرجل قد قُتل وانتهى أمره، فارتد الظلم إلى الفاعل وهو موسى عليه السلام، لأنه أخذ يحاسب نفسه على ما فعل، ولشدة هذا الحساب صار موسى بحكم القاتل والمقتول، فنسب الظلم إلى نفسه، وكان الخـــبر جملة فعلية للدلالة على أن موسى قد كرر هذا الظلم مرة أخرى، فهو فيه متجدد إن لم يرحمه ربه ويغفر له.

حروف المعاني (الفاء):

وجاء الحرف (الفاء) في بداية دعائه (فاغفر لي) دلالة على السرعة في المغفرة من الله تعـــالى[١]، ودلالـــة الإقرار بالذنب لا محالة (ولهم عليَّ ذنبٌ)[٢] ولأن الله عز وجل غفور رحيم، وغافر الذنب وقابل التوب، جاءت مغفرته مباشرة، (فغفر له).

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ١٠٥/٧، ١٠٩، وتفسير البحر المحيط ٣٨٥/٣، ٣٨٨.

(١) شرح المفصل ٩٤/٨.

(٢) الشعراء / ١٤.

الجملة الاسمية:

جاءت الجملة الاسمية لإثبات عفو الله عن موسى عليه السلام ورحمته به فقال (إنه هو الغفور الرحيم)، حيث ثبتت صفات المغفرة والرحمة لله تعالى من جهة، وتأكدت من جهة أخرى بشيئين: استعمال حرف التوكيد (إنّ)، واستعمال التوكيد بالضمائر (إنه هو) زيادة على مجيء (الغفور الرحيم) معرفتين، مما لا مجال للإبهام والشك في ذلك البتة[1].

التكرار:

ثم جاء تكرار لفظ (رب)، وهذا من سمات دعاء موسى عليه السلام، ففيه الإطالة والإلحاح والإكثار من الدعاء، لأنه يكلم الله مباشرة، فمن تأدّبه مع الله تعالى كان موسى يكرر هذا اللفظ (رب) إجلالاً له عز وجل وتعظيما. وهذا التأدب نلمحه في سرعة الشكر لله تعالى الذي غفر لموسى عليه السلام، حيث كان قوله (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين)، فعاد وكرر لفظ (رب) بقوله (قال ربِّ نجني من القوم الظالمين) حيث استعمل الفعل (نجني) وما فيه من تضعيف، إمعاناً في شدة الضيق والمحنة التي فيها موسى عليه السلام من جهة، وإمعاناً في سرعة الدعاء طلبا للنجاة، فاستعمل الفعل الناقص (نجّى) بحذف آخره (نجّني) فاصبح الفعل ذا مقاطع سريعة (نج + ج + ني)، وهذه النجاة هي نجاة من القوم الظالمين، حيث جاء النعت بكلمة (الظالمين) دون غيرها، لأن موسى عليه السلام قد استشعر مرارة الظلم في بداية الدعاء، عند قتله القبطي، ولما عرف موسى قسوة الظلم في نفسه، عاد فألصقها بقومه، عندما وجد فيهم القسوة والتكبر[2].

الجملة الاسمية المؤكدة:

وانتهى دعاء موسى بقوله (فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) إذ جاءت الجملة الاسمية المؤكدة بـ (أنْ) دليل على إقرار موسى عليه السلام بفضل الله تعالى ونعمته عليه، وأن الله تعالى هو القدير القادر المنجي، وأن موسى بما يملك من قوة وهبها الله له، يظل فقيرا إلى الله محتاجا إليه في كل مكان وآن. كما أن استعمال الجملة الفعلية (أنزلت) يدل

---

[1] انظر: الكتاب ٢٤٢/٣، ولغة القرآن الكريم ٣٤٢، والدعاء في القرآن الكريم ١٦١.

[2] قصص الأنبياء ١٧٥-١٧٦.

علـــى تجدد هذا الإنزال ودوامه واستمراريته[1]، زيادة على أن الخير من الله كثير لا يحصى فجاء الحرف (من) للدلالة على الجزء والتبعيض[2].

---

[1] دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥

[2] شرح المفصل ٨/١٠-١٤، وهمع الهوامع ٤/٣٧٧.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء السابع :

" قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(٣٤) ."

جـــاء هذا الدعاء على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآيتين (٣٣-٣٤) من سورة القصص (*).

النداء والحذف:

جـــاء هـــذا الدعاء بلفظ (رب) فقد حذفت أداة النداء وضمير الإضافة المتكلم، وهذا الحـــذف دلالـــة القـــرب المتحصل في نفس موسى عليه السلام من الله تعالى، ودليل ذلك أن موســـى علـــى عجـــل في دعائه، فهو يؤكد قتله للقبطي[١]، وهو على خوف من الآخرين أن يقـــتلوه، فلجأ بهذه المقدمة إلى الله تعالى مستنجداً ومستغيثاً، وهذا يدعو إلى الحذف والتيسير واختصار الكلام، وموسى عليه السلام لم يرد إخباره عز وجل بأنه قد قتل، لأن الله يعلم ذلك وهو مقدر الأشياء، إلا أن قول موسى كان استنجاداً والتجاءً إلى رب العزة لينجيه من فرعون وقومه، لقتله القبطي، فكان هذا الحذف في (ربِّ).

الجملة الاسمية المؤكدة:

ثـــم جـــاء التركيب (إني قتلت منهم نفسا) بالجملة الاسمية المؤكدة التي تفيد الإقرار والإثبات في حصول القتل، وأن المراد هو ما بعد حصول القتل[٢].

التقديم والتأخير:

وجـــاء التقديم لشبه الجملة (منهم) على المفعول به (نفسا) والأصل: (إني قتلت نفسا مـــنهم) لأن المقـــتول هـــو سبب التجاء موسى إلى ربه، ولكن تقديم شبه الجملة (منهم) على المفعول به (نفسا) ذو دلالة عظيمة في هذا الدعاء.

لقـــد كـــان التقديم بسبب خوف موسى عليه السلام من فرعون وقومه، لذلك خصهم بالذكر دون المقتول الحقيقي، فالخوف منهم مدعاة لتقديمهم، أما من قُتِل فلا خوف منه،

والدلـــيل أنـــه أورد المفعول به (نفسا) على التنكير لعدم أهمية المعرفة به وتحقيراً له وتقليلاً من شأنه[١].

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٣/٣٩٥-٣٩٧، وتفسير البحر المحيط ٧/١١٣.

(١) قصص الأنبياء ١٧٥-١٧٦.

(٢) دلائل الإعجاز ١٧٤.

فالإعجـــاز واضح في هذا التركيب وهذا التقديم لشبه الجملة (منهم) على المفعول به (نفسا).

الحذف:

ثـــم جاء التركيب (فأخاف أن يقتلون)، وهنا يظهر الحذف أيضا في (يقتلون)، حيث ضمير المتكلم الياء، لشعور موسى بحيائه من ضعفه وعجزه، إمعاناً في إجابة المدعو لدعائه، ويذهب كثير من أهل العلم إلى أن الحذف للتنغيم ورؤوس الأيات.

الجملة الاسمية:

ثـــم جاءت الجملة الاسمية (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله ...) إذ بـــدأ بـــــ (أخي) ثم خصصه (هارون) على عكس ما ورد في دعائه السابق في قوله (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي)، ودلالة ذكر (أخي) قبل (هارون) أن موسى لا يريد تخصيص هـــارون بالفصـــاحة دون غيره، وإنما هو يريد تخصيص الأخوة في هذا المقام، ليكون الأخ ردءا لأخـــيه. وهـــذا قد لا يكون من غير الأخ، فجاءت الأخوة في المقام الأول، لأن موقف موســـى وحاجته يتطلبان عونا من الأخرين، وأفضل من يقدم مثل هذا العون هو الأخ، وحين اســـتقر الأمـــر على الأخوة خصص هارون بذلك وأكده دون غيره بمجيء الضمير (هو) في قوله (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا)، وهذا الضمير جاء لتأكيد فصاحة هارون.

وجاء التركيب (فأرسله معي ردءا يصدقني) وهذا التركيب الإنشائي الطلبي يدل على شيئين:

أولهمـــا: أن إرســـال هارون -بأخوته- مع موسى ليظاهره ويحميه ويكون ردءا له ربطٌ لما سبق من قوله (فأخاف أن يقتلون).

ثانيهما: أن إرسال هارون بفصاحته مع موسى لدعوة قومه إلى دين الله ربطٌ لما يلي من قوله (إني أخاف أن يكذبون)، ونلاحظ أن ضمير المتكلم الياء قد ظهر في (يصدقني) وحذف أو اختلس في (يكذبون).

---

(١) لغة القرآن الكريم ٣٤١-٣٤٢.

الجملة الاسمية المؤكدة:

وانـــتهى الدعاء بقوله (إني أخاف أن يكذبون) وهذا التأكيد في الجملة الاسمية يظهر تكذيـــب قومـــه له، على الرغم من وجود الفعل (أخاف) الذي يعطي دلالة الشك في حصول التكذيب، إلا أن مجيء الجملة الاسمية أظهر حتمية تكذيب قوم موسى له[1].

(١) تفسير البحر المحيط ١١٣/٧.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام _ الدعاء الأول

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"(١٢٦).

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في الآية (١٢٦) من سورة البقرة(*).

النداء والحذف:

بدأ الدعاء بلفظ المنادى (رب) وفيه حذفان: حذف أداة النداء وحذف ياء المتكلم المضاف إليه والأصل (يا ربي). ودلالة هذا الحذف أن إبراهيم مستشعر قرب الله تعالى منه وقربه إليه، زيادة على أن الأنبياء لا يتوجهون بالدعاء إلا إلى الله تعالى؛ ولذلك استغنوا عن ذكر أداة النداء في أغلب مواضع الدعاء، باستثناء دعائي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولو جاز الدعاء مباشرة دون ذكر المنادى كله، لفعل ذلك الأنبياء، غير أن من طبيعة الدعاء وأركانه ذكر المدعو بأي لفظ دال عليه، فجاء، اللهم، ربي، ربنا، إلهي، رب، واللفظ الأخير أكثرها استعمالا(١)

الجملة الفعلية:

وجاءت جملة الدعاء جملة فعلية، وهذه الجملة تناسب ما جاء في مضمون الدعاء، فسيدنا ابراهيم عليه السلام يدعو ربه بأن يجعل هذا البلد (مكة) بلدا آمنا، وأن يرزقه من الثمرات، وهذا يدل على أن سيدنا إبراهيم عليه السلام، يتمنى من الله تعالى أن يجدد الأمن والرزق لهذا البلد في كل آن(٢)، ولو كان التعبير بالجملة الاسمية لثبت الأمن والرزق لهذا البلد في وقت سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد ينقلب الحال بعده. وجاء استعمال الفعل (اجعل) ذا دلالة مهمة، وهي أن (الجعل) فيه قوة وسيطرة وتحكم، وشمول وكمال وتعميم، وذلك واضح من خلال دعائه عليه السلام بأن يكون البلد كله آمنا، أي جعل الأمن صفة شاملة لهذا البلد. ونلاحظ أن هناك حذفا في قوله (اجعل هذا بلدا آمنا)، حيث إن البدل من اسم الإشارة

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ١/١٨٥، وتفسير البحر المحيط ١/٥٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/٨٠-٨٢..

(١) انظر: شأن الدعاء – الخطابي ١٣-٢٠، وكتاب الدعاء – للطبراني ٣٩-٤٧، وجوامع الدعاء من الكتاب والسنة – طنطاوي ٢٦-٤٣.

(٢) دلائل الإعجاز ١٧٥.

محذوف، والأصل (اجعل هذا البلد بلداً آمناً)، إلا أن هذا الحذف جاء للدلالة على شمولية أكبر يحتملها البدل المحذوف، ففي قوله (اجعل هذا ....) يكون اسم الإشارة محتملاً أشياء كثيرة لا تنحصـــر في البلد كموقع جغرافي فقط، إنما فيه تعميم يحتمل أن يعم كل جزئية من جزئيات هذا البلد مادية ومعنوية.

ومما يدل على التعميم والشمولية دون تحديد للبقعة بحد ذاتها أنه قد جاء بـــ (بلداً آمناً) على التنكير المخصص بالنعت الملازم له، فالنكرة (بلداً) تدل على التكثير لا التقليل[1].

الوصل:

جـــاء العطف في قوله (وارزق أهله من الثمرات) تأكيداً للتجدد في الرزق لهذا البلد كمـــا هو الحال في تجدد الأمن فيه، وهذا يدل على أن اجتماع الأمن والرزق من أهم أسباب ســـعادة الحـــياة والاســـتقرار، لذلك كانت هذه البلدة مصدر رزق دائم يتخللها الأمن، وبالتالي جـــاءت الدعـــوة المحمدية فيها، وعليه فإن الرزق لهذا البلد لا بد أن يكون متنوعاً ومتعدداً، وذلك من خلال قوله (الثمرات) بصورة جمع المؤنث السالم، وإلا لكانت الجملة (وارزق أهله من الثمر) أو (ارزق أهله الثمر).

أما الثمرات فهي ذات دلالة على أن الأمر لا يتعلق بالزرع والنبات، وإنما بكل وسائل الحياة، التي تسهم في إبقاء أهل هذه البلدة في رزق وأمن وسعادة وزعامة.

حروف المعاني (من):

وجاء حرف الجر (من) في قوله (وارزق أهله من الثمرات) فهذا الحرف جاء بمعنى (التبعـــيض)[2]،أي بعض الثمرات، وذلك يحمل دلالة مهمة، وهي أن إبراهيم عليه السلام يعلم بـــأن قولـــه (وارزق أهله الثمرات) دون وجود حرف الجر (من)، سيعني توافر جميع أسباب الـــرزق بأنواعها في هذا البلد، وهذا الشيء ليس من طبيعة الكون والحياة والبيئة، لذلك يكون الكـــون وحـــدة واحـــدة، تتضامن أجزاؤه لتتحد معاً في توافر جميع متطلبات الحياة، فما هو موجـــود فـــي بيـــئة لا يوجـــد في أخرى والعكس صحيح، فكان الحرف لهذه الدلالة بمعنى التبعيض[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤/٩١-٩٣، ولغة القرآن الكريم ٣٤١-٣٤٢.

(٢) همع الهوامع ٢/٣٧٧.

(٣) الكشاف ١/١٨٥، تفسير البحر المحيط ١/٥٥٤، شرح المفصل ٨/١٠-١٤.

شبه الجملة:

أمـــا قولـــه (من الثمرات) فدلالته هي أن هذا البلد فيه من أنواع الثمرات ما يكفي للحفاظ على أمنه ورزقه مدى الحياة، وهذا ما نلحظه في هذا الزمن من توافر الرزق في هذا البلد، حيث كان سابقا محط التجارة، والحج، والنخيل وصولاً إلى النفط، وعزز الله تعالى ذلك بأن جعل حج المسلمين إليه، والإسلام باق إلى يوم الدين، وهذا يعني أن هذا البلد سيظل آمنا مرزوقا بإذنه تعالى.

ونلاحـــظ مـــن تركيـــب الجملـــة الدعائية (رب، اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الـــثمرات مـــن أمن منهم بالله واليوم الآخر...)، إن الألفاظ الواردة فيه هي ألفاظ ذات طول مقطعي، وبُعد لفظي ومدى في القول، إذ نلاحظ الفعل (اجعل) ولم يأت الفعل (هَبْ) مثلا من حيث القول، واسم الإشارة (هذا) وطول المد فيه (هاذا)، وكلمة (بلدا) وتتابع المقاطع القصيرة (ص ح ص ح ص ح ص)، وكلمة (آمنا) والمد فيها واضح، والفعل (ارزق) وكلمة (اهله) وكلمة (الثمرات) ...الخ.

فهـــذه الألفـــاظ ذات المـــد والبعد في النطق تحمل دلالة مهمة، وهي أن ابراهيم عليه الســـلام يريد لهذا البلد أمنا ورزقا على مدى بعيد، وطول مشهود على مر الزمان، ولا يريده آنـــيا وقتـــيا، وإلا لاستغنى عن هذه الكلمات الطويلة، وجاء بكلمات ذات قِصر تغني عن تلك الموجودة في دعائه، والله أعلم.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل عليه السلام –

الدعاء الثاني:

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(١٢٩).

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل عليه السلام في الآيات (١٢٧-١٢٩) من سورة البقرة (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ المنادى (ربنا) وحذف أداة النداء ، وبصيغة التثنية، لأن الداعيين هما: إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا ...) وهنا وجبت الإضافة للضمير (نا) وظهر هذا الضمير ليدل على أن الدعاء من الاثنين وليس من أحدهما.

وجاء الحذف لأداة النداء، لاستشعارهما بقرب الله تعالى منهما؛ حيث جاء الدعاء بعد أن كان الله تعالى شاهداً على عملهما برفع قواعد البيت الحرام.

الجملة الفعلية:

وجاءت جملة الدعاء جملة فعلية (تقبل منا) لأن الأجر من الله موصول متجدد(١)، والأمر هنا (تقبل) لإفادة الرجاء والتشديد على قبوله لأهميته، فجاء الفعل (تقبل) بالتضعيف؛ لأنهما عليهما السلام يتمنيان من الله تعالى قبول عملهما، ويشددان على ذلك. لأهمية هذا العمل، وهذا البيت للمسلمين إلى يوم القيامة.

الجملة الاسمية:

وتلا ذلك جملة اسمية فيها صفات الله تعالى الثابتة التي لا تزول عنه (إنك أنت السميع العليم)(٢)، وزاد على هذا الثبات صفة التأكيد من جانبين: أولهما استعمال (إن) وثانيهما

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ١/١٨٥- ١٨٨، وتفسير البحر المحيط ١/٥٥٨-٥٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/٨٢-٨٩.

(١) دلائل الإعجاز ١٧٥.

(٢) م.ن ١٧٤.

توكـيد الضمير المتصل (الكاف) الذي يعود على لفظ الجلالة بالضمير المنفصل (أنت)، وهذا التوكيد جاء ليظهر حكمة الله تعالى وعلمه بأن هذا البيت له شأن عظيم في حياة المسلمين.

التكرار:

وعـادا فكررا لفظ المنادى (ربنا)[1]، لشعورهما بأن هذا الدعاء طويل، وأنه سيكون هـناك أمـور أخـرى يدعوانه تعالى لتلبيتها، ليظلا منه تعالى على اتصال دائم، فجاء ذكر المـنادى (ربنا) وعدم حذفه، على الرغم من عطف الجملة بعده على ما قبله: (واجعلنا) عطف على (تقبل منا).

وجاء القسم الثاني من الدعاء (ربنا واجعلنا مسلمين لك ....) ليجددا تسليمهما لله تعالى ويؤكـدان هـذا التسـليم، بأنهما مسلمان، لتكون من بعدهما أمة مسلمة.إذ خصّا أنفسهما بهذه السـمة (الإسـلام)، علـى الـرغم من أنهما في الحقيقة هما مسلمان بالله تعالى، ولكن ليبدأ بالخصوص ثم العموم (ومن ذريتنا أمة مسلمة..) فالذرية مسلمة ولن تورث الذرية المسلمة إلا مسلمين.

الحذف:

وقد حذف من الدعاء الفعل (واجعل)، والأصل: ربنا واجعلنا مسلمين لك، واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك، ولكنه حذف الفعل (واجعل من ذريتنا)، لأن ذكر الفعل (اجعل) في هذا الموضع، سيعني أن أصحاب الذرية المسلمين قد لا يورثون من ذريتهم مسلمين، وهذا يناقض طبيعة المسلم، فكثير من أصحاب الديانات الأخرى يبدل ديانته، أما المسلم فلا يغير دينه، وهذا مهمـا هـيّأه الله تعالى للمسلمين دائما، وحروب الردة أكبر دليل فمن يسلم لا يغير دينه، وإن غـيّره فيسـخر الله تعالى من يعيده إلى دينه، زيادة على أن الحذف في هذا المقام قد أشرك الذرية بإبراهيم وإسماعيل في الإسلام ولم يفصل بينهما.

الجملة الفعلية:

ثـم كان قوله (وأرنا مناسكنا) وهذا الدعاء هو لاثنين، ولكن هذه المناسك هي للأمة المسـلمة كلها، فهي من أركان العقيدة الإسلامية، فالرؤية البصرية فيها تأكيد للشيء المرئي بحدوده وتعاليمه.

---

(١) التكرار في الشعر الجاهلي/ دراسة أسلوبية – موسى ربابعة ١٦١، وانظر: التكرار في القرآن الكريم/ دراسة بلاغية – محمد محمود صالح، ١٢-٣٤.

المفارقة:

(وتـــب علينا) وهنا تكمن المفارقة[1]: فهما (إبراهيم وإسماعيل) قد رفعا القواعد من البيـــت، وطلبا الإسلام لهما ولذريتهما، فهما على أمر الإسلام وحكمه، وبعد ذلك كله يطلبان الـــتوبة مـــن الله تعالى؛ إن التوبة المطلوبة هي على ما كان من حياتهما قبل الإسلام، والتي يندمان عليها، ويستغفرانه تعالى عن بقائهما فيها دون دين الإسلام ودعوته.

التوكيد:

وأكدا طلبهما للتوبة بأنهما قالا: إنك أنت التواب الرحيم من حيث التوكيد بـــ (أن) و (الضمير المنفصل أنت)، وفي هذا دلالة على حرصهما على حصول التوبة، لأنهما يدعوان قـــابل الـــتوب وغافـــر الذنب وواسع الرحمة. ويؤكدان صفاته العظيمة ليتوب عليهما ويتقبل منهما.

أمـــا القســـم الثالـــث من الدعاء فهو (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ... إنك أنت العزيز الحكيم).

التكرار:

إذ كـــرر لفـــظ المنادى (ربنا)، وذلك للفصل بين أقسام الدعاء الطويلة ليستحضرا الله تعـــالى، ويجعـــلاه قريـــباً منهما، لطبيعة البشر التي تذكر الشيء وتكرره كلما أحست بالبعد والطول والملل، خشية انصراف الله تعالى عنهما، وعدم تقبل دعائهما.

حروف المعاني (الواو):

ثـــم ذكر حرف العطف (الواو) في قوله (وابعث فيهم) ليجعل هناك ارتباطاً وتواصلاً بيـــن هذا الدعاء وما سبقه، فلو حذف حرف العطف (الواو) لانقطع الترابط بين أجزاء الدعاء كلـــه، ولأصبح مقسماً لا يُشعر بمدى ارتباط الداعي بالمدعو، وهذا الدعاء (ربنا وابعث فيهم) جـــاء مـــن إبراهـــيم وإسماعيل عليهما السلام خالصاً لغيرهما، في حين كان القسم الأول من الدعـــاء (ربـــنا تقبل منا) خالصاً لهما وحدهما، وكان القسم الثاني (واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) عاماً لهما ولذريتهما، أما القسم الثالث فقد جاء خالصاً لأمة محمد صلى الله علـــيه وسلم، والغاية من بعث الرسول هي أن يأخذوا الكتاب وتعاليمه والحكمة والطهارة، فهـــو يركز على القوم لا على الرسول الذي سيبعث إليهم، مؤكدين ذلك بأن الله تعالى عزيز قـــوي قـــادر على تلبية هذا الدعاء وحكيم عليم بخير العاقبة لهم أكثر منهما، فالمدعو له من

---

(١) للمـــزيد عـــن معنى المفارقة ومفهومها: انظر: اللغة وسيكولوجية الخطاب – سمير ستيتية ٥٥، ١٣٩، ١٤٩. والمفارقة في متشائل إميل حبيبي – موسى ربابعة ٨١.

الحكمة والعلم أكثر من الداعي، وكأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على استحياء في هذا الطلب من الله تعالى، لعلمهما بأنه العالم بما يريد، لا يحتاج لمن يذكره بمثل ذلك.

حروف المعاني (من):

قولـــه (القواعد من البيت)، إذ جاء حرف الجر (من) ذو دلالة عظيمة، وهي أن حكم الله تعـــالى قـــد تم ببناء البيت الحرام، وكأنه قد أصبح في حكم المبني والقائم، وكأن إبراهيم وإســـماعيل عليهما السلام قد أخذا جزءاً منه ورفعاه، وهذا الجزء هو (القواعد)، كما أن دلالة الفعـــل (يرفع) للقواعد، وكأنه الأمر العالي لهذا البيت، ولهذا الدين، قد ارتفع مباشرة مع أول البـــناء من القواعد، لذلك فإن حرف الجر (من) دل على وجود الشيء قبل عمله، ويؤكد ذلك وجـــود الفعـــل (يـــرفع)، فالرفع يكون لشيء موجود، ولو كان غير ذلك لكان القول : يضع القواعد ... الخ.

الجملة الفعلية:

وجـــاء قوله (وابعث)، وطبيعي أن يكون الكلام (وأرسل فيهم رسولاً)، وهذا له دلالة عظـــيمة (فالفعل ابعث) من (البعث)، والبعث يعني إيجاد شيء من لا شيء، كمن يبعث الحي مـــن الميـــت، وهذا معناه أن إبراهيم وإسماعيل ينفيان معرفتهما بأحد قد يكونان يقصدانه بأن يكـــون هـــو الرسول لا غيره، وهذا دلالة على استشعارهما بعظمة الله تعالى وعلمه بالغيب، وحكمته فيمن يرسله، وهذا كله لا يتوافر لبشر.

أمـــا الفعـــل (أرســـل فيهم رسولاً) فيناقض (ابعث فيهم رسولاً) لأن الإرسال مصدر (أرسل) يعني أنك ترسل شيئاً هو موجود أصلاً، ولو جاء التعبير (وأرسل فيهم رسولاً منهم) لكـــان دليلاً على معرفة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بمن سيرسله الله تعالى، وهذا منافياً لطبيعة البشر بأن يعلموا غيب الله تعالى، أما مجيء الفعل (أرسل – يرسل – نرسل) بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فلأنه عليه السلام كان موجوداً بينهم فأرسله الله تعالى لهم.

حروف المعاني (في):

كمـــا أن وجود حرف الجر (فيهم) في قوله (وابعث فيهم رسولاً منهم) يخالف طبيعة الكلام، فالقول يكون (وابعث لهم) وليس (وابعث فيهم)، فحرف الجر (اللام) يفيد انتهاء الغاية المكانية، والتخصيص[1]، وفي كلا الحالين لا يوحي ذلك بأن هذا الرسول سوف ينشر دعوته فـــيهم، فقد يُرَدُّ ويُصدُّ، أما قوله (وابعث فيهم) فهذا يعني أن الرسول سوف يتغلغل فيهم، ولا

---

(١) شرح المفصل ٨/٢٥، وهمع الهوامع ٢/٣٦٦.

يستطيع ذلك إلا من له القدرة والطاقة في نشر دعوته بإذنه تعالى، فقوله (وابعث لهم) لا يعمل على إيجاد أمة مسلمة، وقوله (وابعث لهم) له تلك الدلالة وهذا ما كان.

فالحرف (في) يفيد الظرفية مكاناً وزماناً[٢]، ولا يكون بمعنى (إلى) في هذا المقام[٣]؛ لأن (إلى) تجعل الفعل (وابعث) بمعنى الفعل (وأرسل).

---

(٢) همع الهوامع ٢/٣٦٠.

(٣) م.ن ٢/٣٦١.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث:

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٢٦٠)

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الآية (٢٦٠) من سورة البقرة (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (ربّ) بحذف أداة النداء وضمير المتكلم والأصل (يا ربي) وهذا الحذف جاء ليؤكد القرب الكبير الذي كان يشعر به سيدنا إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل، ويتجلى هذا القرب من خلال لفظ (رب أرني) فالرؤية شيء محسوس مبصر قريب، وكأن المخاطب والمخاطب في موضع واحد من الناحية النفسية والمعنوية لإبراهيم عليه السلام.

الجملة الفعلية:

وجاءت الجملة (أرني كيف تحيي الموتى) الفعلية للدلالة على التغير والتجدد(١) في وسيلة إحياء الموتى، إذ إن الله تعالى قد أراه ذلك خطوة بخطوة، وليس بدفعة واحدة على الثبوت كما لو جاءت على نحو الجملة الاسمية(٢).

ونستشعر من استعمال الفعل (أرني) صفة الاستحياء (الحياء) التي كانت تملأ نفس إبراهيم عليه السلام، وكأنه يطلب شيئا من ربه هو يدركه ومؤمن به.

ومما يدل على استحيائه عليه السلام، استعمال تركيب (أرني كيف تحيي الموتى)، فهو مؤمن بان الله تعالى يحيي الموتى، ولكنه يريد أن يرى الكيفية والهيئة إمعانا في قدرته عز وجل، وإجلالا وتعظيما من ناحية، ورسولا أمينا للآخرين من ناحية أخرى، وإلا لكان الاستعمال (أرني إحياء الموتى)، فهنا لا يكون الإيمان بقدرته تعالى على إحياء الموتى من الأصل، ولكن (كيف تحيي الموتى) فيظهر إيمانه المطلق بقدرة اله تعالى على إحياء الموتى في الأصل، ولكنه يريد التمتع في طريقة إحياء الموتى والكيفية.

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٣٠٤/١-٣٠٥، وتفسير البحر المحيط ٣٠٨/٢-٣٠٩، والجامع لأحكام القرآن ١٩٣/٣-١٩٦.

(١) دلائل الإعجاز ١٧٥.

(٢) م.ن ١٧٤.

ومما يدل على ما سبق من إيمان إبراهيم المطلق بالله تعالى وقدرته، أن الله تعالى قال له(أوَ لم تؤمن) (قال بلى)، أي أن الإيمان متحصل لا شك فيه، ولكن (ليطمئن قلبي) البشري، وهذا يعني أن الاطمئنان ليس من مراحل الإيمان، وإنما هو عارض عليه، يسوغ أمراً إنسانيا من طبيعة النفس الإنسانية، حيث إن إبراهيم عليه السلام يتنازعه أمران: النبوة والطبيعة البشرية، (ولكن ليطمئن قلبي)، فمن حيث النبوة فهو مؤمن (قال بلى)، ومن حيث الطبيعة البشرية (ولكن ليطمئن قلبي).

وهذا الاطمئنان نجده في النفس الإنسانية عارضا وتابعا، كما في قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة(٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية(٢٨))[١] فالاطمئنان للنفس جاء تابعاً للنفس بعد موتها، وحصول الموت بلا شك، فلو كانت النفس غير ميتة لما كان هناك اطمئنان.

الجملة الحوارية:

وجاء هذا الدعاء بأسلوب الحوار بين الداعي والمدعو، بين المؤمن والمطمئن وبين العزيز الحكيم القادر، وهذا الحوار جاء من خلال جمل قصيرة، لتظهر إيمان إبراهيم عليه السلام وقناعته بقدرة الله عز وجل، حيث إن الجمل الطويلة تعبر عن أشياء لا قناعة لقائلها بما يقول أو يسمع، فيكون بين الشك والرفض، أما الجمل القصيرة فهي للدلالة على أشياء معينة مسلم بها، ولكن هناك غاية ما فيها[٢].

وجاءت إجابة الدعاء من الله تعالى (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) حيث إن استعمال العدد (أربعة) كان لمناسبة الاتجاهات الأربعة (شرق، غرب، شمال، جنوب) وهذه الاتجاهات أبعد ما تكون عن بعضها، ويصعب اجتماعها والتقاؤها، ليظهر الإعجاز في كيفية إحياء الموتى.

وجاء هذا العدد (أربعة) مفرداً مقطوعاً عن الإضافة، ليعطي إعجازاً أخر لهذه الكيفية فلم يقل (فخذ أربعة طيور)، فالحذف جاء ليترك إبراهيم عليه السلام وغيره أمام آيات الله تعالى، فترك له الخيار في اختيار ما يريد من أجزاء ذلك الطير ليتأكد من موت الطير تماما ومن صعوبة إحيائه أيضا.

وهذا الإعجاز يلتقي بما سبق ذكره، حيث إن الطير مجزأ إلى أربعة أجزاء، فيصعب اجتماعها ثانية، وإن كل جزء على جبل في اتجاه مغاير للأجزاء الأخرى، فيصعب التقاؤها

---

(١) سورة الفجر: ٢٧-٢٨.

(٢) علم الأسلوب ٢٠٨.

مـن جديـد، ويـتجلى الإعجاز في قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعياً)، حيث نلاحظ أنه تم استعمال حرف العطف (ثم) وهو الحرف الذي يفيد الترتيب والتراخي والمهلة[1].

فالمهلـة تعطـي وقتاً للتفكير والتأمل والاستيعاب، وهذا يناسب ما طلبه إبراهيم عليه السلام (ليطمئن قلبي)، فالاطمئنان يكون بالتريث والتدبر والتفكر (فخذ أربعة من الطير ... ثم اجعـل على كل جبل منهن جزءاً ... ثم ادعهن..) فهذه المراحل الثلاث ليتدبر إبراهيم عليه السلام الكيفية في حصول الموت، وليرى الكيفية في إحياء الموتى.

كمـا يظهر الإعجاز من خلال تسلسل مراحل الموت هذه، وتجزئتها، وسهولة جمعها وسرعته (ثم ادعهن يأتينك سعياً) فالذي كان يراه إبراهيم صعباً مستحيلاً، أراه الله تعالى ذلك سـهلاً ميسوراً (ادعهن يأتينك سعياً)، حيث جاء استعمال جملة الطلب (ادعهن) وجملة جواب الطلب (يأتينك) وما يرافق هذا الاستعمال من حتمية الجواب للطلب وسرعته دون إبطاء، وهذا هو الإعجاز في قدر الله تعالى في إحياء الموتى.

---

(١) قطر الندى وبل الصدى ٣٢٩-٣٣٠.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الرابع:

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(٣٥)رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٦)رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧)رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ(٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ "(٤١) ".

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الآيات (٣٥-٤١) من سورة إبراهيم (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (رب)، وحذف أداة النداء وضمير الإضافة المتكلم والأصل (يا ربي)، وهذا الحذف يشير إلى القرب بين الداعي والمدعو، فالداعي وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام، يعي أن المدعو وهو الله تعالى، قريب منه، مصغ إليه، لذلك جاء هذا الدعاء طويلا كثير المطالب، زيادة على أن إبراهيم عليه السلام يستشعر نهاية رسالته ودعوته، بدليل (واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام) و (من عصاني فإنك غفور رحيم) و (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق) و (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب). وأعتقد أن هذا الدعاء جاء تاليا لدعائه عليه السلام الله تعالى في سورة البقرة/١٢٦ إذ إن استعمال (اجعل هذا البلد آمنا) بذكر البدل وهو (البلد) وحذفه في الدعاء السابق يدل على أنه قد حد حدود البلد، وأصبح واضح المعالم والحدود جغرافيا، فأراد تخصيصه دون غيره بلا إبهام أو تعميم، ومن هنا افترق قوله (اجعل هذا بلدا آمنا) وقوله (اجعل هذا البلد آمنا).

الجملة الفعلية:

وجاء هذا الدعاء جملة فعلية (اجعل هذا البلد آمنا) ليفيد التجدد والاستمرار بهذا التجدد، فيظل الأمن متجددا فيه، ويكون نتيجة لكل أمر طارئ قد يؤدي إلى عدم الأمن

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٢/٥٣٦-٥٤٠، وتفسير البحر المحيط ٥/٤١٨-٤٢٣، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٤١-٢٤٦.

والأمـــــان فـــي هـــذا الـــبلد، فهو بيت الله الحرام، وهو ما يجب أن يكون له الأمن مهما يحدث[1].

التقديم والتأخير:

وجاءت الجملة الفعلية (واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام)، لتعطي دلالة واضحة قوية علـــى خصوصـــية الداعـــي، إذ قـــدم نفسه (واجنبني)، بذكر ضمير المتكلم (الياء) ثم عطف (وبنـــيّ)، وهـــذا يعني أن الدعاء أكثر ما يكون للداعي نفسه، ثم يكون لغيره، زيادة على أن إبراهيم عليه السلام أول ما يخاف على نفسه من الكفر والشرك وعبادة الأصنام، حيث لا تزر وازرة وزر أخـــرى، والدلـــيل (إنهن أضللن كثيراً من الناس) فالقلة تخاف أن تتبع الكثرة[2]. والعرب إن أرادت العناية بشيء قدمته.

الجملة الفعلية (أضللن):

وجـــاء اســـتعمال (إنهن أضللن كثيراً من الناس) حيث يعود الفعل (أضللـــن) على (الأصنام)، فكيف تقوم الأصنام بإضلال الناس، وهي حجارة لا حول لها ولا قوة ؟!.

لقد جاء هذا الفعل (أضللن) ليدل على أن هذه الأصنام بما تمثل من رموز للآلهة عند المشـــركين، وبمـــا تمثل من صور وهيئات لسادة القوم (هذا كبيرهم فاسألوه) كأنها أشخاص حقيقـــيون، يدعون إلى الشرك والضلالة بعبادتهم، وجاءت الأصنام بصيغة الجمع دلالة على تعدد الآلهة، فمن هنا جاء الفعل (أضللن) بفك الإدغام دلالة على التشتت والتفرق الذي حصل بقوة هذه الأصنام وتأثيرها، لذا خاف إبراهيم عليه السلام على نفسه أولاً، ثم على بنيه.

المفارقة:

وتأتـــي المفارقـــة في دعاء إبراهيم عليه السلام، إذ جاء (فمن تبعني فإنه مني ومن عصـــاني فإنك غفور رحيم) والمفارقة في قوله (ومن عصاني فإنك غفور رحيم)، حيث كان المســـتوقع أن يكون الدعاء (ومن عصاني فإنك شديد العقاب) أو (ومن عصاني فإنك قوي ذو اقـــتدار) إلى غير ذلك مما يناسب العصاة من صفات وأسماء تتحداهم، أما أن يكسر المتوقع بطلب المغفرة والرحمة لمن عصى فهذه هي المفارقة، فلِمَ جاءت هذه المفارقة ؟!.

إن قوله (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) يحتمل أمرين :

أولهما: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام يطلب المغفرة والرحمة لنفسه، لعجزه عن جعل هؤلاء العصاة من إتباعه، فيستغفر لنفسه لشعوره بالقصور في أداء رسالته.

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٥.

(٢) للمزيد عن معاني التقديم: دلائل الإعجاز. ١٣١-١٣٨.

ثانيهما: أن إبراهيم عليه السلام يطلب المغفرة والرحمة لهؤلاء العصاة بأن يبعث الله تعالى غيره من الأنبياء والرسل فيهديهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، فيكون بذلك قد حقق لهم المغفرة والرحمة والدليل (إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم...) هذا الارتباط الكبير بدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يدعو ربه أن يهدي قومه فهم لا يعلمون، بعد أن رأى صدّهم، كما دعا ربه أن يخرج من بين أصلابهم من يقول لا إله إلا الله، وهذا ما كان.

الجملة الاسمية:

وجاءت الجملة الاسمية(رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم...) إذ إنها جملة اسمية (إني أسكنت) فهي للتأكيد والثبوت في إسكان هذه الذرية، ودلالة ذلك أن إبراهيم عليه السلام يريد إثبات إخلاصه وذريته لله تعالى، لقناعته إنّ الله تعالى سيجنبهم عبادة الأصنام (اجنبني وبني أن نعبد الأصنام) وليؤكد ذلك قال (ليقيموا الصلاة)، وليظهر أن هناك من سيأتي ويدعو العصاة إلى عبادة الله فيستحقون المغفرة والرحمة قال: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) وليس (تهوي إلى بيتك المحرم).

حروف المعاني (من):

وجاء استعمال حرف الجر (من) في قوله (إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم) ليدل على أن من سكنوا هم بعض ذرية إبراهيم عليه السلام[1]، وليس الذرية كلها، فالفعل (أسكنت) فعل متعدٍ إلا أن وجود حرف الجر (من) قد جاء ليثبت دعاء سيدنا إبراهيم الآخر الذي فيه (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)[2].

النفي:

وجاء استعمال النفي في قوله (إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع) إذ جاء الوصف لكلمة (وادٍ) بصيغة النفي (غير ذي زرع) لينفي وجود الزرع والثمار تماما، وإلا لجاء لاستعمال على النحو (بوادٍ يابس ...) إلا أن انتفاء الزرع والثمار كلياً لم يكن ليأتي إلا بهذه الصورة (بوادٍ غير ذي زرع) ومما يقوي ذلك كلمة (ذي) أي: بواد ليس بصاحب زرع النبتة،ومن هنا جاء الدعاء(وارزقهم من الثمرات)لخلو هذا الوادي من الثمرات بصورة تامة[3].

---

(١) الكشاف ٢/٥٣٦-٥٤٠، وشرح المفصل ٨/١٠-١٤.

(٢) سورة البقرة / ٢٨.

(٣) الكتاب – سيبويه ١/٤٣٠.

الإضافة:

أمـــا إضافة البيت إلى الله تعالى (عند بيتك المحرم) فقد جاء ذلك في معرض دعائه عليه السلام، ليكون ذلك أدعى إلى إجابة دعائه بتحقيق الأمن والرزق من باب أن ذلك عندما يخص بيت الله تعالى المحرم، فهو بالتالي سيعمّ أهله وذريته وبلده، ويشمله مباشرة.

أمـــا في قوله (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) فاعتقد أن هذه الأفئدة تعود لأولئك الذين عصوا إبراهيم عليه السلام ليروا هداية الله تعالى لهم، ويروا كيفية رزقه لهم وهم بوادٍ غـــير ذي زرع، فـــتكون قدرة الله تعالى حافزاً لهم على الشكر، ودافعاً للحمد والثناء (لعلهم يشكرون) فهذه من آيات الله عز وجل الذي يجعل من الشجر الأخضر ناراً، والذي يجعل النار برداً وسلاماً.

ثـــم جـــاء قولـــه (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) وهذا تسليم بقدرة الله تعالى، وإظهار لما قدمه إبراهيم عليه السلام من جهـــد وعـــناء لا يخفى، وإقرار منه بأنه قد بذل كل طاقته، وهذا التسليم واليقين من دلالات الاسمية من التراكيب[1].

التقديم والتأخير:

ثم جاء الحمد والثناء على الله تعالى الذي وهبه على الكبر إسماعيل وإسحاق، ودعا أن يجعلـــه الله تعـــالى مقيم الصلاة، فخصّ نفسه وقدمها، ثم ذكر ذريته، وهذا أيضاً في ختام دعائه، (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)، حيث خص نفسه، ثم توسع في التخصيص) (ولوالدي)، ثم خص المؤمنين (وللمؤمنين)، ليظهر حاجته الذاتية إلى مغفرة الله تعالى قبل الآخرين، وإن كانوا والديه أو المؤمنين ممن اتبعوه وصدقوه بدعوته.

التكرار:

ونلاحـــظ تكـــرار لفظ (رب، ربنا) في هذا الدعاء واعتقد أن دلالة ذلك تأتي لكثرة مطالـــب إبراهـــيم في دعائه، فيربط بين المدعو والدعاء وما يتبع ذلك من تخصيص وتعميم، زيـــادة على أن هذا الدعاء يظهر قناعة إبراهيم عليه السلام بأنه قد قدم جهده، واستطاعته في دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام.

كما نلاحظ التنوع في هذا التكرار (رب، ربنا) حيث استعمل لفظ (رب) في مواضع، واســـتعمل لفظ (ربنا) في مواضع أخرى، وكل ذلك له دلالته، حيث جاء لفظ (رب) في قوله (رب اجعـــل هـــذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام)، ولفظ (رب) يناسب فحوى هذا

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٤.

الدعاء، فهو يختص بالمفرد أكثر من الجمع (هذا البلد – مفرد) ، (واجنبني – مفرد) و (بنيَّ – جمـــع) ولأهمية الإفراد وخصوصيته لسيدنا إبراهيم عليه السلام جاء لفظ (رب) ليناسبه وإلا لقال (واجنبنا أن نعبد الأصنام).

وجـــاء لفـــظ (رب) في قوله (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وهذا اللفظ (رب) جاء ليناسب إفراد إبراهيم عليه السلام في الدعوة فهو الذي يدعو الآخرين، فمنهم من تبعه ومنهم من عصاه، لذلك كان هو المخصوص بالدعاء، والمقصود به، فجاء اللفظ (رب) بالإفراد.

أمـــا مجيء لفظ (ربنا) في قوله (ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيـــتك المحـــرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهـــم يشـــكرون)، فهذا لمناسبة فحوى الدعاء الذي لا يأتي بخصوصية كبيرة لإبراهيم عليه السلام، وإنما لغيره من ذريته بصورة الجمع (من ذريتي – ليقيموا – تهوي إليهم ٠ وارزقهم – لعلهم يشكرون)، وهذه كلها يناسبها لفظ (ربنا) بصورة الجمع لا الإفراد .. ويؤكد هذا الآية التي تليها (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في الســـماء) فخصوصية الجمع واضحة (ما نخفي – وما نعلن) لذلك جاء اللفظ (ربنا) أما العودة إلـــى لفظ (رب) بصورة الإفراد في قوله (رب اجعلني مقيم الصلاة) فكانت لمناسبة فحـــوى الدعـــاء (اجعلنـــي) بصـــورة الإفراد، وعندما جاء العطف (رب اجعلني مقيم الصلاة و من ذريتي) عاد لفظ الدعاء إلى صورة الجمع(ربنا) ليناسب العطف بين (اجعلني مقيم الصلاة) و (من ذريتي)، فالمعطوف جمع والمعطوف عليه مفرد، فغلبت صورة الجمع (ربنا) على المفرد (رب) فكان لابد من ذكر لفظ (ربنا) لتأكيد صورة الجمع، وهذا ما نلاحظه في الدعاء الأخير: " ربـــنا اغفـــر لـــي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب"، فالخصوصية ليست إبراهيم عليه الســـلام وحـــده وإنما هناك تساو وتماثل (لي ولوالدي وللمؤمنين) فغلبت صورة الجمع على الإفراد فجاء اللفظ (ربنا) في نهاية الدعاء.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الخامس:

"رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(٨٣)وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(٨٤) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ(٨٦)وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ(٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(٨٨)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"(٨٩) .

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الآيات (٨٣-٨٩) من سورة الشعراء (*).

النداء والحذف:

لقد جاء هذا الدعاء بلفظ (رب) بحذف أداة النداء وياء المتكلم، وهذا الحذف دلالة على استشعار الداعي بقرب المدعو من ناحية، ولتخصيص المدعو وعدم اقترانه بالداعي، حيث إن هـذا الموطن لا يصلح إلا للمدعو مع إشارة خفية إلى الداعي وهي الكسرة في (ربّ)، وهذا الشيء كائن لحاجة الداعي الماسة إلى شيء لم يكن موجوداً أصلا.

الجملة الفعلية:

فمـن هنا يأتي استعمال الفعل (هَبْ) دون غيره من الأفعال نحو (اجعل) الخ، وهذا الشيء غير الموجود هو (الحُكم) من قوله (هب لي حُكما)، والهبة تكون بشيء عظيم لم يكن موجوداً أصلا، ثم جاء العطف بقوله (وألحقني بالصالحين) ولم يقل (واجعلني من الصالحين) فهو قد علم جزاء الصالحين، مُقرّا بما فضل الله تعالى عليهم من نعمته وخيره، فيدعو ربه إلى أن يجعله من الذين يلحقون بالصالحين، وكأن يجدد السير للحاق بهم(١).

الجملة الفعلية:

ثـم جـاءت الجملة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، إذ جاء موضع استعمال الفعـل (اجعل)، والجَعْل فيه قوة لشيء موجود، وهذا الشيء الموجود هو اللسان، إلا أنه يريد فرض الصدق على لسانه دائما، والسبب أنه يتعامل مع قوم كافرين، فيخاف أن يقع في الخطأ والكذب، فيدعو أن يتصف لسانه بالصدق بقدرته وقوته وهو القوي المتين.

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٣/٣١٠-٣١٢، وتفسير البحر المحيط ٧/٢٣-٢٥.

(١) دلائل الإعجاز ١٧٥.

التكرار:

وكـــرر استعمال الفعل نفسه (واجعلني) لأنه يعي أنه سيكون من أهل النعيم بإذن الله، لذلـــك كـــان إدراكـــه للحصول على الجنة موجوداً ومتيقنا، فهو يدعو ربه إلى شيء يعلم أنه حاصل عليه بإذن الله، كيف لا وهو نبي الله ومبلغ رسالته، فكان استعمال الفعل (اجعل) بدلالة التجدد لإظهار الحدث شيئاً فشيئاً وصولاً إلى (في الآخرين).

الجملة الفعلية:

ومـمـــا يدل على إيمانه بأنه من أهل الجنة، أنه استعمل تركيب (واجعلني من ورثة جنة النعيم) والورثة لابد أنهم يعرفون الميراث، ويعرفون حقهم فيه، لذلك فإن حقهم منه ثابت أكـــيد لا يُـــنكر، وزيـــادة علـــى ذلك جاء تعبير (ورثة) ليناسب بداية الدعاء قوله (وألحقني بالصالحين)، وكأنه قد ربط بين التركيبين، فالصالحون الأولون هم من أهل جنة النعيم، ثم دعا لنفسه أن يلحق بهم، فكان من اتباعهم، فهو من ورثتهم لتلك الجنة وذلك النعيم، وهذا التسلسل المعجز والترابط المحكم من دلائل قدرة الله تعالى الذي أنزله قرآناً عربياً معجزاً.

الجملة الفعلية:

وجـــاء التركيـــب (واغفـــر لأبي إنه كان من الصالحين)، خاصاً بأبي إبراهيم عليه السلام، ولم يسبق ذلك لفظ (ربّ) بل عطفاً على ما سبق، خلافاً للدعاء السابق:(ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)، لأن إبراهيم عليه السلام قد قدم لنفسه في بداية الدعاء، واكـــتفى (هب لي حكماً.. وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم)، كل ذلك كان خاصاً بإبراهيم وحده دون غيره.

التوكيد:

أما قوله (واغفر لأبي)، فقد جاءت بهذا التركيب لاستشعار إبراهيم علـــيه السلام إن دعاءه هذا لأبيه لن يجاب، ودليل ذلك، أنه استعمل توكيدين: (إنّ + كان)في قوله (إنه كان من الصـــالين). فجمـــع التوكيد والضلالة، وهذا يعني في قرارة نفس إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى لن يغفر لأبيه، ولكن هذا الدعاء كان على أساس الطبيعة البشرية لإبراهيم عليه السلام وحرصه على والده الضال، وحزنه عليه من أن يُبعث كافراً مشركاً، وهذا فيه خزي لإبراهيم مـــن وجهيـــن: أولهما أن إبراهيم لم يستطع أن يجعل أباه مؤمناً فكيف بغيره ؟! وثانيهما أن إبراهيم سيكون على النقيض من أبيه في الثواب والعقاب، وهذا خزي من حيث العقيدة والدين.

الفعل المبني للمجهول:

وجاء استعمال الفعل (يُبعثون) بصورة المبني للمجهول، ليحمل دلالة كبيرة وهي انه قد جعل ضمير الجماعة (الواو) غير عائد على اسم ظاهر محدد، بل جاء مبهما غير محدد المرجعية، لإيمان إبراهيم عليه السلام أن الخزي سيلحق به من الذين سيبعثون يوم القيامة، مؤمنين كانوا أو كافرين بناء على ما سبق من أن الخزي من وجهين، زيادة على أنه اتبع ذلك بتفصيل يوم القيامة (يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون ..) ليناى بنفسه عن تحديد هوية الذين سيُبعثون، ويكونون شاهدين على الخزي الذي سيلحق بإبراهيم عليه السلام.

النفي:

وجاء تركيب (يوم لا ينفع مال ولا بنون) ليؤكد ضلال أبي إبراهيم من جهة، وإيمان إبراهيم وابنه من جهة مقابلة، حيث جاء (يوم لا ينفع مال ولا بنون)، ولم يقل (يوم لا ينفع مال ولا آباء) لاعتقاد إبراهيم بأنه مؤمن وبأنه من ورثة جنة النعيم لا محالة؛ لذلك فإن إيمان إبراهيم عليه السلام لن يشفع لأبيه الضال ولن ينفعه يوم يبعثون سوياً، لذلك جاء تأكيد النفي (يوم لا ينفع مال ولا بنون) فالنفي الثاني (ولا بنون) للتأكيد بأن البنين المؤمنين لن ينفعوا الآباء الضالين، وإلا لحذف النفي الثاني (ولا بنون) ويكون التركيب (يوم لا ينفع مال وبنون)، واستثنى من أتى الله بقلب سليم، وهذا لا يكون إلا إذا كان مؤمنا مسلما لله[1].

الجملة الفعلية:

أما استعمال الفعل (أتى) في قوله (إلا من أتى الله بقلب سليم)، فهو للدلالة على أن الحق واضح لا شبهة فيه ولا شك، وكل من يحمل قلبا سليما لابد أن يذهب بنفسه إلى الحق والنور ولا ينتظر من يأخذ بيده إلى الإيمان والإسلام.

---

(١) انظر: لغة القرآن الكريم ٢٧٠، ٢٧٢-٢٧٧.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء السادس:

" رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ "(١٠١)

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الآية(١٠٠) من سورة الممتحنة (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (رب) وحذف أداة النداء وضمير المتكلم، وهذا الحذف جاء مرتبطاً بالفعل بعده (هب) الذي فيه حذف أيضاً، وهذان المقطعان المتماثلان (ربِّ هب لي) يظهران تعجل إبراهيم عليه السلام في طلبه ودعائه، فهو يريد شيئاً غير موجود أصلاً، وهو غلام حليم، وقد سبق أن قال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق) فالهبة تكون بشيء غير موجود أي أنه عدم، لذلك كان إيجاد هذه الذرية وهذا الغلام أمرا من قبيل المعجزة، وكأنه كان في حكم العدم الذي لا يكون(١).

حروف المعاني (من):

وجاء استعمال التركيب (هب لي من الصالحين) بوجود حرف الجر (من) للدلالة على أن إبراهيم لم يكن يطلب غلاماً واحداً أو اثنين، ولكنه عمم دون تحديد، فقال: (من الصالحين) بصورة الجمع، وهذا يناسب ما جاء في دعائه الأخر (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)(٢)، فهو يريد كثيراً من الصالحين، لتكون هناك ذرية صالحة كثيرة، يأتي منها أمة مسلمة، فجعل (الصالحين) أساساً لهذه الأمة المسلمة لله تعالى.

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٤/٥٠-٥١، وتفسير البحر المحيط ٧/٣٥٤.

(١) انظر: شرح المفصل ٢/١٥-١٦.

(٢) البقرة: ١٢٨.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء السابع:

" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(٥) .

هـذا الدعـاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الآيتين (٤-٥) من سورة الممتحنة (*).

جـاء هذا الدعاء بعد مقدمة خاصة بإبراهيم ومن معه، إذ بدا أن هناك فريقين: فريق المؤمنين وفريق الكافرين، وجاء استغفار إبراهيم ربه لأبيه على علم منه وقناعة بأنه لا يملك مـن الله مـن شـيء، فالمؤمن جزاؤه الخير، والكافر الشر والعذاب، وسبق أن قلنا إن دعاء ابراهيم لأبيه كان بسبب الفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية التي تحتم على الابن الدعاء بالخير لأبيه، وإن كان على غير دينه.

النداء:

وجـاء الدعاء بعد هذه المقدمة، بلفظ (ربنا)،حيث جاء بصيغة الجمع، وهذا مناسب لمقدمـة الدعـاء، حيـث كانت (قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معـه، إذ قالـوا لقومـهم ..) وهذا يـدل على إظهار حاجة الجماعة إلى الله تعالى، حاجتهم إليه فُرادى، فالقلة أو الكثرة لا تغني عن الله تعالى.

التقديم والتأخير:

وجـاءت جملة الدعاء (عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) وهذه الجملة جاءت بجمل معطوفة، يميزها التقديم والتأخير فيها.

فقـد قـدم شبه الجملة (عليك)، وشبه الجملة (إليك)، في التراكيب الواردة فيه، وهذا الـتقديم ذو دلالـة عظيمة، وهي أنه لا أحد يُتَوَكَّل عليه سوى الله تعالى، ولا أحد يُرجع إليه فيكون موضع أمن واطمئنان غير الله تعالى، ولا أحد يملك مصير العباد إلا الله تعالى، على

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٥٠٢/٤، وتفسير البحر المحيط ٢٥٢/٨-٢٥٣.

الرغم من أن تقديم شبه الجملة الواقعة خبراً على المبتدأ المعرفة من باب الجواز لا الوجوب[1].

التكرار:

وجاء تكرار لفظ (ربنا) لتأكيد حاجة الداعين إلى المدعو.

النفي:

ورد التركيب منفياً (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ...) وهذا النفي في الجملة الفعلية يظهر أمرين: أولهما أن الفتنة موجودة في النفس الإنسانية أصلاً ومن طبيعتها، وجاء هذا الدعاء بالنفي ليجعل الفتنة وكأنها عدم لا وجود لها في أنفسهم، فهي ليست من صفات المؤمنين، وكأنها منتفية نهائياً عن نفوسهم. والأمر الآخر، أن الإثبات لهذا التركيب لا يؤدي دور النفي، لأن عناصر التركيب متلائمة معاً، وتتفق في معناها ودلالاتها، فالفتنة من قرائن الكفار، لذلك اقترنت صورة الفتنة المنفية عن المؤمنين لتظهر اتصالها بالكافرين، فهي من سماتهم وصفاتهم، ولو أن التركيب ورد بصورة الإثبات لجاء لفظ أخر غير لفظ (الفتنة)، لا يعطي تصوراً لاستغلال الكافرين طبيعة النفس البشرية من الجانب السلبي، لذلك كان النفي نفي للصفات الشائنة عن الأنبياء ومنها الفتنة[2].

المفارقة:

وتأتي المفارقة واضحة في هذا الدعاء، فظاهر الدعاء يدل على أن الداعي لا يريد أن يكون فتنة للذين كفروا، والأصل أن يكون فتنة للكافرين، وأن لا يكون فتنة للذين أمنوا. إن هذه المفارقة تعني انتفاء صفة (الفتنة) عن المؤمنين، ومهما يكن من أمر فإن الفتنة صفة غير محببة عند الناس جميعاً مؤمنين وكافرين، وأما الأصل أن لا يكون فتنة للذين أمنوا، فالإيمان يُلغي الفتنة مباشرة، لأنه ليس من صفة المؤمنين التعجل والوقوع في الفتنة، وإن كانوا أكثر الناس ابتلاء.

الجملة الفعلية:

وجاء التركيب (واغفر لنا) جملة فعلية، بعد قوله (لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) وهذا أمر لا بد منه، فدعوة الداعي ألا يكون فتنة للكافرين، توحي بتساهله معهم، وحرصه عليهم، وخوفه من أن ينالهم العذاب، وهذا الإيحاء استُدرك مباشرة، فجاء طلب المغفرة ليكون ذلك من

---

(١) المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم – الشاذلي، حيث فسر التركيب الإسنادي وما فيه من تقديم وتأخير وحذف ... الخ.

(٢) لغة القرآن الكريم ٢٧٢- ٢٧٤

اختصـــاص الله تعالى وحده، دون النظر إلى إيحاءات الدعاء، لذلك جاء التركيب (واغفر لنا) قـــبل النداء (ربنا)، لأنه يستعجل المغفرة على ما قدّم، وهو على يقين من أن صاحب المغفرة هو الله تعالى قدّم ذلك أو أخره، فكان الحرص على الطلب لا على تحديد المدعو بداية- لعلمه به وثباته في نفسه.

التأكيد:

ولتأكـيد ذلـك جاءت نهاية الدعاء بقوله (إنك أنت العزيز الحكيم)، إذ ورد التركيب بصورة التأكيد (إنك)، وبزيادة التأكيد (إنك أنت) حيث أكد الضمير المتصل (الكاف) بالضمير المنفصـــل (أنت)، زيادة في الحصول على المغفرة مع الإيمان المطلق المؤكد بأنه الله تعالى وحـــده هـــو العزيـــز الحكـــيم، وفـــائدة هذا التأكيد تمكين المعنى من قِبل المخاطب في نفس المخاطـــب[1].

---

[1] شرح المفصل ٣/٤٠

دعاء سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام في الآية (٨٣) من سورة الأنبياء*

الحذف :

جاء هذا الدعاء خالياً من لفظ المدعوّ وهو الله عز وجل ، فلم يأت لفظ (ربّ) أو (يا ربي) أو (اللهم) إلى غير ذلك من الألفاظ التي يبُدأ فيها الدعاء، وأعتقد أن خلو هذا الدعاء من مثل هذه الألفاظ يعود إلى أن أيوب قد شمله الضرّ ، ولم يعد قادراً على الكلام أو الأكل أو الرؤية، لشدة ما أصابه من ابتلاء في نفسه وماله وأولاده وزوجه ؛ ولهذا كله كانت غاية أيوب أن يستجمع قواه، ويخاطب ربّه بدعوته إياه للخلاص من هذا الضرّ، فجاء دعاؤه خالياً من ذكر المدعوّ في بدايته؛ لأن أيوب يريد إظهار ما به من ضرّ في كلام موجز بليغ ، فكان دعائه(أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين) ، حيث يكون الحذف أبلغ من الذكر، انسجاما مع ما آل إليه من أحوال [١].

الجملة الاسمية المؤكدة:

وجاءت جملة الدعاء جملة اسمية مؤكدة (أنّي مسّني الضرّ) وهذا يدل على تغلغل الضرّ في أيوب ولا مناص منه، أما الخبر فجاء جملة فعلية ليدلّ على أن الضرّ قد تكرر وتجدد، وظهر بأكثر من حال، حيث كان الضرّ في المال والمُلك والأولاد والزوجة وفي صحته، وهذا التجدد والتغير من سمات الجملة الفعلية [٢].

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ١٢٧/٣-١٢٨ ، وتفسير البحر المحيط ٣١٠/٦ والجامع لأحكام القرآن ٢١٤/١١-٢١٦

[١] دلائل الإعجاز ١٤٦

[٢] م.ن ١٧٤-١٧٥

الجملة الاسمية :

وجـــاءت الجملـــة (وأنت أرحم الراحمين) اسمية، لتدل على إيمان أيوب بربّه، ويقينه برحمة الله التي ستنجيه مما آل إليه، إذ إن هذه الجملة الاسمية تبرز صفة ثبات السمة الواردة فيها وهي رحمة الله عز وجل.

ويلاحظ أن جملة الدعاء (أني مسني الضرّ) جملة خبرية لا طلبية، على الرغم من أن الـــنداء لا بدّ أن يتبعه طلب أو حاجة، كالدعاء تماما، ودلالة هذه الجملة الخبرية هي أن أيوب لـــم يكـــن بقادر على الطلب وتفصيله، فالله به أعلم، فتأدب أن يطلب خوفا من أن يكون حجة عليه في عدم صبره على ابتلاء ربه له[1].

---

[1] قصص الأنبياء ١٦٣-١٦٦

دعاء سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام في الآية (٤١) من سورة ص*.

الحذف :

جساء هذا الدعاء خالياً من اللفظ الدال على المدعوّ وهو تعالى في بداية الدعاء، نحو ربّ، يا ربّ، يا ربّي، ربّنا، اللهم... ودلالة خلو هذا الدعاء من مثل هذه الألفاظ وعدم مجيئها تنســجم مع أحوال أيوب وبلائه، فهو قد أنهكه المرض والعجز، فصار غير قادر على النطق والمضــغ والــرؤية ...الخ، فكان من العجز بمكان، بحيث إنه لا يقوى على شيء، فاستجمع قواه، ونطق بهذا الدعاء الموجز في ألفاظه وتراكيبه، البليغ في التعبير عن حاجته، فقال (أني مسّني الشيطان بنُصب وعذاب).

الجملة الاسمية المؤكدة :

وجــاء التركيب (أني مسّني الشيطان بنُصب وعذاب) جملة اسمية مؤكدة للتعبير عن وقــوع هذا المسّ حقيقة ثابتة، لا يستطيع الخلاص منه، وهذا المسّ من الشيطان، فالفاعل هو الشــيطان في التركيب، وما أصاب أيوب كان من الله عز وجل، ليظهر ضعف الشيطان الذي أقســم علــى أن يثني أيوب عن أمر ربّه ودينه، فكان هذا الابتلاء من الله تثبيتا لأيوب، ونفيا لرغبة الشيطان[1]. لذلك جاء قوله (بنُصب وعذاب) بسبب إسناده الفعل إلى الشيطان، ولو أسند الفعــل إلــى الله جــلّ وعزّ لما جاء (بنُصب وعذاب)، بل يأتي ضدّه تماماً، كمحبة ابتلاء الله والصبر عليه والتمتع به، دون إشارة إلى أي نوع من الألم أو العذاب، فكانت الجملة الاسمية دالة على وجود هذا البلاء واستقراره فيه.

---

*للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٤/٩٣--٩٤، وتفسير البحر المحيط ٧/٣٨٣-٣٨٤

[1] قصص الأنبياء ١٦١-١٦٦

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام – الدعاء الأول :

" رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام في الآية (١٠١) من سورة يوسف*

النداء والحذف :

جاء هذا النداء بلفظ (ربِّ) بحذف أداة النداء وضمير الإضافة الياء، والأصل (يا ربّي)، ودلالة هذا الحذف تكمن في أن يوسف عليه السلام كان يريد إظهار فضل الله تعالى عليه، وتبيان نعمه، لذلك جاء بالتفصيل والإطالة في ذكر ذلك، فكانت غايته الحمد لله والثناء عليه، وهذه تقوم مقام الإطالة في (ربِّ) .

الجملة الفعلية :

وجاء التركيب (قد آتيتني من الملك) جملة فعلية محققة بحرف التحقيق (قد)، إقرارا مؤكدا من يوسف عليه السلام بنعم الله عليه، وبأن الملك والتأويل قد تحققا له، فأصبحت الجملة الفعلية المحققة بصفة الاسمية الدالة على الثبوت لا فرق بينهما.

الوصل :

وجاء الوصل في قوله (وعلمتني من تأويل الأحاديث)، إذ إنه يفيد السعة في القول والتفصيل فيه، فجمع فيهما بين أمرين من أمور الدنيا على الرغم من أنه تعلم تأويل الأحاديث قبل إتيان المُلك، وسبب تقديم المُلك هو أنه ذكر الأقرب له من حيث النعمة ثم الأبعد.

حروف المعاني(من) :

ويلاحظ في التركيبين السابقين أن المفعول الثاني لكل من فعليهما قد اقترن بحرف الجرّ (من) في قوله (آتيتني من المُلك) والأصل: آتيتني المُلك، وقوله (علمتني من تأويل الأحاديث) والأصل: وعلمتني تأويل الأحاديث، وهذا الحرف ليس زائدا للتوكيد، وإنما هو دلالة على أن ما جاء ليوسف من المُلك ليس إلا جزءا يسيرا من ملكه عز وجلّ، وأن ما يعلم

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٤٨٧/٢، البحر المحيط ٣٤٣/٥ والجامع لأحكام القرآن ١٧٦/٩-١٧٧.

مـــن تـــأويل الأحاديـــث لـــيس إلا غيضـــا من فيضه عزّ وجلّ، فأفاد الحرف (من) الجزء والتبعيض[1].

وجـــاء التركيـــب (فاطـــر الســـماوات والأرض)، الذي يحتمل وجهين[2]: البدلية أو الاســـتئنافية؛ فالـــبدل من المنادى (ربّ)، والاستئناف على نحو: يا فاطر السموات والأرض، وأميل إلى الوجه الثاني، بسبب أن يوسف قد أنهى حمده وثناءه، فاستأنف بهذا التركيب ليقابل بيـــنه وبين التركيب الذي يليه في محتواهما، حيث ذكر السموات والأرض ثم قال (أنت وليّ فـــي الدنيا والآخرة) فالسموات هي الآخرة والأرض هي الدنيا، ليظهر يوسف أن الله قد كان معـــه في الأرض والدنيا، حيث آتاه من المُلك وعلّمه من تأويل الأحاديث، وهو راغب في أن يكـــون الله تعـــالى معه في السموات والآخرة، لذلك دعا ربه أن يتوفاه مسلما في الدنيا، وأن يلحقه بالصالحين في الدار الآخرة.

الجملة الاسمية :

وجـــاء التركيب (أنت وليّ في الدنيا والآخرة) جملة اسمية لقناعة يوسف عليه السلام بـــأن الله لـــن يخذله في الآخرة، فهو الذي رعاه وعصمه وصرف عنه السوء في الدنيا، وكل ذلـــك مدعاة إلى أن يقرّ يوسف بأن الله وليُه في الدنيا والآخرة، وقدم الدنيا على الآخرة لأنه رأى بعينه ولاية الله له فيها، فأرادها أيضا في آخرته.

وجـــاء التركيـــب (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) ليدل على غاية يوسف من هذا الدعـــاء، فهـــو الـــذي ملك من الدنيا ما ملك، يعلم بأنه لا بد من رجوع إلى الله تعالى، فكان دعاؤه:(توفني مسلما) خوفا على نفسه من أن يُزله الشيطان عن دينه، فيخسر آخرته وهو بها راغب، ويوسف هو النبي الوحيد الذي تمنى الموت[3].

الوصل :

ثـــم وصل فقال: (وألحقني بالصالحين) رغبة منه في الوصول إلى منتهاه وقراره عند ربّ العالميـــن. وهـــذه الجملة قد جاءت توسعة وزيادة في الرغبة عند يوسف في لقاء ربّه، فوفاتـــه مسلما تعني أنه من الصالحين، ولكنه جاء بهذا التركيب (وألحقني بالصالحين) ليظهر

---

[1] الكشاف ٤٨٧/٢، تفسير البحر المحيط ٣٤٣/٥.

[2] الكشاف ٤٨٧/٢

[3] قصص الأنبياء ١٤٤

طاعـــته لله ورغبته في جواره وقربه، فيلحق بالصالحين من قبله، إيذاناً منه بأنه قد بلّغ رسالة ربّه، فكان الوصل دلالة الترتيب[1].

ونلاحـــظ فـــي هذا الدعاء أن الإطالة في مقاطعه، والأناة في كلماته، ودلالة هذا أن يوســـف عليه السلام قد أقبل على الله، وشارف على الموت، فكان في غاية الأدب في دعائه الذي يحتوي الحمد لله والثناء عليه، ودليل هذه الإطالة أن كل تركيبين قد عُطف بينهما أو ما شـــابه العطـــف: فقوله (ربِّ) يقابله (فاطر السموات والأرض)، وقوله (قد آتيتني من المُلك) يقابلـــه (وعلّمتنـــي من تأويل الأحاديث)، وقوله أنت وليِّ في الدنيا) يقابله (والآخرة)، وقوله (توفنـــي مســـلماً) يقابلـــه (وألحقني بالصالحين)، فهذه التراكيب المعطوفة إنما هي تعبير عن خلوص نفس يوسف من الدنيا، وتوجهها كاملة إلى ربِّها مشتاقة إلى لقائه.

---

[1] شرح المفصل ٨/٩٠-٩٣ ، قطر الندى ٣٢٨

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام في الآية (٣٣) من سورة يوسف*.

النداء والحذف :

جاء هذا الدعاء بلفظ (ربِّ) محذوف أداة النداء، وضمير المتكلم، والأصل (يا ربّي). ودلالة هذا الحذف تكمن في أن يوسف عليه السلام كان في سباق مع فطرته البشرية من جهة، ونبوءته الإلهية من جهة أخرى، فلمّا أحس بلزوم اتّباع أحد الأمرين، اختار التوجه إلى ربّه تبعاً لمشيئة الله عزّ وجلّ، كمشيئته تعالى في اختيار سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كوب اللبن من بين أكواب الماء والخمر في معجزة الإسراء والمعراج، وحين التفت يوسف بنفسه إلى ربّه، تقدم بدعائه خشية أن تهفو نفسه إلى الدنيا وفتنتها، فدعا بلفظ (ربِّ) مختاراً نبوّته الإلهية دون فطرته البشرية.

الجملة الاسمية :

وجاء التركيب (السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه) جملة اسمية، حيث إنها تدلّ على إمعان يوسف في اختياره، وإقراره به، وتمسكه بهذا الخلاص على الرغم من أنه السجن؛ وجاءت هذه الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر اسمين لتأكيد ثباته على دينه[1] دون تردد في موقفه أو وسوسة في نفسه.

ومما زاد هذا التركيب تأكيداً على ما سبق أن الخبر قد جاء اسم تفضيل ليؤكد أن ما اختاره لا يدانيه شأن آخر ولا يصل إلى درجته.

حروف المعاني(إلى) :

وجاء تركيب شبه الجملة (إليّ) ليعطي دلالة مهمة، وهي أن استعمال (إليّ) أقوى من استعمال (لي) وأكثر إعجازاً؛ حيث إن دلالة (إليّ) هي انتهاء الغاية المكانية[2]، والمكان هو يوسف عليه السلام، فالسجن أحب إلى يوسف بجسده، لأن ما يسجن هو الجسد، وسجن الجسد

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٢/٤٤٩-٤٥٠، وتفسير البحر المحيط ٥/٣٠٥-٣٠٧، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٢١-١٢٢.

[1] دلائل الإعجاز ١٧٤.

[2] شرح المفصل ٤/١٤.

سيؤدي مباشرة إلى منع نفس يوسف من الخطأ حتى لو أنها أرادت ذلك، فإن السجن سيمنع النفس من ذلك لأنه يحتجز الجسد.

أما استعمال شبه الجملة (لي) في نحو: السجن أحب لي، فلن يؤدي إلى دلالة شبه الجملة (إلي)، لأن اللام في (لي) تفيد التخصيص[1] والملكية، وهذه من دواخل النفس، فاللام تخُص النفس مباشرة لا الجسد، أما مجيء (إليّ) ففيه بُعد وإطالة أكثر من اللام في (لي)؛ ذلك أن نفس يوسف تكره السجن وتحبُّ بعده، إلا أن سجن جسده قد أراح نفسه وهذا من باب المفارقات التي لا تكون إلا عند الأنبياء والصالحين.

المفارقة:

إن المفارقة تكمن في محبة يوسف للسجن، والسجن مكروه لا يُحب، ودلالة ذلك أن السجن ليوسف يؤدي إلى راحة ضميره ونفسه، أما حريته فتؤدي إلى سجن نفسه وضيقها، لأنها تعدّت حدود الله ولم تجتنب نواهيه وتنفذ أوامره.

حروف المعاني(إلى):

وجاء تركيب (مما يدعونني إليه) باستعمال شبه الجملة (إليه) ليقابل شبه الجملة (إلي) في قوله (السجن أحب إلي)، وهذه المقابلة تفيد دلالة واحدة هي الغاية المكانية، فالمكان هو النساء وقد يصل الجسد إلى الجسد ، وليس شرطاً الدخول في الجسد ووقوع الزنا.

الجملة الشرطية:

وجاء تركيب الجملة الشرطية (وإلا تصرفْ عنّي كيدهنّ أصبُ إليهن)، وهذا التركيب يدلُّ على أن يوسف عليه السلام لم يصبُ إليهن مجتمعات، لأن الله صرف كيدهن عنه، ولم يهمّ بامرأة العزيز من قبل، لأنها قد اعترفت بأنه قد استعصم في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: " ولقد راودته عن نفسه فاستعصم "[2]، وهذا يعني أن يوسف عليه السلام لم تراوده نفسه في امرأة العزيز قط، فهو الذي استعصم على جميعهن، فكيف لا يستعصم على واحدة منهن وحدها؟! وإن كان الصبو بمعنى الميل فذلك من فطرة البشر لا غير.

التقديم والتأخير:

وجاءت جملة فعل الشرط بتقديم شبه الجملة (عنّي) على المفعول به (كيدهنّ)، وهذا التقديم يدل على رغبة يوسف في صرف السوء عنه مهما كان نوع هذا السوء، فالنجاة منه هي غايته ومراده، ولو كان همُّه (كيدهن) لقدم (كيدهن) على شبه الجملة (عنّي) نحو : (وإلا

---

[1] شرح المفصل ٨/٢٥.

[2] يوسف / ٣١.

تصـــرف كيدهن عنّي أصبُ إليهن..) فالتقديم كان ليضع نفسه بين يديّ ربّه، لأنه خص نفسه أكثر من أي شيء آخر، فهو يخاف من نفسه على نفسه، ولا يخاف من كيدهن عليه.

حروف المعاني (إلى):

وجـاءت شـبه الجملة (إليهنّ) لتدل على أن يوسف قد يصبو، ويصل به الصبو إلى حدود الجسد لا الدخول فيه والزنا، وذلك من خلال استعمال الحرف (إلى) لإفادة معنى انتهاء الغاية المكانية[1] ولو كان الاستعمال على نحو: أصبُ لهنّ، باستعمال حرف الجر (اللام) في (لهنّ) لدلّ ذلك على أن يوسف قد يزني، وحاشا لله أن يكون ذلك من نبيٍّ الله.

الوصل:

ثم جاء الوصل في قوله (وأكن من الجاهلين) ليدلّ ذلك على أن صَبْوه إلى النساء – إن لـم يصـرف الله تعـالى السوء عنه– لم يكن من يوسف النبيّ، وإنما من يوسف الإنسان البشـر، ومـع ذلك فلم تشأ إرادة الله له ذلك الصبو إلى النساء، وعصمه وصرف كيدهن إن كيدهن عظيم، فالنبي لا يكون جاهلا بحال من الأحوال، وإنما الجهل طبع يقترن بالبشر الذين لا يصلون إلى رتبة الأنبياء، فكان الوصل دلالة الترتيب[2].

---

[1] شرح المفصل ٨/١٤.

[2] شرح المفصل ٨/٩٠-٩٣، قطر الندى ٣٢٨-٣٢٩.

دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

"هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ(٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(٤٠) ."

جـــاء هذا الدعاء على لسان سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام فى الآيتين (٣٨-٤٠) من سورة آل عمران (*).

لقـــد جاءت هذه الآيات الكريمة بعد قوله تعالى :".. كلما دخل عليها زكريا المحراب وجـــد عـــندهـــا رزقا قال يا مريـــم أنى لكِ هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب(٣٧)[١].

النداء والحذف:

تظهـــر الآيـــات الكريمة موقف الدعاء الذي وقفه زكريا عليه السلام، وهذا الموقف حادث من قوله تعالى على لسان زكريا :" رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء" فكلمـــــة (رب) مـــنادى، والمـــنادى هو المدعو، وأداة النداء محذوفة لتلهّف زكريا، وذكره المدعو مباشرة، لتقريبه إليه وكأنه أمامه صورة حقيقية ماثلة، وهذا الشيء مرتبط بالاستعجال في الطلب، فالتأخر فيه متبوع بموانع مستحيلة : هو شيخ كبير وزوجته امرأة عاقر، وكلما مر الزمان قلت فرصة النجاح، وضعف الأمل بالإنجاب على الطريقة البشرية المعهودة، لكل ذلك كان الحذف، ففيه تعظيم لله وإجلال لقدره[٢].

ويأتـــي اســـتعمال الفعل (هب لي) ليؤكد مبدأ الاستعجال في دعاء زكريا، وهو أكثر تأثيرا من أفعال أخرى تحمل المعاني القريبة، نحو: أعطني، امنحني، اجعل لي .... الخ، لأن من يوهب الشيء هو من يتسع له ذلك الشيء ويكون قادرا عليه[٣]، حيث يعطي الفعل (هب) دلالة الاستعجال، لأنه مكون من حرفين فقط: أولهما الهاء وهو من الحروف الحلقية، والأخر الباء وهو من الحروف الشفوية، والاثنان في أقصى درجات التباعد من حيث الجهاز النطقي، فالهـــاء من الأعماق قد خرج لشدة تلهف زكريا في الدعاء، والباء من الشفتين المتحركتين في محاولـــة لإظهار مدى الرغبة والطلب والدعاء على الحقيقة، وكأن الداعي يريد إظهار دعائه

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٣٥٣/١-٣٥٤، وتفسير البحر المحيط ٤٦٢/٢-٤٧١.

(١) آل عمران / ٣٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١٧/٧.

(٣) المعجم الوسيط ١٠٥٩/٢.

للمدعـــو من خلال نفسه العميق (الهاء)، ومن استعمال الشفتين لشدة التقرب من المدعو، وإلا لاســـتعمل: أعطنـــي، أو امنحني،.... بدلا من (هب لي)، ولكن تلك الأفعال لا يمكن أن تأتي بدلالـــة (هـــب لـــي) فمن هنا يغلب القول بعدم وجود ترادف في العربية إلا على نحو يسير، وبأسلوب غير ما هو متواضع عليه من قبل جمهرة اللغويين وغيرهم.

ويضـــاف إلى ما سبق، ذلك التماثل الصوتي المقطعي في النداء وطلبه، حيث تتماثل المقاطع في جرسها عند قوله (ربْ + ب) وقوله (هَبْ +لي)، ذلك أن الياء في (لي) لا تنطق ممطولـــة تامـــة في هذا المقام، بل مساوية لنطق الكسرة في (ربِّ) أو أكثر قليلا، واعتقد أن التصـــعيد واضح تماماً في هذا التماثل المقطعي بينهما، فكأن المقاطع المتوالية من باب واحد على نمط التوكيد اللفظي.

ويظهر مبدأ الاستعجال في هذا الدعاء من خلال انتفاء صفة الانفجارية عن الباء في الفعل (هبْ) على الرغم من سكونها، وكأنها أدغمت في (اللام) بعدها (لي) فالصوت لا يحتاج إلـــى مدة طويلة كتلك التي يحتاجها لو لازمته صفة الانفجار، وهذا يؤكد مبدأ الاستعجال في الدعاء، وكله يناسب ما ورد في الدعاء، من حذف في (رب) و(هب لي).

المفارقة القرآنية والاستفهام:

جـــاء قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام :" قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغنـــي الكـــبر وامرأتي عاقر..." محتوياً على الاستفهام الدال على المفارقة القرآنية من حيث الطلب في الدعاء، والتساؤل والاستغراب بعد إجابة الدعاء.

لقـــد جاءت المفارقة الأولى العجيبة: لقد رأى زكريا دلائل قدرة الله تعالى ماثلة أمام عينـــيه في:" كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هـــو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"[1]. وبعد أن تيقن من تلك القدرة الإلهية الخارقـــة المعجـــزة، وهي إيجاد فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، توجه زكـــريا بالدعـــاء إلى الله طالباً وراجياً في أن يرزقه بذرية رغم أنه ليس بوقت إنجاب ذرية، يماثل في ذلك قدرة الله في إعطاء الشيء في غير وقته وأوانه[2].

وعـــندما تمت الإجابة من رب العالمين لدعوة زكريا، وبشرته الملائكة بيحيى، وقعت المفارقـــة بتوجـــيه دعاء آخر لا ضرورة له وفق الإيمان بقدرة الله تعالى، فالدعاء الأول فيه تسليم تام بقدرة الله تعالى، والثاني فيه تساؤل عن الكيفية (أنى يكون لي غلام وقد ....).

---

(١) آل عمران / ٣٧.

(٢) الكشاف ١/٣٥٣-٣٥٤، وقصص الأنبياء ٣٧٦.

الاستفهام:

لقد جاء الاستفهام من زكريا (أنى يكون لي غلام وقد ...)، وكلمة (أنى) تحتمل معنيين: أولهما بمعنى (من أين) أي لا أملك الوسيلة، وثانيهما بمعنى (كيف يكون)، أي مخالفة للطبيعة البشرية [1].

وفي كلا المعنيين المحتملين يقوم تساؤل زكريا عن كيفية الإعجاز مع وجود المانعين الرئيسين: الشيخ والعاقر، فكيف يأتي الغلام المبشَّر به ؟! تساؤل لا يخلو من اضطراب، ولكنه اضطراب نفسي داخلي يجب أن يجد الجواب، ليس من قبل زكريا نفسه، ولكن من قبل غير زكريا، ليقتنع الآخرون بحجة زكريا، فهذه آية ستكون ماثلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإن كان مثل هذا الاستفهام أو التساؤل شيئاً طبيعياً من قبل البشر، إلا أنه من قبل زكريا يعد مفارقة، وهي أن زكريا قد توجه بالدعاء إلى صاحب الأمر والشأن، ثم عاد وتساءل عن كيفية حصوله والقدرة عليه، على الرغم من وجود آيات الله وقدرته، وهذه من خلال: " هنالك دعاء زكريا ربه" أي بعد أن رأى براهين ربه في قدرته على إطعام مريم بأشياء ليست في أوقاتها وفق طبيعة الحياة.

المفارقة:

والمفارقة الثانية العجيبة هي أن زكريا عليه السلام عندما بُشر بيحيى مصدقاً بكلمة من الله تعالى وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين، لم يندهش، ولم يلفت انتباهه كل تلك الصفات ليحيى، مصدقاً بكلمة من الله – سيداً – حصوراً – نبياً من الصالحين، وهذا واضح في قول زكريا : أنى يكون لي غلام ؟ فأين كلمة غلام من تلك الصفات الرائعة التي أسبغها الله من نعمته على يحيى.

إن اهتمام زكريا بكلمة (غلام) أكثر من تلك الصفات العظيمة يعود إلى فرحته العفوية بإمكانية مجيء الغلام، لأن هذا مراده ومبتغاه أولاً وأخيراً، فكم من شاكر لله لو حوسب على فرحته لدخل النار: اللهم أنا ربك وأنت عبدي، أخطأ لشدة فرحة باسترداد ضالته؛ وكذلك زكريا، فقد سيطرت عليه مشاعر الأبوة والحنان والفرحة بالغلام، فتغاضى عن كل شيء سواها، وهذا يعني أن زكريا تكلم بلسان البشر لا بلسان النبي، ليكون ارتباط آخر الدعاء بأوله مكان إعجاز عظيم مثلته آيات الله عز وجل.

---

(١) شرح المفصل ٤/١١٠-١١١، ولغة القرآن الكريم ٢٨٤.

شبه الجملة (من لدنك)[1]: جاء تركيب شبه الجملة (من لدنك) ليظهر مدى خصوصية الإجابة وتعلقها بالله عز وجل دون سواه على الإطلاق، فقوله تعالى على لسان زكريا :" رب هـــب لي من لدنك" يظهر أن إنجاب غلام من شيخ هرم وامرأة عاقر لا يقدر عليه سوى الله تعـــالى، فالظرف (لدن) يدل على تغلغل هذه القدرة في الله وحده دون غيره؛ ولهذا لم يستعمل الظرف (عند)، لأن (عند) تفيد وجود الشيء ليس في ذات الشيء وإنما قد تكون فيه أو خارج إطاره[2]، أما (لدن) فدلالة العمق فيها واضحة الذي لا يكون إلا في ذات الشيء ومستقرا فيه.

الجملة الفعلية (اجعل لي آية) :

لقـــد جاءت هذه الجملة الفعلية بفعل الطلب (اجعل)، واستغنى عن الفعل السابق (هب لي آية)، واعتقد أن ذلك يعود إلى أن صفة الاستعجال قد انتهت بعد البشرى بقدوم يحيى، لذلك أخذ زكريا متنفساً في مخاطبة رب العزة، فكانت (اجعل)، وفي هذا الفعل من الطول ما يناسب نفســـية زكريا واطمئنانه، زيادة على أن الجملة الفعلية دالة على التجدد في الحدث، فهذه الآية التي يريدها زكريا تكون ذات تجدد واستمرارية إلى يوم الدين، لتكون معجزته من ربه[3].

---

[1] للمزيد عن (لدن) انظر: الكتاب ١/٢٦٥، ٣/٢٨٦، ٤/٢٣٣، همع الهوامع ٢/١٦٠-١٦٢، الذاهب من مواد النحو في العربية الحديثة – السامرائي ٥٩-٦٠.

[2] الكتاب ٤/٢٣٢.

[3] دلائل الإعجاز ١٧٥، وعلم الأسلوب ٢٠٨-٢٠٩.

دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا(٦)يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)(١٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ(٤١) ."

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام في الآيات (٤-١٠) من سورة مريم (*).

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (رب) وقد حذفت أداة النداء وياء الإضافة الدالة على المتكلم، والأصل (يا ربي)، ودلالة هذا الحذف تكمن في أن موقف زكريا عليه السلام يستدعي الاستعجال والسرعة في الدعاء، ولا وقت هناك للمد والإطالة وإظهار الخضوع الأكثر والخشوع الأعظم، وهذا الشيء يعود إلى رغبة زكريا في إيصال الدعاء ومتطلباته بأسرع وقت، نظراً لطبيعته الإنسانية وظروفه البشرية وهي: كبره في السن وشيخوخته من جانب، وزوجه العاقر من جانب آخر.

الجملة الاسمية المؤكدة:

وبدأ الدعاء بالجملة الاسمية المؤكدة بـ (أن) حيث قال: (إني وهن العظم مني ..) وهذه حقيقة ثابتة لا تنازع فيها، فشيخوخته ظاهرة غير مستترة، ولا يستطيع أن يعود بعمره إلى الوراء ولو على سبيل المجاز، والدليل (وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً)، وكان في المقدور قول (رب لقد وهن العظم مني...) ولكن استعمال التركيب الاسمي يفيد دلالة المعنى المراد منه، وهو ثبوت الشيخوخة لا محالة ودلالة العجز الحتمي.

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٣/٤٣-٧، وتفسير البحر المحيط ٦/١٦٣-١٦٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/٥٥

الجملة الفعلية:

وجاء تركيب الخبر في هذه الجملة الاسمية، جملة فعلية (وهن العظم مني) ولكنه أراد تجـدد هذا الوهن وهذا الضعف، فاستعمل التركيب الفعلي (وهن العظم مني) ليدل على تجدد هذا الوهن وعدم توقع القوة والصحة بعد هذا العمر وهذا الوهن.

التقديم والتأخير:

وجاء تقديم الفاعل (العظم) على شبه الجملة (مني) ليعطي دلالة مهمة، وهي أن دليل الضعف والشيخوخة هو العظم الواهن، بحيث لا يمكن للعظم أن يعود قويا وفق طبيعة البشر إلا بإرادته عز وجل الذي يحيي العظام وهي رميم، وأسند الوهن إلى عظمه لا إلى نفسه، وفي هذا دلالة على نفسه من خلال جزء منه لا ينفك عنه.

أمـــا مجيء شبه الجملة (مني) متأخرة على الفاعل (العظم)، ليبين أن أشياء كثيرة قد وهنـــت في زكريا، إلا أن أشدها دلالة على الضعف والشيخوخة هو العظم، ولو تقدمت شبه الجملة (مني) على الفاعل (العظم) لتساوى في ذلك العظم وغيره من أجزاء الجسم، ولما كانت الدلالة مؤثرة كما هي في تقديم (العظم) على شبه الجملة (مني).

الوصل:

وجاء الوصل في قوله (واشتعل الرأس شيبا) يحمل دلالات عظيمة في هذا الموقف ، فقد أظهر وقوع الكبر ، وهذا الكبر يزداد يوماً بعد يوم؛ لذلك جاء التركيب فعليا ليدل على هذا التجدد والازدياد في العمر، وإنه لم يتوقف ولن يتوقف، فهو يسير إلى نهايته دون شك، وجاء هـــذا التركيـــب الإسنادي (واشتعل الرأس شيبا) موضحا بالتمييز (شيبا) ليوضح مدى سرعة العمر من ناحية، والرغبة في تلبية الدعاء نتيجة لهذه السرعة من ناحية أخرى.

ومـــن مجال دلالات هذا التركيب كله (إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا) أننا نلحظ أمرين:

أولهمـــا: الاستغناء عن تركيب الإضافة (شيب الرأس) على نحو: واشتعل شيب الرأس؛ لأن الإضـــافة تـــدل علـــى أن الاشتعال قد تم في مواضع محددة في الرأس وهي مواضع الشيب الموجـــود؛ أما الاستغناء عن تركيب الإضافة إلى التمييز (واشتعل الرأس شيبا) فدل على أن الاشـــتعال عـــام وشامل للرأس، دون استثناء أي مواقع فيه، وهذا أبلغ دلالة للتعبير عن حالة زكريا عليه السلام.

وثانـــيهما: أن استعمال هذا التركيب (أني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا) جاء للدلالة علـــى حالة زكريا من جانبين: الداخلي والخارجي، فالجانب الداخلي يتمثل في العظم الواهن

الضعيف، وهذا وحده لا يكفي للدلالة على حالة زكريا؛ لأن العظم جزء داخلي في الجسم، لا تُرى حقيقة ضعفه أو قوته، ومن طبيعة البشر أنه كلما تقدم الإنسان في العمر صار عظمة أقوى وأقسى، فكيف يكون القوي واهناً في الوقت نفسه ؟! كذلك جاء الوصل في قوله (واشتعل الرأس شيبا)، ليدل على الجانب الأخر وهو الجانب الخارجي المهم، ليظهر دلالة خارجية على ضعف الجانب الداخلي فكان اشتعال الرأس بالشيب دليلاً على ضعف زكريا وشيخوخته، ومن ثم دليلا على عظمه الواهن دون شك[1].

النفي:

وجاء التركيب (ولم أكن بدعائك ربي شقيا) منفيا، حيث إن النفي يعطي دلالة الصدق والإيمان، ومن ثم وسيلة لإجابة الدعاء من الله تعالى، خاصة أن النفي جاء بالجزم، وهذا فيه دلالة كمال الشيء دون نقص فيه، ووجود الحدث المتحقق الذي لا شك فيه.

التكرار:

وجاء التكرار للفظ (رب)، حيث إنه قد جاء في وسط التركيب (ولم أكن بدعائك رب شقيا) وهذا التكرار جاء انتباها من زكريا إلى أنه لا يوجد هناك من يُتوجه إليه بالدعاء غير الله تعالى، وجاء هذا التكرار ليلفت الانتباه أيضا إلى ما بعده وهو قوله (شقيا) فقال (رب شقيا)، لينفي هذه الصفة عنه بالذات، فكان التركيب لا يمكن أن يطلب ما يطلبه؛ لأن ذلك من باب المُحال في طبيعة البشر، وأن من يطلب مثل ذلك بمثل ظروف زكريا لا بد أن يكون شقيا غير مؤمن، إلا أن إيمان زكريا بربه وثقته بقدرته – وهو قد رآها رأي العين في إطعام مريم – جعله يتقدم بهذا الدعاء إلى ربه وهو مؤمن بقدرة الله تعالى على إجابته؛ لأنه خرج من نطاق البشرية إلى باب الرحمن.

الجملة الاسمية:

وجاء التركيب الاسمي (وإني خفت الموالي من ورائي) مؤكداً بـ (إن) ليظهر حالة اليأس التي يعيشها زكريا، وهذا الخوف مستقر في نفسه، ملازم له ثابت فيه[2].

---

(١) للمزيد عن الوصل والفصل: الكشاف ٤٦٥/٣ طبعة الحلبي، ودلائل الإعجاز ٢٢٢، ٢٤٣، والفصل والوصل في القرآن الكريم – منير سلطان ١٧.

(٢) دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥.

الجملة الفعلية:

ثـــم جاء التركيب (وكانت امرأتي عاقراً)، ليبين أن العاقر لن تكون ولوداً مع الأيام، فمع استمرار الزمن تستمر الزوجة العاقر، زيادة على أن الفعل الناقص (كانت) يناسب المقام، وهو النقص الموجود في زوج زكريا وهو عدم الإنجاب.

حروف المعاني (الفاء):

وجـــاء حـــرف الفـــاء في قوله (فهب لي من لدنك ولياً) ليفيد الترتيب لما طلب مع التعقيـــب لمـــا سبق، وهذا التعقيب السريع المباشر يقترن برغبة زكريا الأكيدة، وإلحاحه في حصول إجابة لدعائه بأن يرزقه الله تعالى ولياً، نظراً لتقدم عمره وعجز امرأته عن الولادة، لذلك أفادت (الفاء) التعقيب[1].

الظرف (لدن) :

وجـــاء استعمال الظرف (لدنك) ذا دلالة عظيمة في هذا المقام وكان يمكن استعمال (عندك) أو غير ذلك، إلا أن (لدن) تعطي قيمة أكبر من غيرها، وتتجلى هذه القيمة في أن ما يطلبه زكريا لن يكون إلا من لدن العزيز الحكيم القادر، والظرف (لدن) يفيد أن هذا الأمر هو من أخص خصوصيات الله تعالى التي يحتفظ بها لنفسه، وأنه يفيد تغلغل هذه الخصوصية في الله عز وجل، لذلك قل حصول هذا الأمر في الأديان السماوية[2].

الجملة الفعلية (بمفعولين):

وجاء التركيب (واجعله رب رضيا) بفعل متعدٍ إلى مفعولين ، وهذا الفعل جاء ليعطي دلالـــة مهمة، وهي حرص زكريا على ابنه ورغبته في إعطائه مزيداً من الصفات والاهتمام، فجـــاء المفعـــولان الأول والثاني متعلقين بالغلام الذي يريده زكريا وهو يحيى، إلا أن زكريا شعر بعظمة الله تعالى وقدرته، ولم يجعل رغبته في غلام تنسيه جلال الله تعالى، ففصل بين المفعولين بلفظ (رب) إيذاناً من زكريا بأنه لم ينس ربه وهو في أمسّ الحاجة إلى وصف ابنه بالصفات التي يريدها، فكرر لفظ (رب)، ولينبه إلى الصفة المحددة التي يريدها وهي أن يكون ابنه رضياً.

---

[1] شرح المفصل ٨/٩٤-٩٥.

[2] الكتاب ١/٢٣٣، ٢٦٥، وهمع الهوامع ٢/١٦٠-١٦٢، من أعلام النحو العربي هشام الضرير وآراؤه في النحو واللغة – حنا حداد ٤٨.

ثـــم جاءت البشرى إلى زكريا بيحيى، بهذه المعجزة الإلهية، حيث جاء يحيى من أب شـــيخ كبـــير وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا، ومن أم عاقر لا تلد، إلا أن قدرة الله تعالى فـــوق كـــل شيء، وهذه البشرى جاءت بعد دعاء زكريا عليه السلام ورغبته بغلام، ومعرفته بعجـــزه وعجز زوجه، وإيمانه بقدرة الله تعالى القادر على إعطاء الشيء في غير أوانه، كما أعطى مريم فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

المفارقة:

والمفارقة بمفهومها تقوم على التعارف المتمثل في بنائها، فالمرسل يقول " شيئا " بينما هـــو يعني " شيئا آخر "، أو يقول " شيئا " بينما " شيء آخر " يفهمه المتلقي، أو يقول " شيئا " ويقول في الوقت نفسه " شيئا آخر "[1].

وقـــد جـــاء زكريا بمفارقة عجيبة، فهو من رأى قدرة الله وآمن بها ودعاه، وجاءت البشرى بيحيى، وبعد ذلك يقول (أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا.

لقـــد جـــاءت هذه المفارقة لتنبئ عن شيئين: أولهما استحياء زكريا من ربه على ما ســـيناله من قومه الذين لن يؤمنوا بهذا الحديث، وذلك وفق طبيعتهم البشرية، وثانيهما: إيمان زكـــريا المطلـــق بـــربه وقدرته، فهو يؤكد ذلك الإيمان وتلك القدرة، من خلال تكرار إظهار عجـــزه وعجـــز زوجه مرة أخرى (أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا).

التقديم والتأخير:

تكـــرر ذكر العجز البشري بصورتين من حيث التقديم والتأخير ففي بداية الدعاء قدم زكريا عجزه على عجز زوجه فقال (إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا....) إلى قوله (وكانـــت امرأتـــي عاقرا فهب لي ...) أما بعد البشرى بيحيى فقدم عجز زوجه على عجزه، فقال (أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا).

ودلالة تقديم زكريا عجزه على عجز زوجه في بداية الدعاء تكمن في أنه يحتاج إلى غلام، وهذه الحاجة جعلته يقر بعجزه أولاً، مستعطفا ربه، ثم يُلقي بالعجز على الآخرين، وهو عجز زوجه، وهذا يظهر من خلال إطالة زكريا بالدعاء، وتفصيله مما يخصه هو لا زوجه، فقـــال (وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالـــي

---

[1] المفارقة في متشائل إميل حبيبي – بسام قطوس – مجلة مؤتة – المجلد ٧ العدد ١، تموز ١٩٩٢، ٨١.

من ورائي ...) كل هذا الدعاء يتعلق بزكريا وظروفه، ثم انتقل إلى وصف موجز عن زوجه (وكانـــت امرأتي عاقرا)، ثم عاد إلى ذكر نفسه (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقـــوب واجعله رب رضيا)، ولم يذكر زوجه، ولم يقل (فهب لنا من لدنك وليا ..)، فكل ذلك جعـــل زكريا يقف موقف الداعي المحتاج. وجاءت الجملة الفعلية (وقد بلغت من الكبر عتيا) حيث اختلفت التفسيرات الدلالية لصيغة (قد فعل) في الدراسات القديمة عنها في الحديثة، وفي المصنفات التي تعتمد الفروق الزمنية فقط بين الصيغ عنها في الأخرى التي ترى فروقا أخرى تؤديها أحيانا إضافات صرفية، فالزمخشري ينسب إليها تقريب الماضي من الحال[1]، مظهرا جوانب عجزه كافة.

الاستفهام:

أمـــا بعد مجيء البشرى بيحيى فقد كان تساؤل زكريا عن كيفية مجيء الغلام، بادئا بإظهار عجز زوجه أولا، حيث قدم ذلك على عجزه الموجز، على عكس عجزه المفصل في بدايـــة الدعـــاء؛ ودلالة ذلك أن زكريا وغيره قد يسلّمون بمجيء مولود لابن شيخ كبير، فمن طبيعة البشر أن يولد من يكون أبوه شيخا كبيرا، ولكن أمه تكون قادرة على الإنجاب وليست بعاقـــر، أما الشيء الذي لا يسلّم به الناس – ومنهم زكريا – فهو أن تلد العاقر، فمن هنا جاء تقديم السبب الأقوى لعدم الإنجاب على السبب الأقل قوة له.

ورغـــم كـــل هذا التساؤل من زكريا فقد جاء الجواب من رب العزة، بأنه عليه هيّن، والدلـــيل علـــى أن الله تعالى قد خلق زكريا من قبل ولم يكن شيئا، فمن هنا حكمنا على قوله (فهب) بأنه فعل الإيجاد من العدم.

الجملة الفعلية:

أما قول زكريا (رب اجعل لي آية) فقد جاء ليكون ردا على ما فُطر عليه الناس من التساؤل والاستفهام وما دأبوا عليه من شك في أمر المعجزات، وجاء هذا التركيب (اجعل لي آية) ليدل على حاجة زكريا نفسه للدليل والمعجزة؛ لذلك تقدمت شبه الجملة (لي) على المفعول به (آية)، لأنه هو النبي المخصوص بالتصديق من غيره، والدفاع عن نفسه، فقال رب العزة:" آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويا". كما أن هذه الجملة الفعلية (اجعل لي آية) أفادت تجدد

---

(١) نظام الصيغة في اللغة العربية – فالح العجمي ٩٨.

الدفاع عن قدرته عز وجل على مر الأيام[1].

الجملة الحوارية:

ودلالـــتها أن زكريا يتكلم بلسان الإنسان العادي وليس بلسان النبي، فهو يجادل، لأن الآخرين سيجادلونه في ذلك ، وإن قصته ستكون باب جدال إلى يوم الدين، لذلك كان الحوار لإفادة تمتع زكريا بهذه المعجزة على مر الأيام.

---

[1] دلائل الإعجاز ١٧٥.

دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث :

" وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (الأنبياء:٨٩) ."

جـــاء هـــذا الدعاء على لسان سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام في الآية (٨٩) من سورة الأنبياء (*).

جـــاء هـــذا الدعـــاء مختصراً موجزاً، ولكنه معبرٌ أجمل تعبير عن مراد زكريا عليه السلام ورغبته.

النداء والحذف:

جـــاء الدعاء بلفظ (رب) وقد حذفت أداة النداء وياء الإضافة، والأصل (يا ربي)، ودلالة هذا الحذف تكمن في رغبة زكريا عليه السلام بأن يُرزق بوريث له، حيث صار شيخاً كبـــيراً، وكانـــت امرأته عاقراً لا تُنجب، فلجأ إلى الله تعالى ليهب له ذرية، فجاء دعاؤه على اســـتعجال ليـــتوافق مع شيخوخته وعقر امرأته، وهما المانعان لحصول الإنجاب، فكان هذا الحذف مناسباً لمضمون الدعاء الذي من دواعيه سرعة الإجابة وسرعة الإنجاب.

الجملة الفعلية المنفية:

وجـــاء التركيب (لا تذرني فردا) جملة فعلية منفية، فإن كانت الجملة الفعلية دليل التجدد، فإن النفي قد ألصق بها ثبات الجملة الاسمية من حيث شدة الرغبة في مجيء الوريث لزكريا، فالحرف (لا) الناهية الجازمة قد جزمت بوجود الخلف، وقطعت صفة الفردية، ونأت بها عن زكريا، فكانت دلالة الجملة الفعلية ثبوت الفردية، ودلالة النفي زوالها.

الجملة الاسمية المؤكدة:

ثم جاء التركيب (وأنت خير الوارثين) جملة اسمية لتأكيد صفة ثابتة من صفاته عز وجـــل وهـــو (الوارث)، بمعنى خير من يورّث على غير ما أورده الزمخشري بأن الله خير وارث إن لم يرزقه بمن يرثه[1]، لأن وارث اسم فاعل أي من يعطي العقبى والخلف، كما يقال مُورِّث غير الثلاثي.

(*) للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ١٢٩/٣، وتفسير البحر المحيط ٣١١/٦-٣١٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١١-٢٢٣.

(١) الكشاف ١٢٩/٣.

دعاء سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ "(١٧٢)

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا لوط عليه السلام في الآية (١٦٩) من سورة الشعراء*.

النداء و الحذف :

جاء هذا الدعاء بلفظ (ربِّ) ، بحذف أداة النداء وضمير الإضافة ، والأصل (يا ربِّي) ، وهذا الحذف جاء بعد تهديد قوم سيدنا لوط إياه بإخراجه و طرده إن لم ينته عن دعوته ، فأبى وأنكر عليهم عملهم المشين ، فلجأ إلى الله تعالى لتخليصه من قومه ، وتهديدهم إياه ، لأنهم كانوا عازمين على ذلك.

لقد جاء الدعاء بلفظ (ربِّ) ليكون قريباً من الله في دعائه، لينجو من كيد قومه ،فلم يكن هناك مسوّغ لذكر أداة النداء و ضمير الإضافة، فالأمر يتطلب السرعة في الدعاء للنجاة ، ومن يطلب النجاة فإنه يكون في أقصى درجات الضيق و الخوف، وكان لا بدَّ من وجود الحذف ليناسب المقام الذي جاء فيه ، زيادة على أنه وصل إلى درجة الوقوع في الخطأ والفتنة ، فكان طلب النجاة .

الجملة الفعلية المثبتة :

وجاء التركيب (نجّني وأهلي مما يعملون) جملة فعلية مثبتة، وهذه الجملة تفيد التجدّد فهو يريد النجاة في كل وقت وحالة ، ثم جاء الوصل في قوله (نجّني وأهلي)، وهنا تكمن دلالة مجيء ضمير المتكلم (الياء)، ثم كلمة (أهلي)، حيث كان من صحيح القول أن يقال (ربّ نجّنا مما يعملون) فيكون شاملاً إياه وأهله جميعاً ، غير أن مجيء (يا) المتكلم في (نجّني) ثم (أهلي) له دلالته التي لا تخفى.

لقد كان سيدنا لوط على خوف شديد من الفتنة ، فدعا لنفسه أولا ، ثم عطف بقوله (وأهلي)، حين تذكر أهله المؤمنين، فخاف عليهم من الخطر نفسه؛ لذلك شمل بدعائه أهله جميعا ، إلا امرأته التي كانت على اعتقاد بفعل قوم لوط وكفرهم.

---

* للمزيد عن هذا الدعاء : الكشاف ٣/٣٢١ ، وتفسير البحر المحيط ٧/٣٥ – ٣٦

دعاء سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قال ربِّ انصرني على القوم المفسدين "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام في الآية (٣٠) من سورة العنكبوت*.

النداء والحذف:

لقد جاء الدعاء بلفظ (ربِّ) بحذف أداة النداء وضمير الإضافة المتكلم، وهذا الحذف جاء بعد مقدمة لهذا الدعاء، وهذه المقدمة هي الجملة الحوارية التي قامت بين لوط وقومه، حيث أخبرهم بفحش عملهم الذي لم يسبقهم به أحد من العالمين، وبأنهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، والمنكر في مجالسهم دون حياء أو خوف من عقاب، فكان جوابهم أنهم تحدّوه بأن يأتيهم بعذاب وعقاب، يكون دليلاً على صدقه ومن ثم دليلاً على فحش عملهم، فكان دعاؤه عليه السلام (ربِّ) بهذا الحذف لأنه تعجّل عذابهم بعدما أصابه الهمّ والضيق والكرب نتيجة خوفه على ضيفيه من قومه، وهو لا يعلم أن ضيفيه هما من رسل ربّه[1].

الجملة الفعلية:

وجاء التركيب (انصرني على القوم المفسدين)، وهذا التركيب جملة فعلية تدّل على طلب لوط النُصرة من ربّه في كل زمان ومكان، فهو بحاجة إلى هذه النُصرة، لذلك جاء الدعاء بالجملة الفعلية.

وجاء استعمال الفعل (انصرْ) ليعطي دلالتين:

الدلالة الأولى: نصر الله له على قومه بإهلاكهم والقضاء عليهم، فهم الذين جاؤوا بفاحشة لم يسبقهم أحد بها، فكان النصر بإهلاكهم، لئلا تتفشى هذه الفاحشة في العالمين.

الدلالة الثانية: نصر الله على قومه بالمحاججة والمجادلة التي تمت بين لوط وقومه، حيث طلبوا منه أن يأتيهم بعذاب الله إن كان من الصادقين، فكان عقاب الله لهم دليل صدق لوط عليه السلام، فكانت النصرة له من هذين الجانبين.

أما قوله (القوم المُفسدين)، فهو استعمال الصفة الدالة على ثبوتها وتجددها لدى هؤلاء القوم وهو الإفساد في الأرض، وإفساد الآخرين، وهذه مرحلة لاحقة لثبوت الفساد في أنفسهم أولاً، ومن ثم نشر هذا الفساد في الآخرين، فكان لا بدّ من اجتثاثه وإياهم، فالمفسد من الفعل

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٤٣٧/٣، وتفسير البحر المحيط ١٤٥/٧-١٤٦

[1] قصص الأنبياء ١٠٨.

(أفســـد) الـــدالُ على تمكن فاعله منه، لذلك كان النعت دالاً على المرحلة المتقدمة من الفساد باستعمال اسم الفاعل (المفسدين).

دعاء سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في الآية (١٩) من سورة النمل*.

النداء والحذف:

جاء هذا الدعاء بلفظ (ربّ) بحذف أداة النداء وضمير الإضافة (الياء)، والأصل (يا ربّي)، وهذا الحذف للدلالة على تعلق سليمان عليه السلام بربّه وحمده إياه وثنائه عليه؛ حيث إنّ سليمان كان في حضور تام مع النملة وكلامها الذي يفهمه، فلما سمعها تحذّر النمل منه ومن جنوده، ودار بينهما الحديث تبسم ضاحكاً، ولهج لسانه بشكر الله تعالى، فجاء اللفظ (ربّ) تعبيراً عن تعلق قلبه بالله عزّ وجلّ، فجاء اللفظ على الفطرة التي استدعت شكر الله تعالى على وجه السرعة، وكأن مجيء أداة النداء وضمير الإضافة الياء سيجعل الموقفين منفصلين؛ موقف سليمان مع النملة، وموقفه مع ربّه، فكان اللفظ (ربّ) واسطة العقد بين الموقفين الذي استدعى أحدهما سليمان للتبسم والضحك والسرور، والآخر استدعى سليمان أن يشكر ربّه مباشرة دون غفلة منه أو نسيان.

الجملة الفعلية:

وجاء تركيب الدعاء جملة فعلية في قوله (أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ) وهذا التركيب يفيد معنى مواصلة الشكر على كل شيء من النعم التي أنعم الله بها على سليمان. ويظهر ذلك في تعدّد ظهور الشاكر والمشكور، فالضمير المستتر (أنت) في الفعل (أوزعني)، وضمير الإضافة (الكاف) في (نعمتك) وضمير المخاطب (التاء) في الفعل (أنعمت) كلها تعود على لفظ الجلالة الله عزّ وجلّ، وضمير المفعولية (الياء) في الفعل (أوزعني)، والضمير المستتر (أنا) في الفعل (أشكر)، والضمير (الياء) في شبه الجملة (عليّ)، وضمير الإضافة في (والديّ)، كلها يعود على سليمان عليه السلام، ومن هنا كان تكرار ضمائر من قام بالشكر والضمائر التي تعود على من يستحق الشكر إيذاناً بأدب الشاكر وإخلاصه لله، وتعبيراً عن حقّ الله تعالى في أن يُشكر. ويمكن للتركيب (أوزعني شكر نعمتك علينا) أن يعطي دلالات معينة، ولكنه لن يصل إلى دلالات تكرار هذه الضمائر في هذا التركيب المُعجز، وكأن الإطالة في الحمد والثناء، وذكر ربّ العزة جاء من منطلق رؤية

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف /٣٤٥-٣٤٦، وتفسير البحر المحيط ٦١/٧.

سـليمان للنمل في وادي النمل وكثرته، فكلما جال بنظره في هذا النمل الكثير استدعى الأمر سليمان أن يطيل الحمد وذكر الله وتكثيره كثرة النمل.

الحذف:

وجاءت الصفة (نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ) لتظهر أن سليمان عليه السلام لـم يكـن اهتمامه في النعمة أكثر من رغبته في إطالة الشكر لله ومدِّه، والدليل على ذلك أنه اكتفى بإظهار صاحب النعمة على الرغم من أن الصفة قد جاءت للموصوف وهو (النعمة) في قولـه (نعمتك التي...) فالصفة هي الاسم الموصول (التي) ويعود على النعمة، بدليل التأنيث فـي (التي)، ومن حقّ جملة الصلة أن يكون فيها ضمير عائد على الاسم الموصول، والتقدير (نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ) بإظهار الضمير العائد على الاسم الموصول[1]، غير أنه من أدب سليمان مع ربِّه، جعله يُغفل ما يؤكد النعمة، ويكتفي بإظهار صاحب النعمة وهو ضمير المخاطب (التاء) في (أنعمت) الذي يعود على لفظ الجلالة الله عزَّ وجلَّ، ويضاف إلى ذلك تكرار أثر وقوع النعمة، حيث خصَّ سليمان نفسه أولاً، ثم شمل والديه بذلك، ليظهر مدى الشكر الذي يريد إيصاله إلى ربِّ العزة.

الوصل:

ثـم جاء الوصل في قوله (وأن أعمل صالحا ترضاه)، وهذا التركيب جاء باستعمال المصـدر المـؤول اقتراناً بما سبقه من قوله (أن أشكر نعمتك)، فيكون فيه إظهار أكثر لمن يستحق الشكر وهو الله عزَّ وجلَّ، حيث جاء الفعل (أعمل) ليدلّ على سليمان الذي يتقرّب إلى الله تعالى ويظهر نفسه بصورة الشاكر الذي يواظب على الشكر من خلال العمل الصالح الذي يدعـو لنفسه به، ليكون مقبولاً من الله ومرضياً عنه، حيث خصّ سليمان نفسه بالذكر إظهارا لأدبه مع ربِّه، ولو جاء بالمصدر الصريح عوضاً عن المصدر المؤول لما جاء بهذه الدلالات، ولكانت العمومية وإخفاء صاحب الشأن، نحو: (أوزعني شكر النعمة...والعمل الصالح).

الحذف:

وجـاءت جملـة الصفة (ترضاه) للموصوف (العمل) على تقدير: (وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه) غاية في الإعجاز والجمال؛ حيث إن الأفعال (ترضى) و(رضي) يغلب عليها اللزوم، وتتعدى بحرف الجرّ (أرضى عنه) و (أرضى به)، وجاء في هذا الدعاء متعديا بنفسه (ترضـاه) والأصـل (ترضى عنه) أو (ترضى به) كما في (رضي الله عنهم ورضوا عنه)،

---

[1] الكتاب ٢/١٠٥-١٠٨، همع الهوامع ١/٢٨١، ٢٨٢-٢٨٥، وقطر الندى ١١٩.

وهـذه الـتعدية تعنـي حذف حرف الجرّ، وهذا الحذف له دلالته، وهذه الدلالة هي أن العمل الصـالح يُقرب من الله تعالى، حيث يعود الضمير (الهاء) في (ترضاه) على العمل الصالح، والضـمير المسـتتر في الفعل (ترضى) يعود على لفظ الجلالة، فكان لا بدّ من حذف حرف الجرّ لشدة قرب الصالحين من ربّهم، ولهذا كانت نهاية الدعاء تتمثل في أن يكون سليمان من عباد الله الصالحين، وخصّ العباد بهذه الصفة دون غيرها.

أما الحذف للموصوف (عملا) في قوله: (وأن أعمل صالحا) والأصل: أن أعمل عملا صـالحا ترضاه، فلأن الفعل (أعمل) دالٌ عليه من جانب، والغاية لا تكمن في العمل ذاته إنما في الصلاح من جانب آخر، فكان الحذف أبلغ من الذكر[1].

الجملة الفعلية :

وجـاء التركيب (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) جملة فعلية للدلالة على أن سليمان يكرّر طلبه في أن يكون من الصالحين.

شبه الجملة :

وهـذا التركيب احتوى شبه جملة معترض وهو (برحمتك) للدلالة على غاية الأدب مـن سـليمان إلى ربّه، حيث جاء استعمال حرف الجرّ (الباء) في (برحمتك) للدلالة على أن نـبوته وإيمانه وشكره وعمله، كل ذلك لا ينفعه إن لم تشمله رحمة ربٌ العالمين، فكان تقديم شبه الجملة (برحمتك) على قوله (في عبادك الصالحين) دلالة الأدب والخوف من الله وخشيته منه، كما أن حرف الجرّ (في) دلّ على رغبة سليمان في التغلغل بين العباد الصالحين، ليكون بينهم في هذا الثواب العظيم منه تعالى[2]، كما أنه يدلُ على المصاحبة[3].

---

[1] دلائل الإعجاز ١٤٦.

[2] شرح المفصل ٨/٢٠-٢١.

[3] الحروف العاملة في القرآن الكريم ٢٨٣-٢٩٠.

دعاء سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في الآية (٣٥) من من سورة ص*.

النداء والحذف :

جـــاء هذا الدعاء بلفظ (ربّ) بحذف أداة النداء وضمير المتكلم، والأصل (يا ربّي)، وهـــذا الحذف دلالة على رغبة الداعي في إظهار حاجته الذاتية، وهي الغاية من الدعاء، بان يكون له ملك لا يكون لسواه من بعده، والدليل على رغبة سليمان وإلحاحه أنه جاء بلفظ (ربّ) بهـــذا الحذف الذي فيه، وجاء بالدعاء الأول مختصرا موجزا (اغفر لي)، ثم توسّع في إظهار حاجـــته التي يريدها وفصّلها، فكان الحذف في (ربّ) رغبة في نفس سليمان بان يمرّ سريعا إلى غايته من الدعاء.

الجملة الفعلية :

وجاء التركيب (اغفر لي) جملة فعلية دالة على رغبة سليمان بحصول المغفرة من الله تعـــالى له، وتجـــدّد هـــذه المغفرة، فهذا الفعل يدلّ على طلب المغفرة عن شيئين: ما كان من ســـليمان ومـــا سيكون منه، فطلب المغفرة يكون لما سبق من الذنب، أي بعد وقوع الذنب أو الخطأ، أما في هذا التركيب فإن طلب المغفرة يكون أيضا لما يتبع، حيث إن سليمان استشعر فـــي نفسه أنه يطلب شيئا عظيما، فخاف أن يكون قد ارتكب ذنبا، فعجّل بطلب المغفرة، وهذا من غاية الأدب في الدعاء.

الوصل:

ثـــم جاء الوصل في قوله (وهبْ لي مُلكا)، وهذا الوصل القريب وتكرار شبه الجملة (لي) يدلّ على وصل الهبة بالمغفرة، لأن سليمان عليه السلام تامّ اليقين بأن ما يطلبه لا يمكن أن يكـــون إلا إذا كان الله تعالى راضيا عنه، وغافرا له وتائبا عليه، فأفاد الوصل دلالة الجمع بالترتيب[1].

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٤/٩١-٩٢، وتفسير البحر المحيط ٧/٣٨١.

[1] شرح المفصل ٨/٩٠-٩٣، وقطر الندى ٣٢٨.

التقديم والتأخير:

وجـــاء تقديـــم شبه الجملة (لي) على (مُلكا) ذا دلالة عظيمة، وهي أن سليمان عليه الســـلام كـــان خاصّـــاً نفسه بأمرين: أمر الآخرة وهو المغفرة، وأمر الدنيا وهو المُلك، وهذا الخصـــوص الذاتي لسليمان يظهر من تكرار شبه الجملة (لي) في قوله (اغفر لي وهب لي) إلـــى قوله (لا ينبغي لأحد من بعدي)؛ ولهذا تقدمت شبه الجملة (لي) على (مُلكا)، لأنه يعلم أن المغفـــرة من الله، وأمر الله أولى من ذاته، تأدبا وإجلالاً، وقناعة منه بأن حصول المغفرة وسيلة للحصول على المُلك، فالتقديم للتنبيه والتحقيق[1].

الجملة الفعلية المنفية :

وجـــاءت جملـــة الصفة (لا ينبغي لأحد من بعدي) جملة فعلية منفية وهذا له دلالته، فنفي الجملة الفعلية يعني أن سليمان يرغب في عدم تكرار مثل هذا المُلك أبدا، ومجيئها منفية يعنـــي أنه يرغب بإثبات مثل هذا المُلك لنفسه، ونفيه عن غيره، وهذا نوع من نفي المضمون بشكل الأمر[2].

حـــروف المعاني (من): ثم جاء حرف الجرّ (من) في قوله (لا ينبغي لأحد من بعدي) وكان يمكنه الاستغناء عنه نحو: لا ينبغي لأحد بعدي، إلا أن مجيء حرف الجرّ (من) في هذا الموضـــع للدلالـــة علـــى امتناع هذا المُلك عن الآخرين عند حصول سليمان عليه مباشرة، فالحـــرف (من) يدلّ على ابتداء الغاية الزمانية أو المكانية[3] وليس هنا موضع زيادة للتوكيد، ولو حذف هذا الحرف (من)، نحو: (لا ينبغي لأحد بعدي) لأعطى دلالة أخرى، وهي أن هذا المُلك يجوز أن يكون لغير سليمان ما دام حيا، أما بعده (بعد موته) فلا ينبغي لأحد آخر، وهذا معنى مغاير لما أراده سليمان من دعائه فهو لا يريد هذا الملك لأحد آخر غيره في حياته وبعد مماته البتّة ، فالحرف (من) أفاد امتناع أن يكون الملك لغير سليمان بعد حصوله عليه ، أو من بعد موته .

الجملة الاسمية المؤكدة :

وجاء التركيب في نهاية الدعاء (إنك أنت الوهاب)جملة اسمية مؤكدة تدل على ثبوت صفة الوهّاب لله تعالى ، حيث جاء التوكيد من بابين : إنّ و الضمير (أنت) ، وهذا إقرار من ســـليمان بـــأنّ الوهّـــاب هـــو الله، وأنّ مالك الملك هو الله تعالى ، حيث استعمل هذه الصفة

---

[1] دلائل الإعجاز ١٣١-١٣٨.

[2] لغة القرآن الكريم ٢٧٥-٢٧٧.

[3] شرح المفصل ٢٠-٢١.

(الوهّاب) لأنه بدأ دعاءه بالفعل (هَبْ) ، ولأنّ حاجته كانت ماديَّة محسوسة في الدنيا ، فالجملة الاسمية دلّت على التسليم بصفة الله الثابتة وعلى أنه صاحب الهبات الغني الحميد[1].

[1] دلائل الإعجاز ١٧٤

دعاء سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام

" قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ "

جاء هذا الدعاء على لسان سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في الآية (١١٤) من سورة المائدة.*

النداء والحذف والتكرار :

جاء هذا الدعاء بلفظين لنداء المدعوّ وهو الله تعالى، وهذان اللفظان هما: (اللهم) و(ربّنا)، ويعد هذا تكراراً في لفظ النداء، ودلالة هذا التكرار التأكيد على طلب المعجزة وحصولها، لأهميتها في حوار عيسى مع الحواريين الذين سألوه أن ينزل الله تعالى مائدة من السماء برهاناً على استطاعته وقدرته، لقوله " إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ "(١١٣)[1] فمن هنا لجأ عيسى إلى ربّه راجياً ومتوسلاً بإصرار على إجابة الدعاء لإظهار قدرة الله أولاً، ثم لإظهار صدقه في نبوّته ومعجزاته التي أعطاها إياه ربّ العزّة. واستعمال ضمير الجمع (نا) في (ربّنا) يعود إلى أن العرب كانت توقع على الجزء اسم الكل، ولكن الغرض الأساسي منه هو التعظيم والإجلال[2].

الجملة الفعلية :

وجاء التركيب (أنزلْ علينا مائدة من السماء) جملة فعلية لتناسب التجدد في النزول وتتابعه[3] زيادة على التغير والتجدد في محتوى هذه المائدة، فهي ليست بمائدة ثابتة على أشياء محددة.

وجاء هذا التركيب بلفظ الجمع (ربّنا)، لأن عيسى كان مُسلمًا بقدرته عز وجل، فأراد إظهار عظمة الله وقدرته بأن خاطبه بصيغة الجمع (ربّنا).

---

* للمزيد عن هذا الدعاء: الكشاف ٦٧٨/١-٦٧٩ وتفسير البحر المحيط ٦٠/٤-٦١ والجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/٦-٢٣٧

(١) المائدة / ١١٢- ١١٣

(٢) ظاهرة التبادل بين المفرد والمثنى والجمع- دفع الله سليمان ١١٣

(٣) دلائل الاعجاز ١٧٥

التقديم والتأخير:

وجـــاء تقديـــم شبه الجملة (علينا) على المفعول به (مائدة)، دلالة على تخصيص من ســـتكون لهم المائدة، لأن الحواريين قد طلبوا المائدة لأنفسهم دون غيرهم، ليكونوا عليها من الشاهدين.

وجـــاء التركيب (تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا) جملة صفة للموصوف (مائدة)، وهي جملة فعلية تدل على التجدد في أن تفيد التتابع للأولين والأخرين،

الوصل:

وجـــاء الوصل في (وآية) بالعطف على (عيداً) ليدل على ارتباط الأحداث بقدرة الله تعـــالى وحـــده، لإظهـــار قدرة عيسى أمام الحواريين وإظهار قدرة الله، فيكون (العيد) نتيجة لصدق (الآية).

الفصل :

أما الفصل فقد وقع في قوله (تكون لنا عيداً...)، حيث كان دعاؤه (أنزل علينا...) ثم فصـــل بقوـــله(تكون لنا عيداً...) فوصل (آية) لما قد فصل (تكون لنا عيداً... وآية)، ثم عاد ووصل (وارزقنا) لأول الدعاء (أنزل علينا...)، وهذا التنوع في الوصل والفصل كان لحاجة عيسى القوية إلى برهان على قدرة ربه، فهم الذين تحدّوه، فهو بين دلائل قدرة الله تعالى وبين تفصيل أثرها فيهم.

الجملة الفعلية :

وجاء التركيب (وارزقنا) جملة فعلية رغبة في دوام الرزق والدليل قوله (وأنت خير الرازقين) فرزقه لا ينقطع ولا ينفذ ثابت فيه، لا رازق قبله ولا بعده.

الفصل الثالث

دلالات الصيغ الصرفية

في

أدعية الأنبياء

في القرآن الكريم

الصيغة الصرفية

" ذكرنا أن ما يرجع من هذه المباني إلى أصول اشتقاقية فانه يتفرع إلى مـــبانٍ فرعية يضمها المبنى الأكبر، وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هـــو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية .... أما ما لا يـــرجع إلـــى أصـــول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الضمير وأكثر الخوالف والظرف والأداة فمبانيها هي صورها المجردة إذ لا صيغ لها "

تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها

دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم – الدعاء الأول :

" وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا "(الفرقان:٣٠)

اسم الجمع (قومي) :

تعدّ صيغة (قوم) اسم جمع جنس، وقد نص على ذلك سيبويه بقوله: "هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر واحده، ولكنّه بمنزلة قوم ونفر وذوْد، إلاّ أنّ لفظه من لفظ واحده "[١].

وتُظهر المعاجم اللغوية أنّ صيغة(قوم) تدل في الغالب على الرجال دون النساء[٢]، ومما يدل على ذلك قوله عزّ وجلّ: " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهن "[٣]، وقول الشاعر: أقومٌ آلَ حِصْنٍ أمْ نساءٌ[٤].

وقد جاء استعمال هذه الصيغة في دعائه عليه الصلاة والسلام للدلالة على الشمولية و الكثرة، حيث إنّ قومه قد صدّوا أنفسهم عن دعوته، وعمّا جاء به من معجزة القرآن الكريم، وهذه الصيغة جاءت لتعبر عن أنّ جميع من هجروا القرآن يُعدّ كالفرد الواحد، في إشارة إلى أنهم في كفرهم وعنادهم قد سلكوا السبيل نفسه، وجاء رأيهم على الرغم من تشتتهم في حياتهم، وما كان بينهم من عادات الثأر والنزاع والقتال والسيادة و التفاخر.

الاشتقاق (اتخذوا):

جاءت صيغة هذا الفعل على (افتعل)، وقد جاء في شرح شافية ابن الحاجب أنّ (افتعل) يكون للمطاوعة والاتخاذ وللتفاعل وللتصرف[٥].

---

[١] الكتاب ٣٥/٢ ، ٤٩٤/٣ ، ٤٤/٤

[٢] الكشاف ٣٥٧/٤ – ٣٥٨

[٣] الحجرات / ١١

[٤] شرح المفصل ٣٥٧/٤

[٥] شرح شافية ابن الحاجب– الرضي الإستراباذي ١٠٨/١-١١٠

وقــد جــاءت هذه الصيغة في دعائه عليه الصلاة والسلام للدلالة على أن الجزم والتحدي والإمعان في هجر القرآن، وعدم قبول المشركين لدعوته عليه السلام، حيث إن (اتخــذوا – افتعلوا) تدلّ على الاجتهاد في ردّ الدعوة من جهة، والاتخاذ لهذا الردّ بما فيه من تعنت وقوة وصدود، ونرى هذا في قول عنترة:

وخضْتُ بمهجتي بحر المنايا ونار الحرب تتَّقد اتّقادا

حيث أفادت (افتعل) الزيادة في الاتقاد كما هو التمادي في اتّخاذ الهجر للقرآن[1].

اسم المفعول (مهجوراً):

اسم المفعول هذا من الفعل الثلاثي المتعدّي (هَجَرَ)، وقد جاء استعمال هذه الصيغة فــي دعائــه عليه السلام للدّلالة على إظهار تحدّي المشركين لصدّ الدعوة، والرغبة في استجابة الدعاء، والكشف عن أنّ هناك فاعلاً قد قام بهذا الهجر، وهذه الأمور مجتمعة تدلّ على أن النبي عليه الصلاة والسلام قد ترك المشركين في مواجهة ربّه، حيث أظهر عدم قدرته، بسبب حتمية الهجر التي اتخذها قومه، طالبا من ربّه تولي أمرهم، وهذا يدلّ عليه قولــه (اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً) والقرآن هو كتاب ربّ العالمين، وتتّضح الحتمية في (مهجوراً) كتلك التي في قول امرئ القيس:

ينضحْن نضح المزاد الوفر أتاتها شدّ الرواة بماءٍ غير مشروب[2].

---

[1] شرح ديوان عنترة ٥٧

[2] ديوان امرئ القيس ٥٠

دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – الدعاء الثاني :

" وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُون " (الزخرف:٨٨)

الفعل المضارع (لا يؤمنون) :

فعل مضارع منفي، وصيغة المضارع تفيد حدوث عدم الإيمان من قومه عليه السلام، وتجدّد هذا الحدوث[١]، ودلالة ذلك أن الكافرين مضوا في سبيل الكفر، وزادوا في عنادهم على الرغم من أن أفرادا منهم قد دخلوا في هذه الدعوة، إلا أنّ كفرهم ظلّ يتجدّد مع إصرارهم عليه، وسبب ذلك هو تعنّتهم وتكبّرهم، زيادة على أنّ خروج الإنسان من حال إلى حال يتطلب وقتا طويلا للقبول بالحال الجديد. ويفيد النفي للمضارع في الدعاء الرغبة الخاصّة في الكف عن الفعل وإظهار كمال الضراعة[٢].

---

[١] دلائل الإعجاز ١٧٥.

[٢] السياق اللغوي وأثره في الدلالة على المعنى- مصطفى حطل وعلي جانسيز ٢٣

دعاء سيدنا آدم عليه السلام

" قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لمْ تغفرْ لنا وترْحمْنا لنكُونَنَّ منَ الخاسرينَ " (لأعراف:٢٣)

الفعل الماضي وترك التأكيد (ظلمْنا):

جاءت هذه الصيغة على بناء الفعل الماضي، إذ تدلّ على حتمية حدوث الشيء وهو الظلم، وقد جاءت هذه الصيغة دالة على الثبوت والحقيقة، دون الحاجة إلى أدوات التأكيد نحو: قد، إنّنا، بسبب استشعار آدم وحوّاء بذنبهما، وتوجههما إلى الله عزّ وجلّ، فجاء الفعل (ظلمْنا) مؤكّداً بمعناه ومضمونه، تاركاً التأكيد بالأدوات، فالظلم المتحصّل منهما لا يحتاج إلى ما يؤكده، لأنهما يقرّان به ، ويدعوان ربّهما طلباً للمغفرة بسبب هذا الظلم.

جمع القلّة (أنفسنا):

جمع قلّة على وزن (أفعُل) ومفرده (فعْل)، نحو: أسيُف، سيف، أكلب، كلب[1]، المفرد (نفس)، وجاءت هذه الصيغة بصورة الجمع على الرغم من أن الدعاء كان من اثنين هما: آدم وحوّاء، لقوله (قالا ربّنا)، والأصل هو المطابقة بين الفعل (قالا) والاسم (نفسينا)، إلاّ أنه تم العدول من المثنى إلى الجمع (أنفسنا)، ودلالة هذا العدول أن آدم وحوّاء قد استشعرا بذنبهما مخالفة ربّهما، فاستقبحا عملهما ونفسيهما، فجاء الجمع جمع قلّة، دلالة على تقليل شأنهما وصَغارهما أمام الله عزّ وجلّ[2].

وإن قيل لِمَ لم يكن مجيء الصيغة على التثنية وهو أقل من الجمع وأدلّ على تقليل الشأن، فإن عدم مجيء (أنفسنا) على التثنية يدلّ على علم آدم بانه ستكون له ذرّيّة، وهذه الذرّيّة لا بد أن تقع في الظلم كما وقع فيه، ومن ثمّ فإن الله تعالى قد حرّم الظلم على نفسه، وجعله محرّماً بين عباده، لعلمه عزّ وجلّ بأن هناك من ذرّيّة آدم لا بدّ أن تقع في

---

[1] الكتاب ٣/٤٨٠-٤٩٠، ٥٦٩، ٥٧٠، ٦٠١، ٦٢٤، وشرح المفصل ٣/٩-١٠.

[2] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ١٥٣، حيث جاءت كلمة (أعينها) الدالة على القلّة، لتدلّ على ضعفها وقلّتها وصغار شأنها أمام العقبان والرخم، في قوله :

تنبذ أفلاءها في كل منزلة تنقر أعينها العقبانُ والرخمُ.

الظلـــم وتحمله، لذلك جعله محرّما، وقد يكون هذا الجمع للدّلالة على تكثير الظلم، باعتبار إحساسهما بذلك.

التأكيد (لنكوننّ):

جاءت هذه الصيغة دالة على التأكيد، باستعمال السابقة اللام واللاحقة نون التوكيد الثقيلة، وقد التصقت السابقة واللاحقة بالفعل الناقص (نكون)، وهذا التأكيد ينسجم مع سياق الدعـــاء، حيث إن آدم وحوّاء قد أقرّا بذنبهما واعترفا بظلمهما نفسيهما، فعرفا نهايتهما إن لم يغفر الله لهما ويرحمهما، وهذا التأكيد جاء للدّلالة على معرفتهما باستحقاقهما للخسران المبين والعقاب من ربّ العالمين، وإبعاد أدنى شكٍّ في حصول هذا الشيء، لأن التأكيد هو تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الغلط في التأويل[1].

الجمع في اسم الفاعل (الخاسرين):

اسم فاعل من الفعل الثلاثي، جاء على صورة جمع المذكر السالم[2].

إن الأصـــل في هذا الدعاء أن لا يأتي لفظ (الخاسرين) على صورة الجمع، وإنما يأتي على صورة المثنى النكرة (لنكوننّ خاسرَيْن)، لأنه لم يكن هناك سوى آدم وحوّاء.

أمـــا دلالـــة مجيء (الخاسرين) جمعا، فهي على اعتبار ما سيكون؛ لأن آدم عليه السلام يعلم بما علّمه الله الأسماء كلها أنه ستكون له ذرّيّة، وسيكون منهم خاسرون وغير خاسرين، لذلك جاء هذا الجمع ولم يقتصر على التثنية، فجاء على اسم الفاعل الذي يصفه الـــنحاة العرب بمصطلح (الثبات)، إذ إنه مع الثبات لا يمكن أن تكون هناك حركة وتجدد في المحور الزمني[3].

---

[1] شرح المفصل ٣/٤٠.

[2] للمزيد عن اسم الفاعل بناء ودلالة: الكتاب ١/٢١، ١٧٥، ١٧٦، ١٣٠، ١٧١-١٨٢، وشرح المفصل ٦/ ٦٨-٧٩، ونظام الصيغة في اللّغة العربية ١٠٠-١٠١.

[3] نظام الصيغة في اللغة العربية ١٠٠-١٠١.

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ(٤٥) .....(٤٦))قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (٤٧) سورة هود(٤٥-٤٧)

الإفراد (ترحمني):

جاء هذا الفعل مسنداً إلى ضمير المتكلم المفرد (الياء)، ومجيء المفعول على الإفراد دون الجمع، على الرغم من أن بداية الدعاء كانت حول ابن نوح بأنه من أهله عليه السلام، بيد أن الحوار بين الله تعالى ونوح كان يختص بنوح نفسه، لأنه استعاذ بالله أن يسأل ربَّه ما ليس له به علم، فتدارك ذلك بطلب المغفرة والرحمة لنفسه، تاركاً السبب الرئيس لدعائه وهو ابنه، للنجاة بنفسه من غضب الله، فكان إسناد الفعل (ترحمني) و من قبله (تغفرْ لي) إلى نوح نفسه، و لم يكن للجمع أو للتثنية، فعدل من الجمع إلى الإفراد للتخصيص و الذاتية[1] .

اسم الفاعل (الخاسِرين):

اسم فاعل من الفعل الثلاثي (خسر)، جاء بصورة الجمع المذكر السالم، و يأتي اسم الفاعل للدلالة على من قام بالحدث، و هذه الصيغة جاءت بدلالة مهمة هي أنَّ (الخاسرين) تؤكد أنهم هم الذين قاموا بهذا العمل ليصلوا إلى هذه النتيجة، وهي الخسارة الكبيرة، و أنَّ نوحاً عليه السلام قام بعمله من تلقاء نفسه وإرادته، ولم يكن ذلك من الله تعالى، لأنَّ اسم الفاعل يدل على من قام بالفعل وأحدثه بإرادة منه و قوَّة، فجاءت استعاذة نوح بالله عزَّ و جلَّ من الوقوع بالخطأ؛ لأنه سيكون من أوقع نفسه بنفسه في الخسارة والعذاب، حتى أصبحت من صفاته الحتمية الثابتة فيه[2] .

---

[1] لغة القرآن الكريم ٣٤٦ ، و للمزيد : ٣٤٦- ٣٥٣

[2] نظام الصيغة في اللغة العربية ١٠٠- ١٠١

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ " (المؤمنون:٢٦)

فعل الأمر (انصُرْني):

فعل أمر من الفعل الثلاثي(نَصَرَ).

وجاء هذا الفعل مُسنداً إلى الضمير المتكلم المفرد ليدلّ على تفرّد نوح عليه السلام بهذا الدعاء، بسبب تكذيب قومه إياه (بما كذّبون)، والفعل (أنصُرْني) يحتمل أحد معنيين:

أولهما، النصر على قومه بعقابهم وتدميرهم.

وثانيهما، النصر على قومه بهدايتهم وجعلهم مسلمين بدعوته عليه السلام.

وعلى الرغم من أن هذا الفعل يحتمل هذين المعنيين فإن المعنى الأول هو الأولى والأنسب لما جاء في الدعاء، وسبب ذلك أن أدعية نوح عليه السلام جميعها كانت لإلحاق العقاب بقومه، نتيجة عنادهم وكفرهم وصدودهم.

الفعل المضعف (كذّبون):

فعل ماض مزيد بالتضعيف، وأصله الثلاثي (كذب).

وقد جاء هذا الفعل مضّعف العين، ومصدره (التكذيب). وهذا يحمل دلالة الإصرار على الكفر، والبقاء عليه والمبالغة في ذلك؛ حيث إن قوم نوح قد أصرّوا واستكبروا ومكروا، وهذه كلها تدلّ على تعنّتهم وتشدّدهم في كفرهم، وصدّهم دعوة نوح عليه السلام[1].

---

[1] شرح شافية ابن الحاجب ٩٢/١، شذا العرف ٤١-٤٢، وانظر دلالة الفعل: قراءة عبد الله بن إسحاق في الميزان ٣٢.

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث :

" قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (الشعراء:١١٨)

فعل الأمر (افتح):

(الفتح) هو الهبة والعطاء والنصرة، وهذا يوافق ما جاء في دعائه عليه السلام (انصُرني بما كذّبون)، كما أن النصر يكون بمعنى الفتح (فتح مبين).

والفتح ضدّ الإغلاق، حيث تأتي دلالة (الفتح) بأنه سيكون هناك حاجزٌ أو فيصل أو فجوة بين نوح وقومه بحيث لا يستطيعون الوصول إليه أو القضاء عليه، فيكون الفتح في هذا المقام مماثلاً للإغلاق بين الطرفين، مانعاً وصول أحدهما إلى الآخر.

المصدر الصريح (فتحا):

مصدر صريح للفعل (فتح)، وهذا المصدر يدلّ على إصرار نوح عليه السلام على أن يهزم ربُّه المكذّبين، فجاء هذا التأكيد على النصر والفتح من قبل نوح عليه السلام، مقابل الإصرار على التكذيب والصدود من قبل قومه.

فعل الأمر الناقص المضعف (ونجّني):

فعل أمر مضعّف، وهو فعل ناقص ومن معانيه التكثير والتعدية والسلب[1]، وقد جاء هذا الفعل مضعّف العين لتأكيد إصرار نوح على الخلاص من قومه الذين كذّبوه، وعلى الرغم من أن نصر الله سيكون منجاة له، إلا أنه أكدّ مراده في أن ينجيه الله تعالى من قومه، لأنه يئس من هدايتهم، ويدلّ على ذلك ما جاء في أدعيته الأخرى من أنهم يضلّون العباد ولا يلدون إلا الفجرة الكافرين، ومكروا وعصوا، واتبعوا الشيطان، وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم.

كما جاء الفعل (نجّني) محذوف اللام، ودلالة ذلك أن نوحاً يريد إلصاق نفسه بالنجاة، كما التصق ضمير المتكلم (الياء) بالفعل (نجّني)، زيادة على أن نوحاً كان فردياً

---

[1] شرح شافية ابن الحاجب ٩٢/١.

فـــي أدعيـــته، حيث جاءت أفعالها وأسمائها مسندة إلى ضمير المتكلم المفرد (الياء)، وإن أراد ذكر غيره جعله معطوفاً، كما في دعائه:" ونجّني ومن معي من المؤمنين"، ولم يقل: ونجّنا، بصيغة الجمع.

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الرابع :

" فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ " (القمر: ١٠)

اسم المفعول (مغلوب): اسم مفعول من الفعل الثلاثي (غَلَبَ)[١].

جاءت هذه الصيغة على وزن اسم المفعول للدّلالة على يأس نوح عليه السلام من قومه، من حيث قبولهم دعوته وهدايتهم، وهذه الصيغة تشير إلى معنيين: أولهما، أن نوحاً قد شعر بالخوف من قومه وكيدهم له، وثانيهما، أنه إحساس داخلي، شعر به نوح في عدم قدرتـــه علـــى هداية قومه، فكان الإحساس باليأس التام، لذلك طلب النصرة من الله تعالى (فانتصر).

وصيغة اسم المفعول بذاتها تدلّ على أن هناك فاعلاً ما، هو من أوقع الغلب على نـــوح عليه السلام، فاسم الفاعل هو (غالب) (والله غالبٌ على أمره)، وهذا يعني أن قوم نـــوح هم الفاعلون الذين قاموا بغلب نوح، و من ثمَّ فإنَّ نوحاً مغلوب قد غُلب، و تأكدت حتمية الغلب، فكان دعاؤه لربّه (فانتصرْ).

فعل الأمر من(افتعل) : (فانتصر)

فعـــل أمر من الفعل (نصر)، على وزن (افتعل)، ودلالة هذا الوزن هي الاجتهاد والمبالغة في معنى الفعل، حيث إن نوحاً يدعو ربه الاجتهاد والمبالغة في نصرته، وذلك[٢] تأكيد على يأسه من هدايتهم ودعوتهم إلى دين الله تعالى.

ودلالـــة أخرى مهمة لهذا الفعل (انتصر) هي أن نوحا يطلب من ربّه الانتقام من قومـــه، وكأنه غير معني بالدرجة الأولى بذلك، على الرغم من قوله (أني مغلوب) ودليل ذلـــك أن (انتصر) موجهة إلى رب العزة كأنه يقول له (انتصر لنفسك)، ولو كان المراد نصرة نوح، لكان دعاؤه (أني مغلوب-فانصر)، فتكون موجهة بالدرجة الأولى إلى نوح، أي كأنه يقول (فانصرني)، أما (فانتصر) فهي(فانتصر لنفسك)، ولن كانت (فانتصر لي)، لجاءت بدلالة أقل تأكيداً على رغبته في النصر لنفسه.

---

[١] للمزيد عن اسم المفعول: شرح المفصل ٦/٨٠.

[٢] شرح شافية ابن الحاجب ١/١٠٨-١١٠ وشذا العرف ٤٤

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء الخامس :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً(٦))وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (٩) "

سورة نوح /٥-٩

المصدر الصريح (فِراراً):

مصدر صريح للفعل (فرَّ) والفرار يعني الهروب بسرعة واستعجال، وجاءت دلالة هذه الصيغة في صدود قوم نوح وتعاليهم على دعوته، ورفضهم أدنى درجات الدعوة وهي الاستماع لما يقول، فالداعي يكون متمهلاً ومتأنيا، فهو بحاجة للإقناع والهدوء والسكينة، أما قوم نوح فقد كان فرارهم دلالة على رغبتهم في الابتعاد أكثر ما يمكن عن دعوة نوح؛ لذلك كان دعاؤه عليه السلام على قومه بالعقاب، ولم يكن لهدايتهم، فالفرار يحمل معنى التكرار في الجري وعدم التوقف لكثرة ما كان في نفوسهم من رغبة أكيدة بالتولي والصدود.

جمع التكسير(أصابعهم في آذانهم) :

جمع تكسير، ومفردة (إصبع)، وهو جمع كثرة[1] وقد جاء هذا الجمع للدلالة على إصرار قوم نوح على الصدود، والابتعاد عن دعوة نوح عليه السلام، فالأصابع لا تُجعل في الأذان دفعة واحدة، وانما هو رأس إصبع واحد لكل أذن، ولكن هذا الجمع جاء ليدل على معنيين:

أولهما: أن جعل جميع الأصابع في الأذان دفعة واحدة دلالة على عدم إيجاد أي سبيل لسماع دعوة نوح.

وثانيهما: أن جعل الأصابع في الآذان بالتناوب دلالة على مواصلة الصدود عن دعوة نوح، بحيث يشير هذا التناوب إلى استمرارية في تجاهل ما جاء به نوح عليه السلام، وإضفاء صفة التلازم بين صدودهم وبين جعل الأصابع في آذانهم.

---

[1] للمزيد عن جموع التكسير انظر: الكتاب ٤٠٧/٣، وشرح شافية ابن الحاجب ٨٩/٢-٩٩

جمع التكسير:

وجاءت صيغة(آذانهم) جمع تكسير وهو جمع قلة، على العكس من الأصابع جمع الكثرة، وهذا إعجاز عظيم للغة القرآن التي لها دلالات عميقة رائعة، فكلمة (الأذان) جمع قلة ، لتظهر الدلالة العميقة ، وهي أن كثرة الأصابع وقلة الأذان تؤديان إلى إيجاد غطاء كامل ، بحيث لا يمكن لأصحاب هذه الأذان سماع أي شيء ، وهذا الشيء هو دعوة نوح عليه السلام ، كناية عن تماديهم وغيّهم وإصرارهم على الكفر والعناد .

الفعل المزيد على وزن (استفعل) : (واستغشوا ثيابهم)

جاء الفعل (استغشوا) فعلاً مزيداً على وزن[1] (استفعل)، وهذه الصيغة لها عدة معـــان، منها الطلب والسؤال والتحوّل والاستغشاء في اللغة هو التغطية[2] وجاءت دلالة الفعـــل (واستغشـــوا) لإظهـــار إصرار قوم نوح على الكفر، حيث إن (استفعل) تدل على الاتخـــاذ والصيرورة[3] وهذا يناسب مقام الدعاء لأن من يستغشي ثيابه، يجعل بينه وبين الأخريـــن حاجزاً، ليمنع عن قصد، وبالتالي فإن قوم نوح قد أذابوا حاستين مهمتين هما: السمع (جعلوا أصابعهم في آذانهم) والرؤية والبصر (واستغشوا ثيابهم)، وفي الجمع بينهما يكون أكبر إصرار وأشد استكبار وكفر.

الفعل المزيد على وزن (استفعل):[4]

(واستكبروا استكباراً) : فعل مزيد ذكر مصدره بعده على وزن (استفعل،استفعال) وتأتي معاني هذه الزيادة للطلب والاتخاذ.

وفـــي هذا الدعاء جاءت هذه الصيغ للدلالة على أن قوم نوح قد تعهدوا هذا الكفر رضـــاً مـــنهم وإرادة تامـــة، وفعلـــوا كـــل ذلـــك عـــن قصـــد واعتقاد تامين، كما أن المصـــدر(اســـتكباراً) يـــدل على رغبة قوم نوح في استمرارية هذا التجاهل لدعوة نوح وتماديهم في ذلك، فهو في موقع التأكيد للحدث الحاصل.

---

[1] شرح شافية ابن الحاجب ١١٠/١

[2] الكشاف ٦٠٤/٤، وتفسير البحر المحيط ٣٣٢/٨

[3] شرح شافية ابن الحاجب ١١٠/١

[4] للمزيد انظر: المنصف- ابن جني ١٠١، حيث ذكر أن من معاني (استفعل) الطلب والإصابة على هيئة ما، وبمعنى (فعلت) والتنقل من حال إلى حال.

المصدر والفعل الماضي:

(جهاراً) و (أعلنت لهم) و (أسررت لهم إسراراً) :

جـــاءت هذه الصيغ للدلالة على مراحل الدعوة التي قام بها نوح عليه السلام من جهـــة ومعاناته من جهة ثانية، ويدل على تباعد هذه المراحل وصدق دعوته فيها استعمال حرف العطف (ثم).

إن صيغة (جَهاراً)[1] تدل على المرحلة الثانية للدعوة، إذ إن كل دعوة تبدأ سرّا، ومن هنا كانت (جَهاراً) مرحلة تالية للدعوة السريّة.

ثم جاءت المرحلة المتقدمة وهي مرحلة الجمع بين السرّ والعلانية معا، وهذه تدلّ علـــى أن نوحاً قد استعمل الوسائل كافة لهداية قومه إلا أنه لم يستطع، ودليل الجمع بين السرّ والعلانية هو حرف العطف (الواو)، في حين أن هذه المرحلة قد جاءت بعد مرحلة (جَهـــاراً) بدلـــيل حرف العطف (ثمّ) في قوله: " إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم و أسررت لهم إسراراً ".

وتـــدل صـــيغة (جهاراً) على المصدرية[2] والجهر بالدعوة يكون لأحد أمرين: أولهمـــا، عدم نجاح الدعوة السرّية، وثانيهما، الشعور بالقوة وزوال الخوف من الآخرين، ويبدو أن دلالة الأمر الأول هي الأقرب، فالجهر بالشيء دلالة الانتهاء من شيء سابق.

وفي قوله (وأسررت إسراراً) جاء الفعل (أسررت) بفك إدغام الراء، ويُعزى ذلك إلى إسناده إلى ضمير المتكلم، وهذه الفك يعطي دلالة مهمة، وهي أن نوحاً قد صبر على قومه، وأعاد الدعوة وكرّرها راجياً هدايتهم، وهذا الفك لتأكيد تكرار الحدث من جهة، واستعمال الوسيلة أكثر من مرّة من جهة أخرى، ومما قد يؤكد ذلك أن الحرف الذي فكّ إدغامه وكُرِّره هو (الراء) الذي من صفاته التكرار.

---

[1] الكشاف ٤/٦٠٣.

[2] م.ن ٤/٦٠٣.

المصدر الصريح:

أمـــا المصـــدر الصريح (إسرارا) فقد جاء لتأكيد دعوة نوح لقومه، إذ إن (إفعال) صيغة تدلّ على الطلب والقوة نحو: إصلاح وإقبال وإدبار، كما في قول الشاعرة الخنساء:

ترتعْ ما رتعتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

حيث جاء المصدران (إقبال وإدبار) لكثرة ما تُقبل وتُدبر، ولغلبة ذلك عليها واتصاله منها وأنه لم يكن لها حال غيرها كأنها قد تجسّمت من الإقبال والإدبار[1].

---

[1] دلائل الإعجاز ٣٠٠، وذكر في شرح الشافية معاني (أفعل) الكثيرة التي ليس لها ضابط كضوابط معاني المباني الأخرى ١/٨٣-٩٢

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء السادس :

" قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا(٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا(٢٢) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) "

سورة نوح /٢١-٢٤

وزن (افتعل) – (واتبعوا) :

فعل ماض على وزن (افتعل)، وهذا الفعل جاء مُدغم الفاء بتاء (افتعل).

ويأتـــي وزن (افتعل) للدلالة على الاجتهاد[١]، ومن هنا فقد كان التضعيف في هذا الفعـــل (واتـــبعوا) دالاً علـــى تشدُّد قوم نوح في ألا يتبعوه، بل اتبعوا من يأخذ بهم إلى الخسارة والضلال.

الصفة المشبهة (خَسارا) :

صفة مشبهة على وزن (فعال) ومنه: حَصان، رَزان.

ودلالة الصفة المشبهة هي الثبوت في الصفة وتحكمها في صاحبها[٢] فهي الصفة الملازمة للمتّصف بها، بحيث إنها لا تنفك عنه، ومن هنا جاءت الصفة المشبهة (خَسارا) للدلالة على أن قوم نوح واقعون في الخسران المبين لا محالة، وأنهم قد تمادوا باتّباع من لـــم يزده ماله وولده إلا خَسارا، فأوغلوا فيه، فلازمهم هذا الخسران، فحقّت عليهم دعوة نبي الله نوح عليه السلام بالعقاب والضلال (ولا تزد الظالمين إلا ضَلالا).

وقـــد استغنى النص عن مفردات أخرى نحو (خُسرانا) أو (خُسْرا)، حيث إن هذه الصيغ يوجد فيها نوع من الاختلاس والقصر، فلا تصل إلى الخسارة العميقة التي يريدها السياق، فقوله تعالى: " وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) "[٣]، يلاحظ أن (خُسر) فيها من الرخاوة والليونة ما لا نجدها في (خَسارا)، فهذه أفخم صوتا، وأدلّ إيقاعا على المعنى المراد من هذا الدعاء.

التنكير :

---

[١] شرح شافية ابن الحاجب ١/١٠٨-١١٠، وشذا العرف ٤٢-٤٣.

[٢] الكتاب ١/١٩٤-٢٠٦، ٤/٢٦-٣٦، شرح المفصل ٦/٨١-٩١.

[٣] سورة العصر /١-٢.

وقد جاءت صيغة (خسارا) نكرة، بحيث تدلّ على تشتتهم وضياعهم، فلا يعرفون حدود هذه الخسارة ولا معالمها، فيكون ذلك عذاباً فوق عذاب، وخسارة فوق خسارة. في حين أن مجيء التعريف في (خسارا) سيكون شاملاً وعامّاً، بحيث تُدرك معالمه وحدوده، وكان الكافر أمام واقع معروف له، أما التنكير في هذه الصيغة فيزيد من الحيرة والضلال، لذلك جاءت (ضلالا) بالتنكير أيضا في قوله: " وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً ".

المصدر (مكراً) وصيغة المبالغة (كُبّاراً) - (وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّارا):

جاءت هذه الصيغ متتالية لتجتمع دلالاتها معاً في إظهار رفض قوم نوح لدعوته، حيث تشير هذه الصيغ إلى أن قومه لم يقفوا عند فرارهم من دعوته، وصدودهم عنها، بل إنهم صاروا مواجهين له، وهذا موقف خطير يواجه الداعي، حيث إنهم قد أتوا مكرهم بملء إرادتهم وعن رغبة أكيدة في نفوسهم وهذا من خلال استعمال الفعل الماضي (ومكروا)، حيث يدلّ على تحقيق الحدث.

وجاء المصدر (مكراً) ليدلّ على تجدّد هذا المكر منهم وقوّته، حيث إن هذا المصدر يعبّر عن إلصاق هذه الصفة بهم أشدّ الإلصاق، وتمكّنهم منها، واتقانهم لها.

صيغة المبالغة (كبّاراً):

أما صيغة المبالغة (كبّارا)، وما فيها من تضعيف للعين (فُعّالاً)، فإنها جاءت مؤكدة عظم هذا المكر ودرجة إتقانه وخطورته، فصيغة المبالغة التي على وزن (فُعّال)، تأتي بدلالة أكبر من تلك التي على وزن (فَعّال) بفتح الفاء، لأن الضم أقوى الحركات كما هي الواو أقوى الحروف[1].

ومن هنا نلاحظ أن هذا التركيب (وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّارا) بصيغة المفردة قد دلّ على دعاء نوح عليه السلام الذي يطلب فيه من ربّه القضاء على قومه بعد أن يئس من هدايتهم[2].

---

[1] الخصائص - ابن جنّي ٣/٢٠.

[2] الكشاف ٤/١٤٣، روح المعاني-الألوسي ٢٩/٧٦، والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم -هنداوي ١٠٤-١٠٥

وزن (أفعل)-(وَقَدْ أضَلُّوا):

جـــاء هذا الفعل مزيداً بالهمزة على وزن (أفعل) بإدغام العين باللام، وتفيد زيادة الفعـــل بالهمـــزة التعدية[1]، بحيث إن هذه التعدية تظهر القوة في الكافرين، وقدرتهم على محاربـــة ديـــن الله ، فهم قد أضلّوا كثيراً،وهذه الكثرة في الضلال لا تكون إلا من متمكن حـــريص ماكـــر مكراً كباراً، لتكون لديه القدرة على الإقناع والتغيير، وهذا معناه أنهم قد تحّـــدوا نوحـــاً وصاروا نداً له، وفاقوه، لأنه قد استسلم لليأسه وعدم قدرته، في حين أنهم كانوا قادرين على استمالة الناس وابعادهم عن دعوة نوح، فمن هنا لجأ نوح إلى ربّه طالباً إيقاع العذاب بهم.

المصدر الصريح - (ضلالا) :

مصـــدر صريح للفعل (ضلّ) وقد جاء هذا المصدر ليبين أن مآل قوم نوح هو الضـــلال، ونـــوح يدعو ربّه أن يزيد ضلالهم، راجياً لهم مزيداً من العذاب والعقاب، ولم تـــأت صيغة (ضلالة) على وزن مصدر المرّة، لان مجيئها على هذا النحو سيعطي دلالة أخرى وهي قلة الضلال، وهذا يعني عذاباً أقل وعقاباً أدنى، فالمصدر أفاد الإطلاق.

---

[1] شذا العرف ٣٩

دعاء سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام – الدعاء السابع :

"وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً (٢٦)إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً (٢٧)رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً) (٢٨). سورة نوح/٢٦-٢٨

الفعل المضارع المنفي – (لا تَذَرْ) :

فعل مضارع مجزوم، وماضيه(وذر) شاذ الاستعمال، ودلالة هذا الفعل هو الفناء التام لقوم نوح الذين لم يؤمنوا بالله ولم يسلّموا بدعوته، فذلك مؤداه إلى الاندثار والعدم مع مـــا كان لهم من أبناء وبنات، زيادة في عذابهم حين بروا الغرق بأعينهم، ويروا أبناءهم يغرقون أمامهم[١]، لذلك جاء الفعل المضارع دالاً على تجدد الفناء مع الطوفان حتى يأتي على كل الكافرين[٢].

صيغة المبالغة – (دَيَّاراً) :

أصل هذه الصيغة هو(ديوار) على وزن (فيعال)[٣] على نحو ما جرى في (سيِّد) و(ميِّت)، فاجتماع الواو والياء في كلمة واحدة وسكون أولهما يؤدي إلى قلب الواو ياءً ثمَّ إدغام الياء بالياء.

وهـــذه الصـــيغة دالـــة على اجتهاد الكافرين وحرصهم على الصدود، فهذه تعود بأصـــلها إلى(دَوَرَ)، وهذا يعطي دلالتين أولهما: أنَّ الكافرين استعملوا قدراتهم العقلية في إقـــناع الـــناس باتِّباعهم وترك دعوة نوح، وثانيهما: أنَّهم استعملوا قدراتهم الجسمية، من حيـــث الجدّ والاجتهاد في السير بين الناس، والالتفاف عليهم بمختلف الوسائل والأساليب تقليلاً من شأن نوح ودعوته.

أسهمت هذه القدرات في ضلال كثير من العباد، وإقناعهم بعدم جدوى نوح، ومن ثمَّ جاء هذا الدعاء على الكافرين بالفناء والهلاك، لقناعة نوح بأنَّهم ذوو مقدرة كبيرة على ذلك.

---

[١] الكشاف ١٦٦/٤ طبعة دار الفكر

[٢] السياق اللغوي وأثره في الدلالة على المعنى ٢٣

[٣] الكشاف ١٦٥/٤ طبعة دار الفكر، وشرح شافية ابن الحاجب ١٣٩/٣

الفعل المضارع – (وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) :

جـــاء الفعل (يَلِدُوا) بصيغة المضارع وهذه الصيغة تفيد التجدد والتتابع والتكاثر والتوالد.

وللـــولادة أثـــر مهـــم في زيادة أعداد الناس، فكيف إذا كان هؤلاء الناس كافرين صـــادّين عـــن ديـــن الله، فكل مولود يولد على الفطرة، ولكن قوم نوح الكافرين يورّثون فجورهـــم وكفـــرهم إلـــى أولادهـــم، وهـــذا يؤدي إلى استحالة هدايتهم كاستحالة هداية أبـــنائهم،ومـــن هنا فقد جاءت الرواية التي تقول بأنّ الله تعالى أعقم أرحام نسائهم وأيبس أصـــلاب أبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة،فلم يكن معهم صبيٌّ حين أُغرقوا[1] فتكون دعوة نوح قد أُجيبت قبل دعائه لعلمه عزّ وجلّ بمجريات الأحداث.

اسم الفاعل – (فاجِراً) :

جـــاءت صـــيغة (فاجِراً) على وزن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي (فَجَرَ)، واسم الفاعل يدلّ على تتابع الحدث وتجدّده بإرادة من اسم الفاعل نفسه،إلى أن تثبت صفته[2]

ومـــن هـــنا فإنّ دلالة (فاجِراً) بتجدّدها وبتتابعها كانت لأبنائهم في حال ولادتهم، وذلك بسبب تغلغل الفجور والكفر في نفوس آبائهم، مما يجعل ذلك في أولادهم صفة ثابتة ملازمة لهم عند كبرهم، فتنقل هذه الصفة بتجدد من جيل لآخر.

صيغة المبالغة – (كَفَّاراً) :

وجـــاءت هـــذه الصـــيغة على وزن صيغة المبالغة (فعّال)[3]، فقد عدل من اسم الفـــاعل إلى المبالغة في اسم الفاعل، وهذا أشدُّ وأقوى في الدلالة على إمعانهم في الكفر، وكـــأنّ وقوع الكفر أمر حتمي على الأبناء قبل ولادتهم، وهذا نتيجة اليأس والقنوط الذي أصاب نوحاً من غواية قومه، وضلالهم وتماديهم على الحق.

وكما يلاحظ اجتماع الصيغتين لأبنائهم دون وجود فاصل، نحو(فاجرا أو كفّارا)، واجـــتماع هاتيـــن الصيغتين يوحي بعظم درجة الكفر التي تعمقت في نفوسهم، واستحالة هدايتهم ودعوتهم.

---

[1] الكشاف ٦٠٩/٤

[2] نظام الصيغة في اللغة العربية ١٠٠– ١٠١

[3] الكتاب ١١٠/١

دعاء سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٢٥)قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٢٦)"

سورة المائدة/٢٤– ٢٦

فعل الأمر – (فافرق):

فعـــل أمر من الثلاثي(فرق)، ودلالة هذا الفعل هي الرغبة في الخلاص من القوم الفاسقين، الفرق هو جعل فريقين متباعدين مفصولين، بحيث لا يستطيع أحدهما أن يصير إلـــى الآخر[1]، كم أنه التضادّ في الصفات الخاصّة المتعلقة بالإيمان، وهذا الفعل (فافرق) جاء للتعبير عن رغبة موسى في وضع نفسه مقابل القوم الفاسقين ردّا على ما كان منهم في قولهم:" اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ " حيث إن طلبهم كان لوضع فريقين: أحدهما موسى وربّه، والآخر القوم الفاسقون، فجاء الفعل (فافرق) لإيجاد فريقين بناءً على رغبة موسى نفسه، و(الفرق) يعني التمايز بين شيئين على إطلاقه[2].

اسم الفاعل (الفاسقين):

اسم فاعل من الفعل الثلاثي (فسَقَ)، جُمع جمع مذكر سالما.

ودلالة اسم الفاعل هي استمرارية صفة الفسق للقوم تجدّدها بحيث لا يكون هناك انتفاء لهذه الصفة عنهم، مما جعل موسى يدعو إلى أن يفرق الله بينه وبينهم.

والدلـــيل علـــى لزوم الصفة هذه واستمرارها أن موسى عليه السلام قد ندم على دعائـــه على قومه، إلا أن الله تعالى يعلم أن الفسق ملازم لهم وأن القوم لن يتوبوا إلى الله أو ينيبوا إليه، لذلك قال: " فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " بتكرار كلمة الفاسقين.

---

[1] تفسير البحر المحيط ٤٧٢/٣.

[2] من قولهم (فرق) قول عامر بن الطفيل في ديوانه ص ٤٦: فأما فريق بالمصامة منهم ففرّوا وأخرى قد أبيدت جدودها وقول عوف ابن عطية في المفضليات للظبي ص رقم ٩٤: فهي ثلاثة أفرقة: فسابح في الرمح يعثر في النجيع الأحمر.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(١٥١) ... وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ(١٥٦) " سورة الأعراف ١٥١-١٥٦

اسم تفضيل – (أرحم الراحمين) :

(أرحـــم) أســـم تفضيل من الفعل الثلاثي (رحم) ويدل اسم التفضيل على اشتراك شـــيئين أو أكـــثر فـــي صفة ما، وزاد أحدهما أو أحدهم فيها على الأخر أو الأخرين في هذه الصفة، وهذا ما جاء به النحاة ،

وصـــيغة التفضيل هذه (أرحم) جاءت لتدل على سعة رحمة رب العالمين ،بحيث لا تصل إلى مثلها رحمة، فرحمته وسعت كل شيء، وجاءت هذه الصيغة في دعاء موسى عليه الســـلام لـــتظهر أن هناك راحمين في الدنيا إلا أن رحمتهم لا تماثل رحمة الله تعالى، وهذه الســـعة في رحمته عز وجل تؤكدها الصيغة التي تليها وهي (الراحمين)،حيث إنها اسم فاعل مـــن الفعـــل الثلاثي (رحم) بصيغة الجمع، وهذه الصيغة على قوتها ودلالتها على الثبوت في حدوث الرحمة إلا أنها لم تأت على صيغة (فعيل) أي (رحيم) لأن (رحيم) من صفاته عز وجل ولا يماثله فيها أحد ،لذلك تكون صيغة (رحيم) أكثر رحمة من صيغة (راحم) ،وهذا يـــدل علـــى التباعد الكبير بين رحمته عز وجل ورحمة غيره ،ومن هذا لا تجد قوله (أرحم الرحيميـــن) لتقارب مقدار رحمته في صيغتي (أفعل) و(فعيل) ،هما بعيدتان في المقدار عـــن صيغة (فاعل– راحم) حيث تكون رحمة العباد بدافع منهم، أما رحمة الله تعالى فهي من صفاته التي لا دافع لها،إنما هي ثابتة فيه .

الصفة المشبهة – (وليّنا) :

صـــفة مشـــبهة على وزن (فعيل) من الفعل الثلاثي (ولي)، وجاءت هذه الصيغة للدلالة على شدة ولاء موسى لربه من ناحية ونصرته عز وجل لموسى من ناحية أخرى، وأكد هـــذه الشدة والقوة ما تتصف به الصفة المشبهة من ثبات ولزوم لهذه الصفة في ذات صاحبها

أو مـــن يتصف بها، يضاف إلى ذلك ما جاء من إدغام في (وليّ) ليعطي دلالة القوة في ولاية الله عز وجل لموسى عليه السلام، حيث تم الاستغناء عن اسم الفاعل من هذه الصفة (والي)، لعد ظهور المدى المطلوب من الشدة في نصرته عز وجل لنبيه موسى عليه السلام.

اسم التفضيل واسم الفاعل- (خير الغافرين):

(خـــير) اسم تفضيل، صيغة مسموعة عن العرب تدل على التفضيل، كما تدل (شر) عليه أيضا.

وجـاءت صيغة (خير) لتدل على التفضيل بين الغافرين، واستُغني عن اسم التفضيل القياسي (اغفر)، لإظهار الدلالة العميقة لصيغة (خير) التي لا تتوافر في دلالة (أفعل – أغفر).

لقد جاء التفضيل بين (الغافرين)، والذين يغفرون تتساوى درجات (مغفرتهم)، ولو قيل (أغفر الغافرين) لانتزعت صفة التفضيل بينهم جميعا لأنهم متساوون فيها، بحيث لا تصلح أن تكـــون بهذه الصيغة على نحو ما أسموه بعدم التفاوت، لذلك جاءت صيغة (خير) لتمييز رب العالميـــن بهذه الصفة دون غيره، حتى ممن يدّعون انهم من أهل المغفرة، يزاد على ذلك أن (ارحـــم الراحميـــن) يتم التفضيل فيها، لأن الرحمة درجات، وإن كانت في الأمر الواحد، أما (أغفـــر الغافريـــن) فلا تفضيل فيها لتساوي الغافرين في المغفرة، فإن وقعت المغفرة من أحد تكن على درجة واحدة، لأنها شاملة للأمر الذي جاءت لأجله.

والدلالـــة المهمة لاستعمال (خير) هي أن الله تعالى أفضل من غيره في كل الصفات التـــي يتمنونها، ومن هذه الصفات صفة الرحمة والمغفرة، فكلمة (خير) أعمّ وأشمل من كلمة (أغفر) لو استعملت.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث :

" وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ(١٠٦)". سورة الأعراف ١٥٦

الإفـــراد – (حسنة) :

كلمة مفردة تدل على الشيء الواحد دون تثنية أو جمع، وهذا الإفراد له دلالته في هذا الدعاء، إذ إن موسى عليه السلام لم يكن يريد من ربه سوى الرحمة والمغفرة، وقد كرر ذلك في دعائه حيث قال:" رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت ارحم الراحمين" ثم قال:" أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين".

فلمـــا كان همه الرحمة والمغفرة دعا ربه أن يعطيه شيئا في الدنيا يكون سببا لشيء أخر في الأخرة، فجاءت (حسنة) على الإفراد دلالة على قبول موسى بأقل الخير، لرغبته في الحصـــول على ما هو أكبر في نفسه وأعظم وهو المغفرة والرحمة، وكأن حسنة واحدة تكفيه ليُقـــبل عـــند ربـــه، ومن هنا قوله تعالى :" ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتـــون الـــزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون"[1]، للتأكيد على تلبية رب العزة دعاء موسى عليه السلام بحيث شملت مباشرة ما دعاه من أن تُكتب له حسنة في الدنيا والأخرة واستعمل الإفراد في (حسنة) دليلٌ على تأدب موسى مع ربه عز وجل.

---

[1] الأعراف / ١٠٦

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الرابع :

" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ)(٨٨)".

سورة يونس ٨٨

جمع التكسير – (زينة وأموالاً):

جمع تكسير وهو جمع قلة على وزن (أفعال)[١] وهذا ومفرده (مال)، وهو أيضا دال على الجمع، ومن هنا يكون جمع كثرة في الدلالة وليس جمع قلة.

وقــد جاءت هذه الصيغة على التنكير، للدلالة على عدم المعرفة بمقدار هذه الأموال لكــثرتها، وهذه الكثرة كانت سببا في ضلال قوم فرعون عن سبيل الله (ليضلوا عن سبيلك)، على رأي من قال بأن اللام في (ليضلوا) للتعليل.

وجــاءت صــيغة الجمع للأموال بعد كلمة (زينة) في قوله:" إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً)، وهذا الجمع بعد الإفراد يدل على أن قوم فرعون قد أعطيت لهم أنواع متعددة من الأموال ومن المعادن[٢] ، بحيث إنهم يستعملون ما شاؤوا من هذه الأموال على اختلافها، فكلمــا نضب منها نوع، استعملوا نوعا أخر، وكل نوع منها كان سبيلاً لضلالهم، وهذا معناه انقطاع الرجاء في إيمانهم بالله وتسليمهم بدعوة موسى عليه السلام.

فعل الأمــر – (اطمس على أموالهم):

فعــل أمــر مــن الفعل الثلاثي (طمس) ومعناه الانمحاء والهلاك والزوال وتحويل الشــيء، ودلالة هذا الفعل تكمن في طمس الشيء بحيث لا يكون له أثر دال عليه، ولا سبيل لرده إلى ما كان عليه إلا بإرادته عز وجل.

ومــن هــنا جاءت دعوة موسى على قومه بأن تزول أموالهم لأن لها سببا كبيرا في ضلالهم، حيث كانوا يملكون هذه الأموال؛ لذلك جاءت الأموال معرفة بالإضافة إليهم (اطمس على أموالهم)، لأنهم كانوا متمكنين منها، حاكمين لها، فكان الطمس للأموال بدءا قبل عقابهم مباشرة، لجعلهم يرون العذاب بأعينهم عند انحسار أموالهم وهم شاهدون.

---

[١] شرح المفصل ٥/٩-١١.

[٢] تفسير البحر المحيط ٥/١٨٥.

فعل الأمـــــر - (اشدد على قلوبهم) :

فعل أمر للفعل الثلاثي (شدد)، وجاء هذا الفعل مفكوك الإدغام لإظهار مدى القوة في الشد على قلوبهم بحيث لا تصلح للإيمان، كما أن وجود المقطعين (اش) و (دْدْ) يوحي بوجود طرفيـــن للشـــد، وهـــذا يـــدل على قوة في السيطرة عليهم والتحكم بهم، ودلالة على ضعفهم وانقيادهم.

وجاء هذا الفعل لزيادة عذابهم، بعد أن تنوعت قلوبهم بضياع أموالهم وهلاكها، فجاء الشـــد ليحـــيط بها إحاطة تامة على استعلاء منه عليها؛ لذلك جاء الفعل (اشدد) مقترنا بحرف الجـــر (على) من أجل هذه الدلالة، ولم يكن يصلح سوى ذلك، على نحو اشدد قلوبهم، فهناك بون بعيد وعميق بين الدلالتين، فدلالة الحرف (على)، تفيد الإحاطة التحكم.

ويمكن القول ايضا بأن فك الإدغام في (اشدد) ذو دلالة أخرى مهمة ، وهي أن الشدّ على الشيء لا يكون من طرفين، كطرفي الحبل عند شدّه ، ولمناسبة هذين الطرفين في الشدّ، جـــاء فـــك الإدغـــام لـــتكون الدالان المفكوكتان من الإدغام مناسبتين للطرفين ، وإلا لجـــاء الفـــــعل (وشدّ على قلوبهم) بالإدغام.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء الخامس :

" قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي(٢٩) هَارُونَ أَخِي(٣٠)اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(٣١)وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً(٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً(٣٤)إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً(٣٥) ". سورة طه ٢٥-٣٥

الإفـــراد – (أمْري) :

وجـــاءت هـــذه الصيغة على الإفراد لا الجمع، وكان على الداعي أن يدعو ربه بان ييسر له أموره كلها لا أمراً واحداً مفرداً، على نحو؛ ويسر لي أموري.

ودلالـــة هذا الإفراد دلالة عظيمة، بحيث لا تصل إليها دلالة الجمع لهذه الكلمة، وهذه الدلالـــة هـــي أن موســـى عليه السلام يدعو ربه أن ييسر له أموره جميعها، وهنا تكون هذه الأمـــور متساوية من حيث الرغبة في نفس موسى، فيتساوى أمر الدين وأمر الدنيا، وهذا لا يليق بنبي الله تأدباً، إلا أن الإفراد (أمري) جاء لتحديد الرغبة عند موسى في أن ييسر الله له أمـــره في دعوته، فتيسير هذا الأمر سبيل أكيد إلى تيسير غيره من الأمور الأخرى، كما هو الحال في المفرد الذي هو الخطوة الأولى للجمع.

لقـــد جـــاء الإفراد في (أمري) عاماً وشاملاً للأمور كلها، بحيث أعطى الإفراد دلالة الشمولية والجمع بخصوصية عظيمة لدعوة موسى عليه السلام.

فـــك الإدغـــام – (واحْلُل) :

وجـــاءت هذه الصيغة مفكوك إدغامها، وهذا الفك للإدغام يعطي دلالة فك العقدة من لسان موسى، كانسياب فك الإدغام، فالعقدة ذات طرفين، كما هو الحال في وجود (اللامين).

الإفـــراد – (عُقْدةً) :

وجـــاءت هـــذه الصيغة على الإفراد لتعطي دلالة العجز عند موسى عليه السلام من جهـــة، والتشـــبث بالكفر والعناد عند قوم فرعون. فمن جهة موسى، دلت (عقدة) على أنه قد استعمل وسائله كافة لهداية فرعون وقومه وإقناعهم بالدخول في الإيمان والإقلاع عن الكفر، ولمـــا وصـــل إلى حالة العجز التام وعدم القدرة على دعوتهم وهدايتهم، لجأ إلى ما يعتقد أنه سبب في عدم قدرته تلك، وهذا السبب هو وجود عقدة في لسانه، وهي عقدة جسمية أصيب بها

من صغره، حيث أصابت جمرة لسانه فجعلت فيه أذى هو العقدة[1] والدليل على عجزه وعدم قدرته أن هذه العقدة الجسمية لا يمكن أن تكون حائلاً دون قدرته، فالله تعالى عندما أرسله نبيا لبنـــي إسرائيل كان يعلم بتلك العقدة في لسان موسى، ولو كانت هذه العقدة سبباً في عدم نشر دين الله لأرســـل الله نبياً أخر، ودليل آخر هو أن هارون الأفصح لسانا من موسى – والذي لا عقـــدة فـــي لسانه – لم يستطع هداية قوم فرعون جنباً إلى جنب مع موسى نفسه؛ ولذلك فإن العقـــدة لم تكن سبب تقصير موسى في دعوة قوم فرعون، زيادة على أن قوم فرعون هم من تمادوا في الكفر وغالوا فيه مغالاة عظيمة.

ومـــن هـــنا كـــان الإفراد في (عقدة) دليل منتهى العجز، وتسويغ دعائه عليه السلام بالحاجة إلى هارون أخيه.

التنكيـــــــر:

ودلـــيل آخـــر على ما سبق، هو أن (عقدة) جاءت نكرة، وكان يمكن أن تكون معرفة (أحلل العقدة من لساني) أو (احلل عقدة لساني)، وهذا التعبير أقوى في الدلالة على أن العقدة هـــي السبب في تقصيره، ولكن مجيئها نكرة دل على الإبهام والتمسك بأي شيء لتسويغ عدم القدرة.

---

[1] قصص الأنبياء ١٧٤.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء السادس :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(١٤) ". سورة الشعراء ١٢-١٤

الفعل المضارع – (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) :

والضـــيق ضده السعة والانشراح، ومنه قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام :" رب اشرح لي صدري"[١] ، وقوله تعالى :" ألم نشرح لك صدرك"[٢].

وقـــد جـــاء اســـتعمال هذا الفعل للدلالة على الحالة النفسية التي يمر بها موسى عليه السلام وخوفه من أن ينأى قومه عنه ويكذبوه، فيكون ذلك سببا في ضيق صدره، وفي حقيقة الأمـــر أن الصدر يبقى على وضعه الطبيعي من حيث الجانب المادي، إلا أن الضيق يحصل في الجانب المعنوي، ولكن مجيء الفعل (ولا ينطلق لساني) يشير إلى وجود دلالة علمية مهمة قد تكون ذات أثر في الجانب المادي للصدر واللسان معا.

إن المـــرحلة الأولـــى لخروج الصوت تبدأ من تيار الهواء الخارج من الرئتين. وهذا التـــيار يمر بصدر الإنسان قبل وصوله إلى المخارج ، فعند حصول الضيق في الصدر يكون تيار الهواء الخارج في حالة انكماش وانقباض بحيث لا يسير في مجراه الطبيعي، ولشدة هذا الضـــيق يكون تيار الهواء الخارج قليلا بحيث لا يستطيع الإنسان من إخراج الأصوات التي يريدها لاختلاف ضغط الهواء، وبالتالي لا ينطلق اللسان بما يريد الإنسان.

ويزاد على ذلك من الناحية الطبية، أن الإنسان المصاب بأزمة صدرية يكون اقل قدرة على الكلام، فلا يسمع منه كثير من الأحيان سوى حالتي الشهيق والزفير[٣].

ومـــن هـــنا فـــإن الضيق الحاصل في صدر موسى عليه السلام هو السبب في عدم انطلاق الأصوات من لسانه، ومن كان ضيّق الصدر محبوس اللسان لا يمكن أن يؤدي رسالة ربه؛ لذلك دعا موسى ربه أن يرسل هارون ليعينه ويؤازره، فجاء قوله (فأرسل إلى هارون)، بمعنى اجعله رسولاً، لما عُرف عن هارون أنه ذو سعة في صدره[٤].

---

[١] سورة طه /٢٥..

[٢] سورة الانشراح/ ١.

[٣] المعاني في ضوء أساليب القرآن ٢٠٨، ٢١٠

[٤] تفسير البحر المحيط ٨/٧.

دعاء سيدنا موســـى عليه الصلاة والسلام – الدعاء السابع :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ(١٧) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(٢٢) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(٢٤) ."

سورة القصص ١٦-٢٤

الصفة المشبهة – (ظهيرا) :

وهـــذه الصيغة[١] ذات دلالة في دعاء موسى عليه السلام، حيث ارتبطت بقضية قتل موســـى القبطـــيَّ بعصاه، فشعر موسى بأنه قد ظلم الآخرين، فطلب المغفرة لنفسه لأنه أيقن ظلمـــه لنفســـه أيضا، لوقوعه في الخطأ والذنب، فجاءت كلمة (ظهيرا) لتدل على انتفاء هذه الصفة عن موسى (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) كما أنها ذات امتداد يناسب انتفاء هذه الصفة مســـتقبلاً على امتداد الوقت من خلال قوله (فلن أكون)، فهذه تفيد الاستقبال، وهذا الامتداد في (فعيل) لا يوجد في نحو: لن أكون ظهراً أو ردءاً للمجرمين.

اسم الفاعل – (للمجرمين) :

اسم فاعل من الفعل المزيد (أجرم)، وجاء بصيغة الجمع لتأكيد انتفاء صفة المظاهرة لأي من المجرمين على اختلاف جرمهم وجرائمهم.

واســـم الفاعل (مجرم) ذو دلالة في دعاء موسى عليه السلام، فهو من فعل لازم ثبتت فيه صفة الإجرام وتأكد حدوث الحدث فيه، وتعطي كلمة (مجرم) في هذا الدعاء دلالة لا توجد فـــي غـــيرها مـــن الكلمـــات التي قد تقترب من دلالتها، نحو: فلن أكون ظهيراً للكافرين أو للمشـــركين أو الفاســـقين..الخ. فهذه وغيرها لا تصل إلى دلالة كلمة (المجرمين)،لأن الكفر والفسوق والشرك ظاهر وواضح، وهو واقف عند مرحلة معينة منه، أما الإجرام فهو مرحلة مـــتقدمة لكـــل ما سبق من الكفر والفسوق والشرك والعصيان، ففي الإجرام إرادة أكيدة على تصفية دعوة موسى والقضاء عليها، فمن هنا قال (فلن أكون ظهيراً للمجرمين).

---

[١] صيغة فعيل واستعمالاتها في القرآن الكريم ٢٠٩-٢١٠.

اسم الفاعل – (نجني من القوم الظالمين) :

وتظهر دلالة هذه الصيغة من خلال ما لحقها من تعريف وجمع، فالتعريف حدد القائم بالظلم وهو قوم فرعون، وأعطى الصيغة معنى الفعل والحدث، وترك الجملة التي وقع عليها الظلم غير محددة أو معلومة، لتدل على الشمول والكلية، فهذه الصيغة بما لحقها من تعريف أصبحت عاملة عمل الفعل، وهي من فعل متعد لم يظهر مفعوله، ليدل على المعنى المقصود والدلالة المرادة منها. وهي أن (الظالمين) هم من ظلموا أنفسهم من جهة وغيرهم من جهة أخرى؛ ولهذا كان موسى عليه السلام قد بدأ دعاءه بقوله (إني ظلمت نفسي) فحدد الجهة التي وقع عليها الظلم وخصصها دون غيرها، فاستغنى عن اسم الفاعل، ولم يقل (إني ظالم) دون تحديد أو تخصيص، وإنما ترك ذلك صفة لقوم فرعون فقال (الظالمين) ولم يحدد جهة معينة، وإنما ترك هذه الصيغة على إبهامها وإطلاقها على الرغم من التعريف اللاحق بها.

الفعل الماضي المزيد – (أنزلتَ) :

وجاءت دلالة هذا الفعل لتعبر عن محتوى الدعاء، حيث جاء قوله :" فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير)، فالفعل (أنزل) يبين دلالة المكان لكل من المُعطي والمعطى، والمُنْزِل والمُنزَل إليه، حيث إن هناك طرفا علويا يُنزل خيرا إلى طرف آخر أدنى منه، وهذا التباين في المكان والموضع جاء ليظهر علو الغني وهو الله تعالى، ودنو الفقير وهو موسى عليه السلام، وذلك من خلال قوله (إني لما أنزلت إلي من خير فقير)، فاستعمال الفعل (أنزل) جاء دلالة على أن الله تعالى في عليائه مُنزل الخير على موسى، ومن يكن في المرتبة الأولى يكن الفقير المحتاج إلى غيره.

ويدل الفعل (أنزل) على عظم العطاء والخير، فالإنزال يكون سهلا وكثيرا على العكس من الصعود الذي فيه صعوبة وثقل وقلة، وهذه الدلالة للإنزال الكثير للخير، لا يناقض قوله (لما أنزلت إلي من خير)، فقوله (من خير) لا يدل على القلة، وإنما هو تأدب من موسى عليه السلام، ليظهر ما عند الله من خير كثير، وإن ما أصابه من ذلك الخير لا يُعدّ شيئا قياسا إلى ملكوته عز وجل، كما أن قوله (فقير) يدل ثانية على تأدبه عليه السلام مع ربه بأن ما أصابه من ذلك الخير لا يجعله يشعر بالغنى وعدم الحاجة إلى ربه، وإنما هو سبب جديد يزيد من فقره وحاجته فهو يفتقر إلى رحمة ربه، ونعمته في كل آن، لأن ما يصيب الإنسان من خير ربه يجعله يشعر بغنى نفسه لا بفقره من جديد، ولكن هذا أسلوب موسى في تأدبه مع ربه عز وجل.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام- الدعاء الأول:

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"

البقرة/١٢٦

الصفة المشبهة- (آمِنا):

اسم فاعل من الفعل الثلاثي(أمن)

وتأتي الصفة المشبهة للدلالة على إثبات وقوع صفتها، وزيادة وقوع الحدث، ومن ثمَّ ثبات هذه الصفة وعدم تحولّها[١].

وجاءت هذه الصيغة(آمِنا) نكرة، والتنكير له معانٍ عدّة، فقد يأتي للتعظيم أو التكثير أو التقليل[٢]

وللتنكير دلالاته الخاصة المعجزة، التي تفوق دلالات التعريف إن جاءت في مواضع التنكير، فالتعريف ليس بأبلغ من التنكير على الإطلاق، وهذا ما يُظهر أنَّ التنكير في مواطنه أكثر دلالة وأبلغ في البيان.

ودلالة التنكير في(أمنا) أنَّ إبراهيم عليه السلام قد أراد ثبات صفة الأمن والأمان لملكه على الإطلاق، دون تحديد وقت ما أو زمان معين؛ لأنَّ التنكير غير محدَّد، فهو غير مقيَّد في هذا المقام إلاَّ بالبيئة الجغرافية.

الجمع- (الثَّمَرَاتِ):

جمع مؤنث سالم، ومفرده(ثمرة).

وجاءت هذه الصيغة(الثَّمَرَاتِ) للدلالة على أنَّ إبراهيم عليه السلام يدعو ربَّه أن يرزق أهل مكة كثيرا من الثمرات، وليس الثمرات كلها، بدلالة وجود حرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض والجزئية[٣]، وهذا الامتداد في(الثَّمَرَاتِ) دلالة على الرغبة في امتداد هذا الرزق إلى أجل بعيد، وإلاَّ لكانت صيغة أخرى نحو(من الثمر) أو(من الثمار)، وهذا التنوع للثمرات يدلُّ على أنَّ مكة ستبقى موطن رزق كريم إلى أمد بعيد، وهو غاية دعاء

---

[١] الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ١٠١

[٢] انظر: تفسير البحر المحيط ٥٥٤/١ ، والبرهان في علوم القرآن ٩١/٤- ٩٣ ،ولغة القرآن الكريم ٣٤١-٣٤٢

[٣] همع الهوامع ٣٧٧/٢

إبراهـــيم عليه السلام، والدليل على هذا التنوع والكثرة في الرزق لهذا البلد، أننا نجد عبر التاريخ، ومنذ أيام الجاهلية التي سبقت مجيء الإسلام، أنّ مكة تكون-وما زالت- موطن رزق مخـــتلف، فكانت التجارة، والحجّ والنخيل والذهب والنفط... الخ، وهذه الثمرات هي إرادة إلهية لهذا البلد ليظل قوياً، لأنّ الكعبة بين دفتيه، فسيظلّ محطّ أنظار الأمم، ومهوى أفئدتهم، وقبلتهم التي رضي بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لتكون قبلة المسلمين.

ويمكـــن لنا أن نلاحظ جميع الصيغ الواردة في هذا الدعاء، حيث إنها ذات مقاطع صوتية، تدلّ على الطول والامتداد (اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهلة من الثمرات)، ودلالة هذا الامتداد هي الرغبة في امتداد الرزق والأمن لهذا البلد الذي تكفل به ربّ العالمين إلى يوم الدين.

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني:

"وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٢٧)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (١٢٩).سورة البقرة(١٢٧-١٢٩)

الجمع- (القوَاعِدَ):

صيغة منتهى الجموع، ومفردها (قاعدة)[1]. ترد صيغ منتهى الجموع للدلالة على الكثرة وغايتها وقوتها.

وجاءت صيغة (القواعد) في دعائه علية الصلاة والسلام للدلالة على حفظ الله تعالى لهذا البيت، ومنعته وقوته وبقائه على مرّ الزمان، والدليل على ذلك أن الرفع لا يكون لقواعد البيت نفسها، فالقواعد ثابتة في الأرض، والذي يرُفع هو البناء وأطرافه، ولكن صيغة (يُرفع القواعد) جاءت للدلالة على أن هذا البيت من أدناه إلى أعلاه بمنزلة القاعدة الثابتة التي لا يختلف جزء منها عن الأخر، وكأن القواعد نفسها ترتفع بنفسها وتمتد، وهذه بشرى للمسلمين ببقاء الكعبة إلى يوم الدين.

التعريف:

وجاءت صيغة (القواعد) معرفة ، وانقطعت عن الإضافة، نحو قواعد البيت، فجاءت (القواعد من البيت)؛ حيث إن التعريف في (القواعد) يدّل على الإبهام، ثم جاء البيان والتوضيح بعد ذلك،[2]فدلّ التعريف على أن البيت كله قاعدة، واهم ما تمتاز به القاعدة القوة، وهذا يعني أن الكعبة ذات قوة من الله لن تضعف أبدا.

فعل الأمر- (أرنا):

وتأتي هذه الصيغة لتفيد معاني الرؤية، البصرية منها والقلبية.

وفي هذا الدعاء جاء الفعل (أرنا) للدلالة على رغبة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في معرفة الناس بحدودها التفصيلية، والاطمئنان لنفسيهما لأنها مرتبطة بالموقع

---

[1] للمزيد انظر الكتاب ٣/٢٢٨، ٤٠٧، ٤٩١

[2] الكشاف ١/٣١١ طبعة دار الفكر

الجغرافي، ليخرجا من نسك إلى آخر، والرؤية في هذا المقام أفضل من السمع بالشيء أو تعليمه، فسيدنا إبراهيم كان قادراً على أن يدعو ربّه أن يعلمه المناسك نحو: (وعلّمنا مناسكنا) ولكن الرؤية حدث حاضر، وأقوى شهادة من غيرها.

ويبدو في هذا الدعاء أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قد طلب من ربّه أن يريه المناسك، فاستشعر بالحياء من الله تعالى لطلبه هذه الرؤية، وكان قادراً على تعلمها دون رؤيتها رأي العين، لذلك خشي الوقوع في الذنب أو التجاوز على حدود الله، فعطف مباشرة بقوله ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، لأنّ التوبة- وخاصة توبة الأنبياء- لا تكون إلاّ بسبب الوقوع في الذنب أو التفكير فيه، وطلب التوبة من الله في هذا الدعاء لا ترتبط بما سبق، لأنّ من يرفع القواعد من البيت ويطلب الإسلام له ولولده ولذريتهما، لا يكون قد وقع في الخطأ ليطلب التوبة، أمّا من يطلب رؤية المناسك لا تعلمها دون رؤية، فهو أولى بطلب التوبة عن هذا الطلب. والدليل على أنّ طلب الرؤية يحتاج ذلك، ما جاء في دعاء إبراهيم بقوله (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)[1]، فكان ردّه عز وجل (أو لم تؤمن)، فهذا يشير إلى نوع من عتاب رب العالمين، نتيجة وجود الرغبة التي تصل إلى حدّ الشك في نفس إبراهيم عليه السلام.

---

[1] البقرة / ٢٦٠

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث:

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (٢٦٠) سورة البقرة

فعل الأمر – (أرني):

فعل أمر من الفعل (رأى)، و(رأى) في هذا المقام بصرية، بمعنى (بصّرني)[١].

وتأتي دلالة هذا الفعل في هذا الدعاء لإظهار الجانب البشري عند سيدنا إبراهيم عليه السلام، فهو إنسان قبل إن يكون نبيا، أراد التثبت من هذه المعجزة، وأن يراها رأي العين دون إن يكون ذلك انتقاصاً من إيمانه، والدليل(أو لم تؤمن، قال بلى)، ولكن رؤية الشيء أولى من السمع وأثبت، على الرغم من أن يطلب الرؤية قد يتخلله الشك والريبة، ومن هنا جاء قوله تعالى: (أو لم تؤمن).

العدد – (أربعة من الطير):

العدد أربعة في هذا الدعاء جاء مؤنثا لأن المعدود (الطير) مذكرا، حيث يخالف العدد المعدود في هذا الموضع.

ومجيء العدد (أربعة) تحديداً دون غيره له دلالة مهمة لإثبات المعجزة من الله عز وجل، إذ تشير أغلب الروايات إلى أن عدد الجبال الواردة في هذه الآية أربعة جبال[٢]، وهذا يعني أن العدد (أربعة) يتطابق مع عدد الجبال الوارد ذكرها من جهة، ومع اتجاهات الأرض الأربعة من جهة أخرى: الشمال والجنوب والشرق والغرب، فاختلاط أجزاء الطيور وتوزعها على جهات متناقضة يجعل صعوبة في التصديق بجمع هذه الأجزاء كما كانت، وإحيائها بعد موتها، لذلك كان دعاء إبراهيم لرؤية هذه المعجزة بعينه، لأنها تفوق إدراك البشر وخيالهم، وجاء العدد (أربعة) لإثبات هذه المعجزة وليطمئن قلبه عليه السلام

---

[١] الكشاف ١/٣٤٠

[٢] م.ن ١/٣٠٥، وتفسير البحر المحيط ٢/٣٠٩-٣١٠

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الرابع:

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ(٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ(٤١)" سورة إبراهيم/٣٥-٤٠

التعريف- (البلد):

اسم معرفة، وقد جاء هذا الاسم نكرة في دعاء آخر لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، في قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[1]، وقد تمَّ إظهار دلالة التنكير في ذلك الدعاء عند دراسة التراكيب النحوية له.

وتأتي دلالة التعريف لهذا الاسم(البلد) لتبيان المرحلة المتقدمة من علاقة إبراهيم عليه السلام بهذا البلد وهو(مكّة)، فعند استعمال التنكير تظهر المراحل الأولى من علاقته به، لذلك لم يكن هذا البلد(مكّة) محدّدا بعد في ذهن إبراهيم عليه السلام، وإنّما دعا له بالأمن والأمان على الإطلاق دون تعيين لحدوده، أمّا في التعريف(البلد) فقد أوحت هذه الكلمة بأنّ إبراهيم عليه السلام قد تكشّفت له حدود هذا البلد ، وبانت له المناسك والشعائر فكان هذا التعريف.

---

[1] البقرة / ١٢٦

الصفة المشبهة- (آمنًا):

وجاءت هذه الصيغة نكرة، ودلالة التنكير فيها إلصاق الصفة الدائمة التي لا تنتهي للاسم(البلد)، وهذا التنكير بعد الاسم المعرفة(البلد) يظهر أنَّ الغاية من هذا الدعاء هي توافر الأمن والأمان لهذا البلد ذي المعالم المحدَّدة، أمَّا في مجيء الصفة المشبهة(آمنا) صفة للاسم النكرة(بلدا) في دعائه السابق(اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)[1]،(فالبلد) موجود وواضح المعالم وظاهر الحدود، ولكن المراد هو إيجاد الأمن والأمان له، وفي ذلك فرق كبير في دلالة(آمنا) بتعلقها بالمعرفة أو بالنكرة.

فعل الأمر- (وَاجْنُبْنِي):

وجاءت دلالة استعمال هذا الفعل لإظهار رغبة إبراهيم عليه السلام في تجنبه الشرّ المتحصل من الأصنام وعبادتها، والفعل(وَاجْنُبْنِي) يدلُّ على أنَّ الأصنام تقف في طريق إبراهيم عليه السلام، وأينما نأى بنفسه عنها كانت تسدُّ عليه سبيله، فهي تحاصره من كل جانب، وهذا دليل قوتها وسيطرتها على عقول الناس آنذاك، فهي آلهة آبائهم وأجدادهم، ومن هنا جاء قوله(إنهنَّ اضللن كثيراً من الناس)، وهذا لا يكون إلاَّ بفعل قوى وقدرة متمكنة، سيطرة على عقولهم وقلوبهم، فسيدنا إبراهيم يدعو ربَّه أن يحرفه عن الطريق، طريق الكفر والشرك وعبادة الأصنام.

فكُّ الإدغام- (أضللن):

فعل ماض من الفعل(ضلَّ)، تعدى بالهمزة.

وجاء هذا الفعل وقد فكَّ إدغامه لاتصاله بنون النسوة، وقد يكون لفكِّ الإدغام دلالة التنوع والقوة في السيطرة على عقول الناس، وتشعب هذه الأصنام في سريانها في دمائهم، وجريانها فيهم مجرى الشيطان في الإنسان، وهذا الفكُّ للإدغام جاء للدلالة على كثرة من أضلتهم هذه الأصنام عن عبادة الله تعالى وحده.

---

[1] البقرة /١٢٦

اسم المفعول- (المحرَّم):

اسم مفعول من الفعل المضعف(حرَّم).

وجـــاءت دلالـــة هذه الصيغة لتؤكد قوة الله تعالى وقدرته في حماية بيته على مرّ الزمان، فاسم المفعول يدل على حتمية وقوع الحدث عليه، وهذه الحتمية هي أنَّ الكعبة قد حُـــرِّم عليها الاندثار أو الضياع أو النجاسة، بفضل الله تعالى، واسم المفعول يدلُّ مباشرة علـــى أنَّ هناك فاعلا لا بدَّ من وجوده، وفي هذا المقام فإنَّ الفاعل الذي أكثر هذا التحريم هـــو ربُّ العـــزة، كما أنَّ اسم المفعول من الفعل الرباعي المضعف(حرَّم) يدل على القوة والشدة في توافر هذه الصفة لهذا البيت العتيق.

الجمع- (أفئدةٌ) :

جمـــع تكسير دال على القلة[1]، على وزن(أفعلة)، نحو أرغفة، أدمغة، أوسمة... إلخ.

وجـــاءت هذه الصيغة لتعطي دلالة عظيمة في هذا الدعاء من ناحيتين: جمع القلة والتنكير.

لقـــد جـــاءت هذه الصيغة جمع قلة(أفئدة) لتؤكد قوة الأصنام وتأثيرها في نفوس الناس، حيث إنَّهنّ قد أضللن كثيراً من الناس، وهذا يعني أنَّ قليلا منهم فقط من لم يُضلُّوا بهـــن، وهذا القليل هو الذي قد يهوى إليهم وفق قوله" فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"، لذلك جاءت هذه الصيغة جمع قلة لئلا تتعارض مع غياب الكثرة في الضلال والكفر.

وشيء أخر يتعلق بصيغة(أفئدة) وهو دلالتها على جزء من الناس، لا الناس كلهم، نحو: فاجعل من الناس من يهوى إليهم، إلاَّ أنَّ(أفئدة) تدل على الصدق والإيمان في نفوس أولئك الذين تركوا الأصنام،فذكر الجزء المتعلق بمقر الإيمان للدلالة على صاحبه كله.

التنكير- (أفئدة):

أمَّا دلالة التنكير في(أفئدة) فهي لتحيد الفئة الخاصة التي ستهوي إلى ذرية إبراهيم عليه السلام، وهذه الفئة هي التي ستحمل دعوة إبراهيم وبنيه إلى الناس، ولو جاءت هذه الصـــيغة(أفئدة) على التعريف لدلت على الشمول نحو: (فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم)، ولتشارك في ذلك المؤمن والكافر على السواء[2].

---

[1] للمزيد عن جمع القلّة : الكتاب ٤٩٠/٣ ، ٥٦٧ شرح المفصل ٩/٣- ١١

[2] الكشاف ٥٣٧/٢

الصفة المشبهة – (سميع):

في قوله تعالى" إنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ".

وهـذه الصـيغة صـفة مشبهة على وزن(فعيل)، وهذا الوزن يعطي دلالة ثبوت الصفة وملازمتها لصاحبها، وتنوعها في استعمالاتها[1].

وقد جاءت هذه الصيغة لتدل على أنَّ الله تعالى سميع الدعاء، ولا يشترط في ذلك توافر الإجابة، وألاَّ لكانت (إنَّ ربِّي لمجيب الدعاء)، فالله تعالى من صفاته أنَّه سميع يسمع كـل شـيء، وهذه الصيغة جاءت بعد قوله " رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَـى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ"، والعلم بالشيء يكون برؤيته أو سماعه، وكلا الأمرين من صفاته عزَّ وجلَّ، إنَّه سميع بصير.

الفعل المضارع – (تهوي إليهم) :

وجـاءت دلالـة هذا الفعل معبِّرة عن معنى عظيم في هذا الدعاء، حيث إنَّ هذا الفعل يدل على التجدُّد في الحدوث والاستمرارية فيه، وذلك يناسب ما جاء في دعائه عليه السلام، حيث يشكو قلة الذين اتبعوه، وكثرة الذين أضلَّتهم الأصنام.

والدلالـة العظيمة الأخرى للفعل(تهوي) هي أنَّ إبراهيم قد أسكن من ذريته بوادٍ غـير ذي زرع، وهذا يعني أنَّ ذريته في منطقة منخفضة(بوادٍ)،لذلك جاء الفعل(تهوي)، للدلالة على الحركة من الأعلى إلى الأدنى، زيادة على أنَّ هذا الفعل يحمل معنى السرعة والنشاط والحركة،وهذا فيه رحمة لذرِّيته، وعدم انقطاعهم في (واد غير ذي زرع) .

التذكير – (البلد) :

يقـال : هذا بلد وهذه بلدة، ومن عادة العرب تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، ومن ذلك قول الشاعر:

فإذا وُقيتِ بحمد الله شرَّتها فاتجي فزارَ إلى الأطوادِ فالنُّوبِ[2]

حيث استعملت (شرَّتها) مؤنثة، والأصل (شرُّها).

---

[1] صيغة فعيل استعمالاتها في القرآن الكريم ١٧٠– ١٧٢

[2] ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد"أبو الفضل" إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧

وكلمة (البلد) في دعائه عليه السلام جاءت على صيغة المذكر، وذلك للدلالة على القـــوة والثبات والبقاء تمسكه، وهذا يناسب مدلول الدعاء الذي يطلب فيه الأمن والرزق، وهذا لا يكون إلا لقوي. ويمكن تلمّس مثل هذه القوة في قول الشاعر:

فنفضت ريشها وانتفضت وهي من نهضة قريبُ[1].

---

[1] ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق كرم البستاني ، ص٢٩ دار صادر

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء الخامس :

" رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩).

سورة الشعراء/٨٣-٨٩

(الحذف) – (هَبْ) :

فعل أمر من الفعل الثلاثي (وهب)

ودلالـــة هــذا الفعل هي طلب الشيء غير الموجود أصلاً، على العكس من الفعل (اجعــل لـــي) الذي يدلّ على وجود الشيء في الأصل، إلا أن هناك طلباً للحصول عليه وتمثّله في طالبه.

والفعل (هبْ) يقترن بالأشياء التي تتعلق بالنفس ذاتها، لا بالجسد وحده، كقوله تعالى على لسان زكريا : " رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً "[1]،حيث إن ذلك يتعلق بالرغبة النفسية وعلاقــتها بمكــنونات الداعي، أما الفعل (اجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين) فيدل على وجــود ذلك أصلاً عند إبراهيم عليه السلام، فهو ذو مكانة عالية قبل الدعاء، ليطلبها بعده عند الأمم الأخرى التي تليه وهذا ما كان.

التعريف – (ورثة):

جمــع تكســير، جاء معرّفاً بالإضافة، وهذا التعريف يظهر معرفة إبراهيم عليه السلام بمن استحقوا الجنة قبله، فيطلب ربّه أن يكون منهم.

---

[1] آل عمران / ٣٨

دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – الدعاء السادس :

" رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (١٠١) سورة الصافات/١٠٠

الصفة المشبهة – (الصالحين) :

جاءت الصفة المشبهة (الصالحين) للدلالة على الرغبة في الذرية الصالحة، حيث إنَّ الصفة المشبهة تفيد استمرارية الصفة وعدم انقطاعها، ولزومها لصاحبها وثبوتها فيه. وهذه الصفة العظيمة التي يتمناها إبراهيم لذريته هي التي جعلته يمناها لنفسه أيضاً، حين دعا ربَّه:" ربِّ هَب لي حكماً وألحقني بالصالحين "[1] .

---

[1] الشعراء /٨٣

دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام – الدعاء السابع :

" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٥) " سورة الممتحنة/٤– ٥

المصدر – (فتنة) :

وقد استعملت هذه الصيغة للدلالة على المفارقة، وكسر المتوقع،فالأصل أن يكون فتنة للذين أمنوا وللمسلمين، وغير ذلك أن يكون للذين كفروا، وهذه المفارقة تعطي منحى بعيداً وهو أنَّ إبراهيم عليه السلام قد دعا لقلة اتباعه وكثرة عبدة الأصنام، فخاف أن يرتد مـــن كان معه فيكونوا فتنة لصالح الذين كفروا،والدليل على ذلك أنَّ دعاء إبراهيم قد كان بلغة الجمع" لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا"، وهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى في بداية الآية" قَـــدْ كَانَـــتْ لَكُـــمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ".

الفعل المضارع المضعف – (توكلنا) :

ويفـــيد التضعيف في الفعل (توكلنا) الإصرار والتأكيد على حقيقة التوكل التي لا مناص منها، ولا تبديل لها، واتخاذ الله وكيلاً لهم[١] .

---

[١] شرح شافية ابن الحاجب ١٠٤/١

دعاء سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام

" وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٨٣) " سورة الأنبياء / ٨٣

الفعل الماضي المضعّف - (مسّني) :

ورد الفعل (مسّ) في القرآن الكريم في مواضع متعدّدة وبمعان مختلفة؛ ففي قوله تعالى : " إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه "[١] حيث جاء بمعنى: أصاب. وفي قوله تعالى على لسان مريم بنت عمران:" وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ "[٢] بمعنى: يتزوجني. وفي قوله تعالى:" مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ"[٣] بمعنى: تدخلوا بهنّ. وفي قوله تعالى:" فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا"[٤] بمعنى: أصابه.

وهذه المعاني للفعل (مسّ) وردت في لسان العرب، حيث جاء فيه أن (مسّ) بمعنى لمسُ الشيء باليد، ويقال: مسِستَ الشيء إذا لمسته بيدك، ثم استعير للأخذ والضرب لأنهما باليد، واستعير للجماع لأنه لمس، (ولم يمسسني): لم يتزوجني[٥].

ومن هنا فإن للفعل (مسّ) دلالات مختلفة وفق السياق الذي يجيء فيه، وهذا متوافر في دعائه عليه السلام، حيث يدلّ الفعل (مسّ) على اللمس، واللمس يكون بخفة، أما المسك فيكون بقوة؛ ولذلك كان دلالة هذا الفعل توافق الصبر الذي لزمه أيوب عليه السلام، فعلى كثرة الابتلاء وشدّته لم يكن ذلك إلا مسّا خفيفا، وهذا تأدب منه عليه السلام في دعائه ربّه.

اسم التفضيل - (أرحم الراحمين) :

جاء اسم التفضيل (أرحم) للدلالة على زيادة في صفة الرحمة لله تعالى عنها للناس، فتمايزت الذات الإلهية بهذه الصفة على إطلاقها، على الرغم من توافر هذه الصفة للناس، فالله تعالى هو الذي أنزل جزءا من رحمته على الأرض، فكان هو الرحمن الرحيم

---

[١] آل عمران /١٤٠.

[٢] آل عمرن /٤٧.

[٣] البقرة / ٢٣٧.

[٤] الزمر / ٤٩.

[٥] لسان العرب ١٣/١٠٤ طبعة دار إحياء التراث العربي.

وأرحم الراحمين، ليذكر العباد بأن ما لديهم من رحمة ليس إلا جزءاً مما عنده، والرحمن الرحيم صفات مشبهة ثابتة فيه عزّ وجلّ، أما (الراحمين) فاسم فاعل يعبر عن القيام بالرحمة وفق إرادة الفاعل، يعطيها متى يشاء، ويمنعها متى يشاء، أما رحمته تعالى فهي دائمة لا انقطاع فيها، والدليل على انتفاء صفة الرحمة لدى الناس أن الله تعالى يقطع من يقطع رحمه، وهذه إشارة إلى أن هناك من لا يرحم غيره، وإن كان من رَحِمه وأقربائه، زيادة على أن الله تعالى لم يكن من أسمائه (الراحم) دلالة على أن (الرحمن الرحيم) أعلى درجة من (الراحم) التي جاءت للتعبير عن سمات الناس.

دعاء سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١)" سورة يوسف / ١٠١

الفعل المضارع – (توفّني) :

جاء قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام بالفعل (توفّني)، واستغني عن الفعل (أمِتْني)، فالفعل مات يرد في القرآن الكريم، فكان في قوله تعالى : " وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " [١]، وقوله تعالى:" وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ " [٢]، وقوله تعالى : " فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ " [٣]، وآيات أخرى.

أما الفعل (توفّى) فقد ورد في كتابه العزيز في قوله: " قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ..."[٤]، وقوله تعالى: " اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا..."[٥]، وقوله تعالى: " حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ..."[٦]، وفي آيات أخرى.

والفعل (تُوفّي) يدل على الموت، وهو بمعناه، وجاء للمسلمين والكافرين على حدٍّ سواء، إلاّ أن استعمال الفعل (توفّني) في دعاء يوسف عليه السلام كان للدلالة على رغبته عليه السلام في قرب الوفاة لأمرين: أنه قد أقرّ بنعمة ربّه عليه، حيث أتاه من الملك وعلّمه من تأويل الأحاديث؛ والأمر الثاني أنه رأى خير الدنيا، فأراد خير الآخرة فقال (وألحقني بالصالحين)، راغباً في أن يكون قد استوفى أيام حياته ومدّته فيها، فمن هنا جاءت دلالة (توفّني) على استيفاء مُدّته وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا[٧] فكانت رغبته في الإلحاق بالصالحين.

---

[١] آل عمران /١٠٢.

[٢] آل عمران /١٥٦.

[٣] البقرة / ٢٥٩.

[٤] السجدة /١١.

[٥] الزمر / ٤٢.

[٦] الأعراف /٣٧.

[٧] لسان العرب ٣٥٩/١٥

إن الإلحاق بالصالحين هو الإدراك[1]، وقوْس لحُق ومِلحاق سريعة السهم لا تريد شيئاً إلا لحقته، وناقة ملحاق تلحق الإبل فلا تكاد الإبل تفوقها في السير، قال رؤبة:

فهي ضروحُ الركض ملحاق اللحُق[2].

---

[1] لسان العرب ٢٥١/١٢.

[2] لسان العرب ٢٥١/١٢.

دعاء سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٤) ."

اسم التفضيل – (أحبّ) :

اسم تفضيل من الفعل (حبب)، واسم التفضيل وصف مشتق يدل على أن شيئين قد اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما فيها على الآخر.

إن مجيء اسم التفضيل (أحبّ) في دعاء يوسف عليه السلام يقتضي أن يوسف يحب السجن ويحب ما تدعوه النسوة عليه من الزنا، وحاشا لله أن يحب ذلك، ولهذا لم يكن اسم التفضيل (أحبّ) دالاً على محبة يوسف للأمرين معاً، وزاد حبه للسجن على حبه لدعوتهن ومرادهن، فاسم التفضيل في هذا المقام لا يدل على تلك الدلالة مطلقاً، ولكنه يدل على نقيضه تماماً، وهذه الدلالة هي أنه لا اشتراك في الصفة بين الأمرين: السجن ومراد النسوة، فالسجن مكروه للنفس الإنسانية، والزنا مرغوب به لقرب التمتع به من الزواج، والسجن كبْت للنفس، والزنا تفريغ للكبت ووسيلة للراحة، أما بالنسبة ليوسف عليه السلام فإن السجن عذاب لجسده، وراحة لنفسه، كما أن الزنا عذاب لنفسه وراحة لجسده، فقرر اختيار عذاب النفس لأنه سيحول دون رغبتها، وسيلته في ذلك عذاب الجسد.

ومن هذا التباين الكبير بين الأمرين: السجن والزنا، لم يشتركا في صفة واحدة، وما وزاد أحدهما على الآخر، وعليه فينبغي أن يكون يوسف يحب الزنا بأي شكل من الأشكال، ولم يكن الزنا في باب المفاضلة والاختيار قط.

الإفراد:

(وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين): لقد جاء الاسم (كيدهن) بدلالة الإفراد المضاف إلى ضمير الجماعة للنسوة وهذا الإفراد يدل على أن أمرهن جميعاً قد صار شيئاً واحداً ثابتاً، يردنه دون غيره، وهو التمتع بيوسف وإيقاعه في الزنا.

الحذف:

أما الفعل (أصبُ) والفعل (أكن) فقد جاءا على الحذف، فالأول ناقص محذوف واوه، والآخر أجوف محذوف وسطه، ودلالة هذا الحذف استعجال إجابة الدعاء، خوفاً من الوقوع في الجهل، وهذا الاستعجال له ما يبرره من ناحيتين : أولاهما أن يوسف عليه السلام لا يريد لصفة البشر أن تغلب صفة الأنبياء، فإن غلبت صفة البشر فسيؤدي ذلك إلى النيل من صفات

الأنبـــياء الســـابقين له واللاحقين، والناحية الأخرى هي أن استعجال إجابة الدعاء بهذا الحكم الســـريع المحذوف أجزاؤه، سيمكن يوسف من الحفاظ على صورة الأنبياء بعامة، والخلاص من السجن أيضا ليقوم بدعوته، فيكون قد تخلص من أمرين معا أحلاهما مرّ.

الفعل – (أصب) :

الصـــبوة : الميل إلى الهوى، وهذه لا تكون إلا من طبيعة الإنسان الذي لا يملك نفسه أو عقلـــه، وهذه الصفات لا تكون للأنبياء، إنما دل الفعل على أن شدة الكيد قد تجعل الصبوة للإنسان الكبير العاقل لأنه سيخرج من حال إلى حال[1].

(١) القرآن الكريم وتفاعل المعنى ٩١.

دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) " سورة الأنبياء /٨٩

اسم الفاعل – (الوارثين) :

الوارث هو من يورّث الشيء، وهو من صفات الله عزّ وجلّ[١].

وجاءت دلالة اسم الفاعل (الوارثين) لتظهر أن هؤلاء الوارثين يقومون بتقديم الشيء إلى الآخرين ظنًا منهم أنهم ذوو الشأن فيه، إلا أن ذلك لا يكون إلا من الله تعالى، ودليل ذلك استعمال اسم التفضيل (خير)، حيث تنتفي صفة (الوارثين) عن غيره، لأن الإنسان عندما يترك مالاً وعقاراً بعد موته، يكون غير قادر على شيء، فيكون إرثه في غير باب قدرته، حيث إنه فني، فيصبح ما تركه لورثته، والذي قسمها هو الله تعالى، فهذا يعني أنه هو الوارث بمعنى المورّث الذي يعطي التركة للورثة، وهو –تعالى– الوارث الذي يعود إليه كل شيء، لأنه سيرث الأرض ومن عليها، فهو الأول الذي أعطى كل شيء، وهو الآخر الذي سيأخذ كل شيء، فسبحانه خالق كل شيء[٢].

أما سيدنا زكريا عليه السلام فكان يدعو ربّه ليجعل له من يرث عنه النبوة لا أمور الدنيا، لأن الأنبياء لا يورّثون، وما يبقى لهم من أمور الدنيا فهو من باب الصدقة[٣]، فكان الله عزّ وجلّ (خير الوارثين) ولم يكن (أورث الوارثين)، لأن صفة (الوارث) له وحده، لا تكون لغيره من هذا الباب.

---

[١] لسان العرب ٢٦٦/١٥.

[٢] لسان العرب ٢٦٦/١٥-٢٦٧.

[٣] م.ن ٢٦٦/١٥.

دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

"هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ(٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ(٤١) ."

التنكيـــر – (ذرية) :

جاءت هذه الكلمة على التنكير في قوله (هب لي من لدنك ذرية طيبة)، والذرية هي عقب الإنسان وإن كان فرداً واحداً، ذكراً كان أو أنثى[1].

وتأتي دلالة (ذرية) من حيث إنها نكرة، فهي مخصصة بالنعت من اجل تحديد نوعية هذه الذرية من حيث الطيب والصلاح دون سواهما، وهذا التنكير في (ذرية) يدل على رغبته عليـــه الســـلام في الذرية دون تحديد جنسها من تذكير أو تأنيث، وهذا يؤكد أن زكريا يرغب بالذكـــر والأنثى على درجة واحدة من الرغبة، ولو كان دعاؤه في ذرية ذكرية لانتفت الدلالة العظـيمة المطلوبة في الدعاء، لأن الرغبة في تحديد جنس الذرية من ذكر أو أنثى تكون في مرحلة لاحقة لطلب الذرية بشكل عام، فمن يكون كبير السن وزوجه عاقر لا يفكر بالذرية إن كانـــت ذكراً أو أنثى، ولكن هذا التفكير قد يحصل عند ظهور أعراض الحمل وتحقق الدعاء، فعند ذلك قد يُلجأ إلى التفكير في الرغبة المتخصصة في تحديد جنس هذه الذرية، لذلك جاءت (ذريـــة) نكرة لإزالة أدنى شك في استباق زكريا الأمور، ومعرفته بجنس الذرية التي سيهبها الله تعالى له.

الصفة المشبهة – (إنك سميع الدعاء) :

صفة مشبهة على وزن (فعيل)، تفيد معنى الثبات للصفة في الموصوف بها والسميع من أسماء الله الحسنى.

وجـــاءت هذه الصيغة مختارة في هذا الدعاء لتعطي الدلالة المعجزة التي أرادها الله تعالى لها، حيث إن سياق الدعاء يستدعي استعمال اسم الفاعل (مجيب)، على نحو: إنك مجيب الدعـــاء، إلا أن مجيء كلمة (سميع الدعاء) دلت على أدب كبير في نفس زكريا عليه السلام،

---

[1] لسان العرب ١٤/٢٨٥-٢٨٦.

فهـــو الشـــيخ الوقور كبير السن الذي يتمنى من ربه أن يسمع دعاءه، لأنه يعلم أن الله تعالى عـــادل وقادر، ويعلم أنه قوله (إنك مجيب الدعاء) يوحي باشتراط الإجابة لهذا الدعاء، فترك هذا الأمر تأدباً مع الله عز وجل، موليا الأمر له في الإجابة أو عدمها.

وكلمة (السميع) تدل على السمع، وهذا فيه حكمة معجزة هي أن السميع يسمع الشيء ويـــتفهمه ويـــتدبره بأمره، ثم يكون له فيه حكمة، حيث تظهر صفة المهلة والتروي، فسميع الدعـــاء مـــرحلة أطول من مرحلة (مجيب الدعاء)، وهذا يعني أن لله تعالى حكمة في مجيء (ســـميع) بدلاً من (مجيب)، وهي أن من يعطي ذرية لشيخ كبير وامرأة عاقر، لا بد أن يكون قد راعى الفطرة الإنسانية التي قد لا تقبل بتوافر الذرية مباشرة بتوافر الموانع البشرية: الشيخ المسنّ والمرأة العاقر في حال استعمال كلمة (مجيب) بدلاً من كلمة (سميع).

دعاء سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثالث :

" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(١) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا(٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا(٧) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا(٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا(٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا(١٠) ".

الإفـــــراد:

(العَظْـــم): وجـــاءت كلمة (العظم) على الإفراد، ولم تأت على الجمع (العظام) وهذا الإفراد ذو دلالة عظيمة في هذا الدعاء.

إن العظـــم بالإفـــراد يدل على أن المراد هو الجسد بعامته، لأن (العظم) وحدة واحدة يقـــوم علـــيها الجسد، وهي أشد ما يقوم عليها، وأما (العظام) على الجمع، فدلالة هذه الكلمة الشـــمول لأجـــزاء العظام نفسها في الجسد لا الجسد بعينه، حيث تفيد كلمة (العظام) أن هناك أجـــزاء مخـــتلفة للعظام في الجسد وقد أصابها الوهن والضعف، فينصرف الذهن إلى العظام وأجـــزائه دون الاهتمام بعامة الجسد الذي أصابه الوهن كله، أما إفراد (العظم) فيدل على أن الجســـد وحدة واحدة قائم على العظم المفرد كوحدة واحدة قد أصابه الوهن وفي هذا دلالة لا تصل إليها دلالة الجمع[1].

الصفة المشبهة – (وليًا) :

صـــيغة مشـــتقة من الفعل (ولي) على وزن (فعيل) ومعناها العقب والذرية[2] وكلمة (ولي) تعني كل من يلي الأمر دون تحديد ذلك الولي من حيث الذكورة أو الأنوثة، فهي تصح للذكر والأنثى والكبير والصغير على السواء[3].

ودلالـــة هذه الكلمة في دعائه عليه الصلاة والسلام تأتي من حيث رغبة زكريا في أن يهـــبه الله تعـــالى ذرية وعقباً دون تحديد جنسه من ذكر أو أنثى، كما مر في قوله في الدعاء الســـابق (هب لي من لدنك ذرية طيبة)، فالغاية كانت الذرية دون تحديد جنسها، وعدم تحديد

---

(١) انظر: الكشاف ٣/٤٠، والإعجاز الصرفي في القرآن ١١٢-١١٣.

(٢) المعجم الوسيط ٢/١٠٥٨.

(٣) م.ن ٢/١٠٥٨.

الجـــنس في قوله (وليا) لا ينفيه مجيء جملة النعت (يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيا) على لغة التذكير، لأن التذكير أعم وأغلب على نحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) بخطاب المذكرين.

ويـــزاد علـــى ما سبق أن صيغة (فعيل) في قوله (وليا) و (رضيا) مما يستوي فيها التذكـــير والتأنيث[1]، وهذا يؤكد مبدأ عدم تحديد جنس الذرية التي يريدها زكريا عليه السلام، والدلـــيل علـــى ذلك أن الله تعالى قد بشره بكلمة (غلام) قبل اسم يحيى، ليبين أنه قد اختار له الذكـــر دون الأنثى أولاً، ومن ثم ذكر اسم الذكر وهو (يحيى) حيث قال:" يا زكريا إنا نبشرك بغلام " ثم حدد اسم الغلام فقال: " اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا".

---

(١) انظر: ظاهرة التبادل بين المفرد والمثنى والجمع ٩٢، وصيغة فعيل واستعمالاتها في القرآن الكريم ٣٠٧-٣٠٨.

دعاء سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام:

" قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ(٣٠) ."

اسم الفاعل غير الثلاثي - (المفسدين) :

اسم فاعل من الفعل المزيد (أفسد) جاء بصورة الجمع، وجاءت هذه الصيغة للدلالة على تتبع الفساد والقيام به من قوم لوط عن رغبة وإصرار وعناد، فاسم الفاعل يدل على القيام بالحدث والتمكن منه.

وصيغة (المفسدين) أقل درجة من (الكافرين) أو (الفاسقين) ولكنها في هذا الدعاء ذات دلالة أكبر من دلالات الكفر أو الفسوق، فالكافر راض بكفره وقانعٌ به، والفاسق من خرج على دينه، أما المفسد فهو مرحلة متطور في الكفر والفسوق والمفسد، وهو من يطلع على كل أمر صالح فيفسده، ويرى الحق ويغيره وهذا أكثر خطورة على الدين من الكافر والفاسق وأشباههما.

ومن هنا حذر عز وجل الأنبياء ومن آمن معهم من المفسدين من اتباعهم وغيرهم، ففساد قوم لوط كان أنهم أفسدوا الأمر الحلال في الزواج، وجعلوه في غير محله بما لا يرضي الله تعالى.

إن اسم الفاعل من الثلاثي (فسد) هو فاسد، وهذا يعني ثبوت صفة الفساد فيه وكفى، أما اسم الفاعل من غير الثلاثي (أفسد) فهو مُفسد، فهذا أكثر خطورة لأن الفساد صفة ثابتة فيه أصلا، ومن ثم كان هناك دور كبير في البحث عن الأمر الصالح والقيام بإفساده.

دعاء سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام – الدعاء الأول :

" فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ(١٩) ."

الحـــذف – (أوزعني) :

فعـــل أمر من الفعل الثلاثي (وزع) وهو فعل معتل، ومعنى (أوزعني) اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وارتبطه لا ينفك عني حتى لا أنفك شاكراً لك[1].

فعل الأمـــر – (اوزعني) :

وقد جاءت في صيغة فعل الأمر (اوزعني) دون حذف واو الفعل، فالأصل في الفعل المـــثال الواوي أن تحذف واوه في أمره ومضارعه، نحو: (وصف، يصف، صف)، و (وجد، يجد، جد)..الخ.

والفعـــل (وزع) قياساً على ما سبق يكون الأمر منه على (زعني)، وليس (أوزعني) ولكن ذكر الفعل دون حذف واوه يعطي دلالة الطول في الشكر واستدامته، إذ إن سليمان شاكر لربه، ولكنه جاء بهذا الفعل على هذه الصورة ليرتبط الشكر به ولا ينفك عنه ليظل ملازما له باســـتدامته، ومـــن هنا فإن الحذف في (اوزعني) على نحو: زعني، يرتبط بالاستعجال، أما (أوزعني)، فقد جاءت هذه الصيغة بعد روية وتمهل وسماع حديث النمل والتبسم، ثم دوام هذا التبســـم وصـــولا إلى درجة الضحك، وهذا يناسبه (أوزعني) ولا يناسبه (زعني) قياساً على القاعدة الصرفية المشهورة التي تقول بحذف واو المثال الواوي في أمره ومضارعه.

---

(١) الكشاف ٣/٣٤٦.

دعاء سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام – الدعاء الثاني :

" قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥) ."

صيغة المبالغة – (الوهّاب) :

صـــيغة مشبهة من الفعل (وهب) لتدل على المبالغة والتكثير، فهي على وزن (فعّال) من أوزان صيغ المبالغة القياسية المشهورة في العربية[١].

وجـــاءت هذه الصيغة للدلالة على شدة الرجاء ورغبة سليمان في إجابة الدعاء، حيث عدل عن صيغة اسم الفاعل (الواهب) إلى صيغة المبالغة (الوهّاب) لتأكيد حاجته ورغبته في أن يهـــبه ربـــه مُلكـــا عظيما لا يكون لأحد من بعده، فجاء الدعاء بـــ (الوهّاب) بعد أن قدم حاجته، واستشعر عظم مطلبه في ملك عظيم، فكان استعمال صيغة المبالغة (الوهّاب) لتناسب ما رأه عظيما لا يكون إلا من عظيم وهّاب هو الله عز وجل.

---

(١) الكتاب ١/١١٠.

دعاء سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام

" قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) ." سورة المائدة ١١٤

اسم التفضيل واسم الفاعل - (خير الرازقين):

(خير) اسم تفضيل دال على المفاضلة بين المشتركيـــن في صفة الرزق.

ودلالـــة استعمال اسم التفضيل (خير) هي أن كثيراً من الناس يعد نفسه رازقاً لغيره، وأن ترزق الآخرين هو أن تعطيهم ما يكفيهم، وهذا يقدر عليه كثير من الناس، فيعتقدون أنهم هم الرازقون، فالرزق عطاء.

ولوجود هذا الاعتقاد عند كثير من الناس، جاء اسم التفضيل (خير)، ولم يأت (ارزق الرازقين)، وهذا يدل أيضاً على أن الله تعالى قد امتاز بالصفات جميعها عن غيره، ومن هذه الصفات صفة الرزق، فلم يخصصها بقوله (ارزق الرازقين) ولكنها ضمّنها صفاته كلها، فهو خـــيرهم في كل شيء، ومن هذه الأشياء الرزق، حيث إنه ينفي عنهم هذه الصفة، ويختصها لنفســـه؛ أمـــا قوله (أرحم الراحمين) فلأن الرحمة توجد في العباد، والله تعالى هو الذي أنزل جزءاً من رحمته عليهم، فقيل عنهم (راحمين)، أما أن يقال عنهم (رازقون) فلا يكون ذلك.

فعل الأمـــــر - (أنزلْ) :

يتضمن هذا الفعل دلالة التسليم بقدرة الله تعالى وجلاله، حيث يظهر ذلك مما يأتي:

أ. إقـــراره عليه السلام بعلو الله تعالى وهو العلي فوق كل شيء؛ لأن الفعل (أنزلْ) يدل على أن الإنزال يكون من الأعلى إلى الأدنى.

ب. الإنـــزال للشيء يكون فيه يسر وسهولة، أي أن ما يطلبه عليه السلام والذين معه يعدّ يسراً على الله تعالى مهما كانت نوعية هذا المطلوب وكميته.

" إن إنزال الشيء يكون لأنه فوق الشيء، ومجيئه من علو فهو مختصٌ من الجهات الست كلها بجهة واحدة...."[1].

---

(١) الحروف العاملة في القرآن الكريم ٢١٥.

ضمير الجمـــع (ربنا) :

جاء الدعاء بإضافة (رب) إلى ضمير الجمع (نا)، على الرغم من أن الدعاء من واحد وهو عيسى عليه الصلاة والسلام فجاء موضع المفرد.

ويعـــد مجـــيء الجمـــع في موضع المفرد من بلاغة القرآن الكريم، حيث يظهر فيه واضـــحاً جليـــاً في استعمالاته المختلفة للإفراد والتثنية والجمع، وكلها ذات دلالات خاصة لا تكون إلا فيه[1].

إن مجـــيء (ربنا) بالإضافة إلى ضمير الجمع كان من باب أن العرب قد توقع على الجـــزء اســـم الكـــل، وان الغرض الأساسي منه هو التعظيم، فصيغة الجمع قد تشعر بمعاني التعظيم والإجلال حيثما يوضع ما للجماعة للواحد[2].

---

(١) لغة القرآن ٣٤٦.

(٢) ظاهرة التبادل بين المفرد والمثنى والجمع ٩٢.

الخاتمة

قامت هذه الدراسة على توظيف الدلالة النحوية والصرفية في أدعية الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، حيث تناولت القيم الموجودة في هذه الأدعية كالحذف والزيادة، والوصل والفصل، والتقديم والتأخير، والجمل الفعلية والاسمية، والتأكيد وتركه، وحروف المعاني، والظروف، والنداء والاستفهام، والإفراد والتثنية والجمع، والإدغام وفكه، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير..... الخ.

وأظهرت الدراسة أن هذه القيم مجتمعة تمثل جوانب إعجازية في بلاغتها وأساليبها، فالحذف لشيء في موضع ما يكون لدلالة لا يصل إليها ذكره، وذكر هذا الشيء نفسه في موضع آخر أبلغ من حذفه، ومثال ذلك أداة النداء؛ حيث كان حذفها في أغلب الأدعية أبلغ من ذكرها، ولكن ذكرها في دعائي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان أبلغ من حذفها لو حذفت بسبب تلك الدلالة التي أفادتها في هذين الدعاءين من إظهار شفقته عليه السلام على أمته، وحبّه هدايتهم، على العكس من تلك الأدعية التي كان حذف أداة النداء فيها للدلالة على الاستعجال في عذاب أقوام الأنبياء الذين دعوا بتلك الأدعية.

ومن مميزات الدعاء أنه يتنوع بين الاسمية والفعلية، وتتعدد جملته الاسمية من حيث تركيبها، فتارة يكون الخبر اسما، وتارة يكون جملة فعلية، ولكل منهما دلالة خاصة به لا تكون لغيره؛ كما أن جملة الدعاء الفعلية تتنوع بين المثبتة والمنفية، والمسبوقة بالنهي، حيث إن الدعاء بالفعل المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية مثلا، يدل على الرغبة الخالصة في الكفّ عن الفعل وإظهار كمال الضراعة وهذه الدلالة لا تكون للجمل المثبتة على النحو نفسه.

وتظهر قيمة التقديم والتأخير بوضوح في هذه الأدعية، وهذه القيمة لا يُكتفى بالقول عنها إنها من أجل العناية بالمقدم، لأن دلالة من تقدم لا تفوق دلالة من تأخر، فلكل دلالة، وهما متساويان فيها، وعليه فإنه يجب تجاوز قول التقديم للعناية والاهتمام وعدم الوقوف عنده.

وفي الصيغ الصرفية، تظهر دلالات القيم بجلاء، إذ إن تغيّر البنية يتبعه تغير الدلالة غالبا، فالكلمة المرادفة لأخرى لا يمكن أن تقوم مقامها، وذلك لوجود فروق دقيقة بينهما في المعنى والدلالة، وهي فروق تغيب عن كثير من أهل اللغة نفسها، ودليلنا على ذلك ما جاء في الفرق بين (رسول) و(نبي)، حيث كرّر البراء بن عازب دعاء النبي عليه الصلاة والسلام الذي فيه: آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت" فقال البراء: وبرسولك الذي

أرسلت، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعيد الحديث ويقول: وبنبيك الذي أرسلت" وما ذلك إلا لوجود فرق دقيق بين (النبي) و (الرسول).

إن الدعاء يتنوع بأسلوبه، فيأتي بالاسم ، وبفعل الأمر، والفعل الماضي، والفعل المضارع، وبالحرف (ليقض)، والماضي المسبوق بـ (لا): لا فضّ فوك، ودلالة كل منها دلالة خاصة لا تكون لغيره، فهناك فارق بين الدعاء بالفعل الماضي الذي يكون أبلغ من الدعاء بالفعل المضارع، فالدعاء بالماضي كأنه حاصل لا محالة، أما المضارع فيكون تحقق الدعاء به غير مضمون الحدث.

أما من حيث الأدوات، فهي ليست بذات دلالة أقل من الأسماء الأفعال، فهي ذات حركة دلالية بين الصيغ والتراكيب، تربط السياق بعضه ببعض وحدة واحدة، فتوصل آخره بأوله لإعطاء الدلالة الكلية للسياق كله.

والحروف المفردة لها دورها الدلالي في النصّ، فزيادة حرف أو عدمها بالحذف أو عدمه، وسيلة إلى تحقيق التعادل بين ألفاظ السياق كلها، ومن ثم تراكيبه، فيعّد نصاً أدبيا راقيا، فكيف إذا كان ذلك كله في نص قرآني؟!

ومن لطائف أدعية الأنبياء يمكن تلمّس الجوانب الدلالية الآتية:

أ- حذف أداة النداء: لقد جاء أكثر الأدعية خاليا من أداة النداء، وهذا الحذف له دلالة وفق السياق الذي جاء فيه، وإن كان يغلب عليه دلالة قرب الداعي من المدعوّ، وشعوره بهذا القرب، فلم يكن بحاجة إلى ذكرها، فقالوا: (ربّ).

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو أقربهم إلى الله تعالى، ولكنه استعمل أداة النداء (يا)، وذلك للتعبير عن تنهّده وتحسّره على قومه، فدعاؤه خال من إيقاع العقاب عليهم، فهو يستعمل (يا) أداة تعبر عن نَفَسِهِ الطويل وصبره.

ب-حذف ضمير المتكلم (الياء) في المنادي (ربّ): حيث جاءت الأدعية بالمنادى (ربّ) خاليا من ياء الإضافة، ودلالة ذلك توزّعت بين الحياء من المدعوّ، والاستعجال في إيصال الدعاء لتلقيّ إجابته، وفي هذه كلها كان الداعي يستحي أن يظهر نفسه في (ربّ) فيخفي (ياء المتكلم) العائدة عليه موافقا لمعنى السياق كله.

أما ضمير المتكلمين (نا) فقد جاء للمفرد في دعاء سيدنا عيسى عليه السلام (اللهم ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء ...)، على الرغم من أن الداعي مفرد وهو سيدنا عيسى عليه السلام، وكان يمكن القول (ربّ انزل علينا مائدة من السماء)، ولكن ضمير المتكلمين (نا) جاء في (ربّنا)، ليظهر أن الجمع بدلالة (نا) يظل بحاجة إلى المفرد وهو

(ربّ)، علـــى العكس من حذف ياء الإضافة المفرد (ربّي) لأنه الداعي يستحي أن يكون على التساوي مع (ربّ).

جـــ- تنصّ القاعدة الصرفية الخاصة باسم التفصيل، على أنه اشتراك شيئين أو أكثر في صفة واحدة، وزيادة أحدهما على الأخر في تلك الصفة.

وهـــذه المعيار لا يصدق على الدعاء الذي جاء على لسان سيدنا يوسف عليه السلام " ربّ السجن أحبّ إليّ " إذ إن القاعدة تعني أن يوسف يحبّ شيئين: السجن والزنا، لكن حبّه للزنا أقل من حبه للسجن، وحاشا لله أن يكون ذلك ليوسف أو لنبي من أنبياء الله تعالى، فهو يكـــره الاثنين معا على الرغم من أن اسم التفضيل هو (أحبّ)، ولكن كرهه للزنا أكثر من كرهه للسجن، فاختار الأقل كراهية له وهو السجن.

د- تأتـــي كلمـــة (خـــير) للدلالة على التفضيل وفق السياق الذي ترد فيه، ولكنها لا تماثل التفضيل الأتي على وزن (أفعل)، فقوله (خير الرازقين) و (خير الغافرين) لا تعـــادل (أرزق الرازقين) و (أغفر الغافرين)، فالتفضيل لا يقبل إلا كلمـــة (خيـــر) ويرفـــض (أرزق) و(أغفر)، وفي المقابل فالتفضيل بـــ (أفعل)، في (أرحم الراحمين) لا يماثله في (خير الراحمين)، فدلالة (أرحم) يقبلها التركيب، ويرفض كلمة (خير).

إن كلمة (خير) عند استعمالها تعني انتفاء صفة ما بعدها عن المفضّل عليه نحـــو (الله خـــير الرازقيـــن)، حيث تنتفي صفة الرزق عن غير الله، ونحو (والله خير الغافرين)، حيث تنتفي صفة المغفرة عن غيره تعالى، فمثل هذه الصفات خاصة بالمفضّل (الله).

أما قوله (وأنت أرحم الراحمين)، فلا يعني انتفاء صفة الرحمة عن غير الله، فالناس رحماء بينهم، وأخذوا هذه الصفة من رحمته تعالى عليهم، إلا أنه أرحمهم، ومع ذلك جعلهم (الراحمين) وهذا الاسم ليس من أسمائه عز وجل (الرحمن الرحيم)، ليشعرهم بأنهم أقل كثيراً، من رحمته مهما وُصفوا بها.

وبعد

فـــإن مـــا سبق من إظهار دلالات القيم الموجودة في أدعية الأنبياء عليهم السلام في القـــرآن الكـــريم، ليس إلا جزءا يسيرا من تلك الدلالات العظيمة الواردة في الفصلين الثاني والثالـــث من هذه الرسالة، وهذان الفصلان بدلالاتهما لا ينبئان عن دلالات الأدعية جميعها، فهذا غيضٌ غيض من فيض دلالات القرآن، من تراكيب وصيغ لا يحيط بها إنسان، وإنما لكلٌ

مجـــتهداً نصيب، وهذا مما فتح الله تعالى به عليّ، وأسأله أن يكون علمنا من علمه، صدقة جارية وعلما ينتفع به إلى يوم الدين، يصحباني عند انقطاع عملي إلا من ثلاث.

- هذا ما كان مما فتح الله به عليّ والله بما جئت به أعلم.

المصـــــــادر والمراجـــــــع

* القـــــرآن الكـــــــريم

١- إتحـــاف فضـــلاء البشـــر فـــي القراءات الأربعة عشر – شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطـــي (ت ١١١٧هـــ) . وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٨

٢- الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي

تحقـــيق وتعليق عصام فارس الحرستاني ، خرّج أحاديثه محمد أبو صعيليك ،ط١، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٨

٣ – أثـــر الدلالـــة الـــنحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية – عبد القادر عبد الرحمن السعدي .

ط١، إحياء التراث الإسلامي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، العراق ١٩٨٦

٤ – أساس البلاغة – جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

ناشرون ، ط١،مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٦

٥ – أسلوب النفي في القرآن – أحمد ماهر البقري

ط١، ١٩٦٨ ، و ط٢ ، دار المعارف ١٩٨٤

٦ – الأصمعيات – أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي

تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، بيروت ، د.ت

٧ – الأصول في النحو – أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت٣١٦هـ)

تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة .

٨ – الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم – عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي

ط١، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ٢٠٠١

٩ – إعراب القرآن – أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)

تحقيق زهير غازي زاهد ،ط٢ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ١٩٨٥

١٠ – الأمالـــي الشـــجرية – ضـــياء الديـــن أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ، المعروف بابن الشجري
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان
١١ – الإيضاح في علوم البلاغة – الشيخ الخطيب القزويني
راجعه وصححه الشيخ بهيج غزاوي ،ط١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ١٩٨٨
١٢ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ)
تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان
١٣ – تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي
تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، التراث العربي ، سلسلة وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٥
١٤ – التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم – عودة أبو عودة ط١، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن
١٥– تفسير البحر المحيط – محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)
إعداد إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٥
١٦ – تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)
حققه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ، القاهرة
١٧– تفسير القرآن الحكيم ، الشهير بتفسير المنار – محمد رشيد رضا ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان
١٨– تناوب حروف الجر في لغة القرآن – محمد حسن عواد
ط١ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ١٩٨٢
١٩– تهذيب اللغة – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ – ٣٧٠ هـ)
تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، مراجعة علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة
٢٠– الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣

٢١- الجنى الداني في حروف المعاني – الحسن بن قاسم المرادي
تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٢
٢٢- جوامع الدعاء من القرآن والسنة – محمد سيد طنطاوي
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٦
٢٣- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين – هادي عطية مطر الهادي . ط١ ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٦
٢٤- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني
تحقيق محمد علي النجار ، ط٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة .
٢٥- الدعاء في القرآن الكريم – محمد محمود عبود زوين
ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٢
٢٦- الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب – أحمد عبد الجواد
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧
٢٧- دلائل الإعجاز – أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)
تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية ، ط١ ، دار قتيبة ، ١٩٨٣
ودلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط٣ ، مطبعة المدني بمصر ودار المدني جدة ١٩٩٢
٢٨- ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم
دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩
٢٩- ديوان عامر بن الطفيل – تحقيق كرم البستاني
طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٧٩
٣٠- ديوان عبيد بن الأبرص – تحقيق كرم البستاني
دار صادر ، بيروت ، د.ت
٣١- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم
دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ ، عن مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عدد٣٠ ١٩٨٦

٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ٢٧٠هـ)
إدارة المطبعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان
٣٣- سنن ابن ماجه – الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد .... (٢٠٧ – ٢٧٥هـ)
تحقيق نصوص : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي
٣٤- سنن الترمذي ، وهو الجامع الصحيح – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣
٣٥- شأن الدعاء – أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ (٣١٩ – ٣٨٨ هـ)
تحقيق أحمد يوسف الدقاق ، ط١ ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٨٤
٣٦- شذا العرف في فن الصرف – الشيخ أحمد الحملاوي
ط٢ ، دار القلم ، بيروت
٣٧- شـــــرح ديوان زهير بن أبي سلمى – صنعة الإمام أبي العباس (ثعلب – ت٢٩١هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب لسنة ١٩٤٤، نشر الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٦٤
٣٨- شرح ديوان عنترة بن شداد – تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ، ط١ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠
٣٩- شـــــــــرح شـافية ابن الحاجب – رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق وضبط محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٢
٤٠- شرح قطر الندى وبلّ الصدى – أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) . المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت
٤١- شرح المفصل – موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)
طباعة ونشر إدارة الطباعة المنيرية
٤٢- شعر بني تميم في العصر الجاهلي – عبد الحميد المعيني
بريدة ، منشورات نادي القصيم الأدبي ١٩٨٢
٤٣- الصاحبي في فقه اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(...– ٣٩٥هـ)
تحقيق : السيد أحمد صقر ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة

٤٤- صيغة افتعل في القرآن الكريم في المجالات الدلالية – زين الخويلي
دار المعارف ،
٤٥- صيغة فعيل واستعمالاتها في القرآن الكريم – علي أحمد طلب
ط١ ، مطبعة الأمانة ، مصر ١٩٨٧
٤٦- علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته – صلاح فضل
ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥
٤٧- علم الدلالة – أحمد مختار عمر
ط٣ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٩٢
٤٨- علم الدلالة بين النظرية والتطبيق – أحمد الكراعين
ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٣
٤٩- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن – محمد الشايع
ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ١٩٩٣
٥٠- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم – الحسين بن محمد الدامغاني . تحقيق وترتيب عبد العزيز سيد الأهل ، ط٢ ، دار العم للملايين ، بيروت ١٩٧٧
٥١- القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ)
تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٧
٥٢- القرآن الكريم وتفاعل المعنى – محمد محمود داود
دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠٢
٥٣- قصص الأنبياء ، والمسمى عرائس المجالس – أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المعروف بالثعلبي (ت ٤٢٧هـ) ، المكتبة الشرقية
٥٤- الكافية في النحو – جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب
(٥٧٠-٦٤٦هـ) شرحه الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن
الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان
٥٥- كتاب التعريفات – علي بن محمد السي الشريف الجرجاني (٧٤٠ – ٨١٦هـ)
تحقيق عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد ، القاهرة

٥٦- كتاب الدعاء – أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)
دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان١٩٩٣
٥٧- كتاب سيبويه – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣
٥٨- الكشـــاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ)
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ـ وطبعة دار الفكر .
٥٩- لسان العرب – ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ)
ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٩٩
٦٠- لغة القرآن الكريم – عبد الجليل عبد الرحيم
ط١ ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، الأردن ١٩٨١
٦١- اللغة وسيكولوجية الخطاب – سمير ستيتية
ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت . ودار الفارس للنشر والتوزيع الأردن ٢٠٠٢
٦٢- مجمع البحرين في زوائد المعجمين (المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني) – الحافظ نور الدين الهيثمي (٧٣٥ – ٨٠٧ هـ)
تحقيق ودراسة عبد القدوس بن محمد نذير ، ط٢ ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٩٩٥
٦٣- مجمع البيان في تفسير القرآن – أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي
تصحيح وتحقيق وتعليق هاشم الرسولي وفضل الله الطباطبائي ، ط١ ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ١٩٨٦
٦٤- المركب الاسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم – أبو السعود حسنين الشاذلي، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ١٩٩٠
٦٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – أحمد بن محمد بن علي المقرّي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) . المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان
٦٦- المعاني في ضوء أساليب القرآن – عبد الفتاح لاشين
ط٤ ، توزيع المكتبة الأموية ١٩٨٣

٦٧- معـــــــــــاني القرآن – الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري
(ت٢١٥هـ) تحقيق فائز فارس ، ط١ ، ١٩٧٩ ، و ط٢ ، ١٩٨١
٦٨- معاني القرآن – أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)
عالم الكتب ، ط١ ، ١٩٥٥ و ط٢ ، ١٩٨٠
٦٩- معجم مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصبهاني
تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي
٧٠- معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (... – ٣٩٥ هـ)
تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩١
٧١- المعجم الوسيط – إعداد مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الإدارة العامة
للمعجمات وإحياء التراث ، قـام بإخراجه : إبراهيم مصطفى وآخرون . ط١ ، ٢
المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .
٧٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن
أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد
٧٣- المفضليات – المفضل الضبي
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط٦ ، بيروت ١٩٦٤
٧٤- المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)
تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت
٧٥- من بلاغة القرآن محمد شعبان علوان وعثمان شعبان علوان
ط٢ ، الدار العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
٧٦- من سعة العربية – إبراهيم السامرائي
ط١ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٤
٧٧-المنصف- شرح الامام أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) لكتاب التصريف للمازني،
تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب
العلمية، بيروت – لبنان ١٩٩٩
٧٨- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)
تحقيق أحمد شمس الدين ، ط١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، لبنان ١٩٩٨

* البحـــــوث والرســـــائل الجامعية

١- أثر اللغة في اختلافات الفقهاء – عدنان سومي

رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ١٩٩٧

٢- أحمد بن فارس وعلم الدلالة – كاظم فتحي الراوي والست نوال كريم زرزور

مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٢ ، ١٩٨٥

٣- بلاغة القرآن الكريم عند الجاحظ – وليد قصاب

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، عدد ١٤ ، دبي ، الإمارات ١٩٩٧

٤- التركيب النحوي بين القدماء والمحدثين – فخر الدين قباوة وكمال قادري

مجلة بحوث جامعة حلب ، عدد ١٣ ، ١٩٨٨

٥- التعادل في العربية – عبد الفتاح الحموز

مجلة مؤتة ، المجلد السادس ، عدد ٢ ، السنة (.....)

٦- التكرار في الشعر الجاهلي / دراسة أسلوبية – موسى ربابعة

مجلة مؤتة ، المجلد الخامس ، عدد١ ، حزيران ١٩٩٠

٧- التكرار في القرآن الكريم / دراسة بلاغية – محمد محمود صالح قاسم

رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٨

٨- الجمل المصدّرة بـــ (أنْ) و (أنّ) للمستشرق ولف ديترتش فشر – ترجمه عن الألمانية إسماعيل عمايرة .

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد المزدوج ٢٧-٢٨ ، السنة التاسعة (ك١- حزيران) ١٩٨٥

٩- الدلالة بين اللفظ والمعنى – مصطفى جطل

مجلة بحوث جامعة حلب ، عدد ٢٨ ، ١٩٩٥

١٠- الذاهب من مواد النحو القديم في العربية الحديثة – إبراهيم السامرائي

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ،عدد ٣٩ ، (تموز- كانون أول) ١٩٩٠

١١- السياق اللغوي وأثره في الدلالة على المعنى / الطلب وأدواته – مصطفى جطل وعلي جانسيز . مجلة بحوث جامعة حلب ، عدد ٣١ ، ١٩٩٦

١٢- ظاهرة التبادل بين المفرد والمثنى والجمع – دفع الله عبد الله سليمان
مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد الثاني (الآداب ١) ١٩٩٠

١٣- العلاقة بين الدال والمدلول – مصطفى جطل وصلاح كزارة
مجلة بحوث جامعة حلب ، عدد ٢٨ ، ١٩٩٥

١٤- قراءة عبد الله بن أبي إسحاق في الميزان – محمود حسني محمود
مجلة مؤتة ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، كانون أول ١٩٩٠

١٥- المفارقة في متشائل إميل حبيبي (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس) – بسام قطوس . مجلة مؤتة ، المجلد السابع ، عدد١ ، تموز ١٩٩٢

١٦- مفهوم التأويل النحوي – مصطفى جطل ومحمود الجاسم
مجلة بحوث جامعة حلب ، عدد ٢٩ ، ١٩٩٥

١٧- مقومات الدلالة النحوية ، قراءة في بعض الخصائص – رشيد أحمد بلحبيب
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، عدد ١٦ ، دبي ، الإمارات ١٩٩٨

١٨- من أعلام النحو العربي : هشام بن معاوية الضرير وآراؤه في النحو واللغة – حنا حداد . مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد السادس ، عدد٣ ، كانون أول ١٩٩١

١٩- نظام الصيغة في اللغة العربية – فالح بن شبيب العجمي
مجلة جامعة الملك سعود ، المجلد الخامس (الآداب ١) ١٩٩٣